المجلد السابع والستون — الجزء الثالث

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



المحرم ١٤١٣ هـ

تموز (يوليو) ١٩٩٢ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٣م	١٠٠	ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	٨	دولارات أميركية في البلدان العربية
	١٠	دولارات أميركية في البلدان الأجنبية

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

● البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكُتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

● ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية .

● إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابها المقالات الأصيلة التي يخصونها بها ويقصرونها عليها . وإن للكتّاب الحق في إعادة نشر مقالاتهم بعد ذلك أينما شاؤوا شريطة أن يشيروا إلى النشر الأول في مجلة المجمع .

● ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح ، أو مضروبة على الآلة الراقنة .

● المقالات التي لاتنشر لاترد إلى أصحابها .

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



المحرم ١٤١٣ هـ

تموز (يوليو) ١٩٩٢ م

مطبعة الصباح

دمشق - هاتف ٢٢١٥١٠

عدد النسخ (١٠٠٠)

الشاعر يَعْلَى الشَّكْرِيُّ الأَزدي

لا (اليشكري) ولا (الكندي)

الأستاذ حمد الجاسر

لفت نظري وأنا أطالع ما نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مما كتبه الدكتور مصطفى الحدري (م٦٦ ص٧٦٠ وما بعده جزء ربيع الأول ١٤١٢هـ) عن ملاحظاته على كتاب أشعار اللصوص وأخبارهم للأستاذ عبد المعين الملوحي – لفت نظري ما مرَّ عرضاً عن يعلى الأَحول الأَزْدي ، وكون ياقوت دعاه الأحولَ (الكنديَّ) في رسم (طَهَيان) من معجم البلدان ، لفت نظري هذا إلى ما سبق أن قرأته في مصادر كثيرة من نسبة يعلى هذا إلى (يَشْكُر) .

وكنت قد كتبت عنه كلمة في مجلة « العرب »[1] نبهت فيها إلى خطأ هذه النسبة ، وأن الشاعر (شَكْرِيٌّ) لَيْسَ (يَشْكُرِيّاً) كما أوضحت هذا عند ذكره حين تحدثت عن بلاد قبيلته من السَّرَاة أثناء زيارتها سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) في كتاب : (في سراة غامد وزهران)[2] .

ولقد أدركت أن ما كتبته في هذا الكتاب وفي مجلة « العرب » ليس من الرواج بالدرجة التي تمكِّنُ أكثَر الباحثين من الاطلاع عليه ، ومن هنا

---

(١) س٣ ص١٨٣ وما بعدها (ج٢/شعبان ١٣٨٨هـ – تشرين الثاني ١٩٦٨م) .

(٢) ص٤٦٥ – ٤٦٩ .

كان ما ورد عن ياقوت من الحوافز التي دفعتني لكتابة كلمة مفصلة عن نسب هذا الشـاعر بعد أَنْ أُشِيرَ إلى ما اطلعت عليه فيما بين يدي من المصادر حوله .

لعل من أقدم المصـادر في ذالك ما جاء في كتاب « الأغاني »[٣] ونصـه : (يعلى الأحولُ بن مسـلم بن أبي قَيْسٍ ، أحد بني يشكر بن عَمْـرِو بن رالان ، ورالان هو يشـكـر ، ويشـكـر لقبٌ لُقّب بـه ، ابن عمران بن عمرو بن عديٍّ بن حارثة بن لَوْذَانَ بن كهف الظلام — هكذا وجدته بخط المُبَرِّدِ — ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر) .

ثم جاء صاحب خزانة الأدب[٤] فنقل عن الأغاني ما هذا نصه : (يعلى الأحول الأزدي هو ابن مسلم بن أبي قيس ، أحد بني يشكر بن عمرو بن فلان ، وفلان هو يشكر ، ويشكر لقبٌ لُقب به ، ابن عمران بن عَمْـرِو بن عَدِيٍّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظـلام) وعلق الأستـاذ عبد السلام هارون — رحمه الله — في الهامش : في الأغاني ١٩/١١١[٥] : (ابن رالان ورالان هو يشكر) .

ومثل ما تقدم في مطبوعة دار الكتب المصرية[٦] .

وإذَنْ فكـأن الطبعـات الثـلاث اتفقت في سيـاق النسب على مـا تقـدم ، وفيـه خَطَـآنِ واضحـان (يشكر) و(رالان) التي يبدو أنها (فلان) التي وقعت محرفة في كتاب خزانة الأدب .

ثم يأتي الأستـاذان الكريمان الدكتور داود سـلُّوم والدكتور نوري

(٣) ١٤٢/٢٢ طبعة الثقافة في بيروت .
(٤) ٢٧٧/٥ .
(٥) طبعة الساسي .
(٦) ج٢٢ ص١٤٧ .

حمودي القيسي في كتابهما شخصيات كتاب[٧] الأغاني ، فيوردان النسب كما في كتاب الأغاني من حيث إثبات (يشكر) و(رالان) ، وتكررت كلمة (يشكر) في هذه الصفحة ثلاث مرات .

ويرجع أستاذنا أبو الغيث الزركلي – رحمه الله – في كتاب الأعلام[٨] إلى الأغاني وحماسة ابن الشَّجَري وخزانة الأدب ومجلة المجمع العلمي العربي[٩] بدمشق ، فيسمي الشاعر يعلى بن مسلم بن أبي قيس اليشكري الأزدي .

ولكي يتضح ما وقع فيما تقدم من تصحيف أو تحريف في نسب الشاعر يحسن الرجوع في ذالك إلى أقدم ما بين يدي الباحث من كتب النسب ، ومنها كتاب النسب الكبير لابن الكلبي ، وفيه ما نصه – بعد ذكر نسب بارق[١٠] قال : « وولد عمران بن عدي بن حارثة عَمْراً ، فولد عَمْرٌو وألاَنَ ، وهو شَكْرُ ، بطنٌ عظيم بالسَّراة ، لهم عدد وجَلَدٌ ليس بالعراق منهم أحد » .

وجاء في مختصر جمهرة النسب[١١] – والأصل لابن الكلبي بعد ذكر ما هو مماثل لما ورد في كتاب النسب الكبير –: زعم الشَّرْقِيُّ أنه سُمِّيَ شَكْراً لأنه مَرَّ بقومٍ فأعطوه شَكْراً وهو الْحَمَلُ قال : ويقال شَكْرُ هو خزيمة ، وعلق المختصر على هذا في الحاشية : يقال إنَّ شَكْراً – واسمه

---

(٧) ص٢٠٩ .
(٨) ٢٠٤/٨ الطبعة السادسة سنة ١٩٨٤م .
(٩) مج٤٩/٣٧١ .
(١٠) ج٢ ص١٥٤ تحقيق الأستاذ فردوس العظم .
(١١) ص٢٠٩ – مخطوطة راغب باشا الموصوفة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج٢٧ ص٤٠ .

وَأُلاَنُ - بن حَزِيْمَـةَ بن أنمار بن إرَاشِ بنِ عَمْرِو بن الغوث بن مالك - بتمام ذالك - هو الذي يقـال له الآنَ وَأَلاَنُ بنُ عَمْـرِو بن كَهْف الظلم بن عمرو بن عَدِيٍّ بن حارثة بن عَمْرِو مزَيْقِيَاءَ .

وأضاف في الحاشية : أن في بَجِيلة حَزِيمة ، دخل في الأَزْدِ ، يعني ابنَ أَنْمَار بن إراش .

وقد تحدثتُ عن كتـاب مختصر الجمهـرة هذا في مجلة المجمع العلمي(١٢) العربي بدمشق ، مشيراً إلى جَهْلِ المُخْتصِر - بكسر الصاد - ولكنني اهتديتُ فيا بعد إلى أنه هو المبـارك بن يحيى بن المبـارك بن مقبل الغسَّاني الحِمْصي (٥٩٧/٦٥٨هـ)(١٣) .

وهذا الكتابُ في مخطوطته الموصوفة المحفوظة في مكتبة راغب باشا في (اصطنبول) على غاية من الدقة والضبط في الكتـابة ، بحيث تمنيت أن يصور كما هو ، وألا يطبع بطريقة تنضيد الحروف ، التي تسبب التصحيف والتحريف غالباً .

ولتكن العودة إلى تصحيح اسم (شَكْرٍ) قال في لسان العرب : وبنو شَكْرٍ قبيلة في الأزد ، وفي تاج العروس(١٤) : « و(شَكْر) بالفتح لَقَبُ وألانَ بنِ عَمْرٍو ، أبي حَيٍّ بالسراة ، ثم نقل عن البكرِيِّ : ومن قبائل الأزد شَكْر » ، وفي الاشتقاق(١٥) لابن دريد : وقد سمَّت العرب (شَكْراً) .

وفي حـاشيـة مختصر جمهـرة النسب(١٦) - من صنيع المختصر

---

(١٢) المجلد الـ (٢٧ ص٤٠ وما بعدها) سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٢م) .

(١٣) انظر لتفصيل ذالك مجلة العرب س٢١ ص٢٨٩ .

(١٤) رسم (شكر) .

(١٥) ص٣٤٠ .

(١٦) ص٢٠٩ .

المبارك بن يحيي الحِمْصِيُّ – مَا نَصُّـهُ : في فتوح الشام تأليف هذا ابن الكلبي : أن الطُّفَيْلَ ذَا النُّور قاتل يوم اليرموك الرومَ حتى قُتِلَ ، بعدَ أن قَتَلَ سبعة من الروم وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ دَوْسٌ وشَكْرٌ تَعْلَمُ

وطُفَيلُ هذا دَوْسِيٌّ من بني سُليم بن فَهْم بن غَنْمٍ رهط أبي هريرة .

انتهى

ولكنني رأيتُ الرَّجَزَ منسوباً إلى عمرو بن الطُّفَيْل في كتاب فتوح الشام(١٧) للأزديِّ البغدادي ، ونَصُّ ما في هذا الكتاب : (قال عَمْرُو بنُ الطُّفيـل : يا مَعْشَر الأزد ! لايُؤْتَيَنَّ المسلمون مِنْ قِبَلِكُمْ ، وأخذ يضرب بسيفه متقدِّماً عليهم ، وهو يقول :

قَدْ عَـلِمَتْ دَوْسٌ وشَـكْـرٌ تَعْـلَمُ ... أَنِي إِذَا الأَبْيَـضُ يَـوْمـاً مُظْـلِمُ
وَعَـرَّدَ النِّـكْسُ وَفَـرَّ الأَبْهَـمُ ... أَنِّي عفْـرٌ فِي الْوِقَـاعِ ضَيْغَـمُ

وقاتل قتـالاً شـديداً وقتَـلَ من أَشِـدَّائهم تسعـةً ، ثم قُتِل – رحمه الله –) .

فيما تقدم أوضح دليل على أن (يشكر) تصحيف (شَكْر) وأن الشاعر (شَكْرِيٌّ) ينسب إلى شَكْرٍ لَقَبِ أحدِ أجداده ؛ لا (يشكر) .

أما الاسم الوارد في سياق نسب الشاعر بكونه اسم شَكْر ، وهو كما ورد مصحفـاً (رالان) في الأغـاني ، و(فـلان) في الخزانـة ، فصـوابه

---

(١٧) ص٢٥ مطبعة سجل العرب في القاهرة سنة ١٩٧٠م . [طبع كتاب فتوح الشام طبعته الأولى في كلكتا سنة ١٨٥٤م . وجاء على صفحة الغلاف : كتاب فتوح الشام لأبي إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري صححه ولِم ناسو ليس الايرلندي . وقد ورد رجز عمرو بن الطفيل الدوسي الأزدي في الصفحة ٢٠١ ، ورجّح (ليس) أن يكون المؤلف من رجال القرن الثاني الهجري ، توفي نحو سنة ١٧٨هـ/المجلة] .

(وَأْلاَن) بعد الواو همزة مفتوحة فلام ألف فنون ، كما ورد في مخطوطة كتاب : مختصر جمهرة النسب ، والْكَلِمَةُ مَضْبُوطةٌ ضبطاً تامّاً ، وفي تاج العروس[١٨] قال ابنُ حَبِيب : وأْلاَنُ لقب شَكْرِ بن عَمْرِو بن عِمران بن عديٍّ بن حارثة ، وقال ابنُ السِّيْرَافِيِّ : هو من وَأْلَ .

ويأتي إيضاحُ الخَطَأ في وصف يعلى الشَّكْرِي بـ (الكِنْدي) الوارد في معجم البلدان ونصه : (طَهَيَانُ – وبعد إيراد المعنى اللغوي –: والطَّهَيَانُ اسْمُ قُلَّةِ جَبَلٍ بعينه ، قال نصرٌ : باليمن ، أنشَدَ الباهِلِيُّ للأحول الكِنْدِيِّ :

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً   مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهَيَانِ

يبدو أَنَّ مصدَرَ ياقوت عن الطهَيان كتابان ، كتاب نصر بن عبد الرحمن الاسكندري : الأمكنة والمياه والجبال والآثار ، وهذا بين أيدي الباحثين ، ونصُّ ما فيه في باب المفردات من حرف الطاء : (الطَّهَيَانُ جَبَلٌ باليمن) . انتهى .

والمصدر الثاني الذي ورد فيه قول الباهلي هو فيما يَبْدُو لي كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري ، فياقوت كَثِيرُ النَّقْلِ عنه مصرحاً باسمه وغير مصرح ، ومن هذا الكتاب نقل النصَّ الذي ورد في معجم البلدان من وصف الأحول بـ (الْكِنْديِّ) كما نقله الصاغاني في كتابيه العُبَاب ، رسم (بَرَد) والتكملة ، رسم (طها) وبعده جاء صاحبا لسان العرب وتاج العروس فنقلاه في رسم (طها) ، ولما أورد صاحب خزانة[١٩] الأدب كلام الصاغاني في العباب أضاف : وهذا خِلاَفُ ما عليه الرواة فإنهم قالوا : إنَّ البيت : (فليت لنا مِنْ ماءِ زمزم) آخر القصيدة ليعلى الأَزْدِي . إذَنْ فوصف الأحولِ بـ (الكنديِّ) مصدره الباهلي ، والباهليُّ هو أبو نصر

---

(١٨) رسم (وأل) .

(١٩) ٩/٤٥٣ .

أحمد بن حاتم ، المتوفى سنة ٢٣١هـ ، صاحبُ الأَصْمَعيِّ ، وراوي كتبه ، وقد ذكره الأزهريُّ في كتابه[٢٠] ، ممن روى عنهم ، ومن مؤلفاته كتاب المعاني أو أبيات المعاني لا يزال مجهولاً ، ولعل نسبة الأحول إلى كندة وقعت في هذا الكتـاب ، وعنـه نقل الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهر الهرويُّ (٢٨٢/٣٧٠هـ) وعن كتاب الأزهريِّ نقل من جاء بعده .

ومهمـا يكن فيعلى الأَحْوَلُ شَكْرِيٌّ أَزْدِيٌّ كما تقدَّم ، ولو لم يَرد البيتُ في قصـيدة مشهورة له لجاز القولُ بِأَنَّ الْمَعْنِيَّ بقول البـاهلي أَحَدُ حُـولان كنــدة من الشـعـراء ، إذ من المـمكـن أن لا يختص الوصفُ (الأحول) بواحد ، ولكن ما دام البيت من شعر الأحول الأَزدي ، وقد اتضحت نسبتـه ، فإن أقرب احتمال لوقوع كلمة (الكندي) في نسبته التَّصْحِيْفُ ، وما أسهل تصحيف (الشَّكْرِي) بـ (الكندِي) وهذا يدركه كل من تعمق في صور الحروف العربية ، فقد تكتب السين بدون أسنان ، فيظنها الكاتب لاماً ، وقد توضع فوق الكاف علامة السكون ، فيتخيلها نقطة ، ويبدو تقويس الراء مشابهاً للدال .

ويحسن أن نشـير إلى موطن (شَكْرٍ) هاؤلاء لكي نتوسَّمَ مَواقِعَ بعضِ ما ورد من المواضع في شعره .

لَقَدْ أوضح الهمدانيُّ أن بني شَكْرٍ هاؤلاء من سكان السَّراة ، سَراةِ الحجـاز ، الواقعة جنوب شرق الطائف ، فقال في كتاب « صفة جزيرة العرب » بعد أن ذكر سراة عَنْزٍ ، وسراة الحَجْرِ قال : (ثم سراة ناه (؟) من الأَزد ، وبنو الْقَرْنِ وبنو خالد نجدُهُمْ خَثْعَمُ ، وغورُهُمْ قبائل من الأزد ، ثم سـراةُ الْحَـالِ لِشَكْرٍ ، نَجْدُهُمْ خَثْعَـمُ ، وغَوْرُهُمْ قبـائل من الأَسْـد بن

(٢٠) تهذيب اللغة ١/١٥ .

عمران)[٢١] وقال في موضع آخر : (ثم قطع بين الحَجْرِ وبين بلد شَكْرٍ بطنان من خَثْعَم يقال لهما ألوس والْفَزَع ، فقطعتاه إلى تهامة ، وسَعْد الهماهم نِزَارِيَّةٌ ، ثم بلَدُ شَكْرٍ سَرَوِيٌّ ، ثم غَامِد ، ثم بلد النَّمِر ، ثم بلد دَوْسٍ ، من وراء ذالك بلد بَجِيلة)[٢٢] . وفي موضع ثالث في كلامه على الأزد قال : (وأما من سكن السَّرَوَاتِ فَالْحَجْرُ بن الْهِنْو ، ولِهْبٌ وناه (؟) وغامِد ، ومن دَوْسٍ وشَكْرٍ وبارق السوداء)[٢٣] .

ولا تزال بعضُ هذه القبائل التي ذكر الهمداني معروفةً تحل السراة ، متجاورة من شرق الطائف حتى نهاية السراة ، سراة جَنْب (عَبِيْدَةَ الآن) فَالْحَجْرُ – وهم بنو الأَحْمَرِ وبنو الأَسْمَر وبنو شِهْرٍ وإخوانهم – بلادهم من السراة غرب بلاد عَسِير ، وخَثْعَمُ التي تقطع بلادهم بين بلاد الْحَجْرِ وبلادِ شَكْرٍ لا يزالون معروفين ، وكذا الحال بالنسبة إلى منازلهم الآن ، فهي فاصلة بين بلاد الحَجْرِ ومن يليهم وهم غامدٌ الآن ، أي أن بلاد شَكْرٍ كانت تقع مجاورةً لبلاد غامِدٍ من ناحية الجنوب ، ويقع جنوب بلاد شكر بعضُ بطون من خَثْعَم ، ومن بني الْقَرْنِ ، جنوباً شرقياً .

ولا يزال الأمر كذالك بالنسبة لسكان السروات الذين لا تزال أسماؤهم معروفة ، كبني الْقَرْنِ والْحَجْرِ والْفَزَعِ من خَثْعَمَ وغامِدٍ ، وغيرهم .

وقد نلمحُ بينَ أسماءِ المواضع الواردة في شعر يعلى الشكري مَا لاَ يزال باقياً ومعروفاً في سراة قومه ، ومن ذالك :

١ – شَدَوَانِ : في قوله :

(٢١) ص١١٩ طبع دار اليمامة .

(٢٢) ص٢٧٢ .

(٢٣) ص٣٧٤ .

أرِقتُ لِبَــرْقٍ دونــه شَدَوانِ يَمَــانٍ وأَهْوَى الْبَرْقَ كُلَّ يَمَان

ودعك من رواية البيت وشـرحه الوارد في الأغاني ، مطبوعة دار الكتب المصرية[٢٤] حيث ورد : (شذوان) وفي الهامش : (شذوان تثنية شـذا : شجر تتخذ منه المساويك) وكذا ما نسب الاستاذ عبد المعين الملوحي إلى البغدادي أنه قال : شدوان موضع كان فيه حبس الشاعر[٢٥] ، كيف هذا وفي القصيدة :

فبتُّ لَدَى البيتِ العَتِيقِ أُريغُــهُ وَمِطْـوَايَ مُشْتَــاقَـانِ لَهْ أَرِقَـانِ

وأُريغه : هي بمعنى أُخيله ، في الرواية الأخرى ، فكيف يخيل برقاً يمانيـاً وهو محبوس بموقعه ؟ ، والبغدادي قال : شَـدَوان – بفتح الشـين المعجمــة والدال – قـال أبو عبيـد في « المعجــم » : هو موضـع ذكره أبو بكر[٢٦] .

إنَّ شَـدَوَيْنِ في قول الشـاعر جَبَلاَنِ لا يزالانِ معروفَيْنِ ، بقرب سَراةِ بني شَكْرٍ التي سبق تحديدها ، إذا أَطَلَّ الناظرُ من الْمُرْتَفِعِ من قُلَلِهَا نحو الغرب شاهدَ جبلي شَدَوَيْنِ بَارِزَيْنِ في تِهامة ، يشاهدُهُما رأْيَ العين ، وهما جبـلان كبـيران ، فيهما سفوح واسعة ، لا تزال مأهولة بسكان من قبيلتي غامد وزهران ، اللتين تطل سراتهما على هذين الجبلين ، وتمتدُّ بلادهما لتشمل بلاداً تِهاميةً حولهما ، ويُدْعَى أعلى الجبلين (شدَا الأَعْلَى) وفي قراه الصغيرة فخذ (الحنشــا) من قبيلة زهران ، وبنو الحويرث من بني عبد الله من غامد ، وفي قمة شدا الأعلى مكان يدعى (مصلى إبراهيم) يقال : إنه منسوب إلى إبراهيم بن أدهم الزاهد المعروف كما نسب إليه جبل

(٢٤) ج٢٢ ص١٤٦ .

(٢٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق – مج الـ (٤٩ ص٣٧٩) .

(٢٦) خزانة الأدب ٥/٢٧٦ .

إبراهيم في بلاد بني[٢٧] مالك ، وشدا الثاني هو (شَدَا الأَسْفَل) ويقع جنوب (شَدَا الأَعْلَى) ، يفصل بين الجبلين وادي الحُوا ، بضم الحاء من روافد وادي الأَحْسَبَةِ المشهور ، ويسكن في سفوح شدا الأسفل فخذ من بني الحويرث من قبيلة بني عبد الله من غامد ، وغيرهم .

(وجبلا شَدَا يقعان بقرب خط العرض : ٤٥'/١٩° ، وبقرب خط الطول : ٥٠'/٤١°) .

٢ – حَلْيَةُ : وقال :

وَلَيْتَ لَنَـــا بِـالجَوْزِ واللَّوْزِ غِيْــلَةً جَنَـاهَا لَنَا مِنْ بَطْنِ حَلْيَةُ جَانِي
وَلَيْتَ لَنَـا بِالدِّيْكِ مُكَّـاءَ رَوْضَـةٍ عَـلَى فَنَنٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَـةَ دَانِي

وكما تمنى الشاعرُ أن قِلاَصه وخدَتْ به في وادٍ يمان ، وكل ما هو جنوب الكعبة فهو يَمَانٍ – فقد تمَنَّى ثمر أراك وادِي حَلْيَة ، وهذا الوادي من أعْظم الأَوْدية التي تخترق تِهامة ، أعاليه تنحدر من سَراة الأزد ، غامدٍ وزهرانَ وشَكْرٍ ، وقول بعض شراح البيت : حلية أُجَمَةٌ في اليمن ، لا ينطبق على الحقيقة ، فَحَلْيَةُ وادٍ ذُو آجَامٍ كثيرة ، وهو من أشهر أودية تهامة ، ينحدر من السراة من سفوح جبل إبراهيم (بَثْرَة) .

ومن الجبـال الواقعـة بقرب حَجْرَةِ دَوْسٍ ، بقرب خط العرض ٠٠/٢٠° حتى ينتهي إلى البحر عند خط العرض ٥٥'/١٩° ، ويقع فيما بين خطي الطول :٤٥'/٤٠° ،و٣٠'/٤٠° ،والشاعر يعلى الشكرِيُّ خبير بهذا الوادي التهامي القريب من بلاد قومه كمعرفته بجبلي (شَدَوَيْنِ) التِّهَامِيَّيْنِ لوقوع بلاد قومه في تلك الجهات .

٣ – حُزْنَةُ : وقال :

(٢٧) انظر عنه العرب س٢٢ ص٢٨٣ .

وَلَيْتَ لَنَـا مِنْ مَـاءِ حُزْنَةَ شَـرْبَةً مُبَـرَّدَةً بَـاتَتْ عَـلَى طَهَيَـانِ

كذا جاء في رواية صاحب الأغاني ، أما الرواية الأخرى (فليت لنا من مـاء زمزم) فـالشـاعر يريد بدلاً من ماء زمزم ، أما على ما في رواية صاحب الأغاني فهو يتمنّى شربة من ماء حُزْنَةَ ، و(من) للتبعيض ، قال ياقوت في معجم البلدان : حُزْنَةُ – بالضم ثم السكون ونون –: جبل في ديار شَكْرٍ إِخْوَةِ بارِقٍ من الأَزْد باليمن . انتهى

وهذا صحيح وهو يقصد باليمن الجهة الجنوبية من الكعبة ، فحُزْنَةُ جبل مستدير أسود ، يطلُّ على بلدة (بَلْجُرَشِيٍّ) في الجنوب الغربي منها ، والاسم يطلق أيضاً على وادٍ تسيل فروعه من هذا الجبل وما حوله ، والجبل والوادي واقعان فيما يعرف قديماً بـ (سراة شَكْرٍ) ، وفي سفح هذا الجبل الشرقي على ضَفَّةِ وادي حُزْنَة قرية كبيرة تسمى حُزْنَة أيضاً ، سكانها من قبيلة غامد من (بَلْجُرَشِي) ويقع جبل حُزْنَةَ والوادي أسفله بقرب خط العرض٥٠'/٢١° ، وخط الطول٣٣'/٤١° جنوب مدينة بَلْجُرَشِي .

ولا أستبعـد أن حُزْنَـة هذه تصحفت (حذْمـة) على أبي عبيـد البكري ، فوردت في كتـابه معجـم ما استعجـم ، رسـم (جنفاء) وهو يتحدث عن بلاد فزارة ، وبلاد هاؤلاء جنوب الجزيرة فقال : ثم نزلنا حدمة وهي في أصل طَهَيان ، وطهيان : جبل قال الشاعر :

فـليت لنـا من مـاء زمزم شـربة مـبردة بـاتت عـلى طهيـان

يريد بدلاً من ماء زمزمٍ ... ، ولقد أبعد النجعة – رحمه الله – هو أو من روى عنه .

ولا أستبعد أن يكون الطَّهَيَان الجبل هو ما يعرف الآن باسم جبل (حُزْنَةَ) ، فمن عادة العامة أن يُغَيِّرُوا الاسم الذي يصعب عليهم نطقه ،

أو لا يفهمون معناه ، ولكن لا شك أن ما ذكره البكري بعيد عن موطن الشاعر الواقع في جنوب الجزيرة .

٤ - الشَّرَى وقال يعلى :

جَرَى مِنْهُ أَطْرَافُ الشَّرَى فَمُشَيّعٌ فَأُبْيَانُ فَالْحَيَّان مِنْ دَمِرَانِ

هذا الشَّرَى وادٍ لا يزال معروفاً ، يقع حدّاً بين بلاد غامد وبين بلاد خَثْعَم - أي في حد سراة شَكْرٍ قديماً - تنحدر سفوحه من جبل أُثْرُب الشرقي الجنوبي ، ويمتد حتى يتصل بوادي شُوَاصٍ ، أحدِ روافد وادِي رَنْيَةَ

ويقع وادي الشَّرَى بقرب خط الطول : ٥٨'/٤١° وبقرب خط العرض : ١٥'/١٩° .

تلك مواضع أربعة سماها الشاعر متشوقاً إليها ، ولا شك أنها من البلاد التي أَلِفها وعَرَفها فهي واقعة في سراة قومه وبقربها ، ومن هنا يمكن القول إن المواضع التي ذكرها الشاعر في قصديته تلك كلها واقعة في تلك الجهة من السراة في جنوب الجزيرة ، منها ما قد يكون معروفاً في عهدنا هذا ، ولكن لم تَجْرِ دارسةٌ شاملةٌ دقيقةٌ لجميع المواضع الواقعة في تلك المنطقة ، ومنها ما قد تغير اسمه ، إما لغرابة ذالك الاسم ، أو لدروس موضعه إذا لم يكن ذا صلة بما يستفيد منه السكان ، بحيث يبقى الاسم متوارثاً بينهم . وان ما ورد في كتب المتقدمين أو المتأخرين مما لا يتفق مع هذا التحديد ليس صحيحاً ، وأكتفي بهذا عن ذكر أمثلة من ذالك .

وأشير في ختام هذه الكلمة إلى ما قد يخطر في ذهن القارئ عن قبيلة شَكْر وهل لا تزال باقية ؟ والذي ظهر لي أنها وقد سبق ذكر الاختلاف في أصلها ، والقول بأنها من بَجِيلة ، ثم دخلت في الأزد ، ومثل

هذا يضعف منزلتها بين من انتسبت إليهم بالحلف أو الجوار ، وهم أزدُ السَّرَاة زهران وغامد ، فقد كانت في صدر الإسلام – على ما يفهم من رجز الدوسي –، تشارك قبيلة دَوْس الزهرانية ، ثم نراها مجاورة لقبيلة غامد من الناحية الجنوبية – على ما ذكر الهمداني وهو من أهل القرن الرابع – وليس من المستبعد أن تكون دخلتْ في هذه القبيلة ، فأصبحت من قبائل (بَلْجُرَشِي) الغامدية ، كما دخلت قبيلة لِهْبٍ الأزدية بسبب الجوار والنسب ، وأستأنسُ لهذا بأن بجوار قاعدة بَلْجُرَشِي وادياً يبعد عنها نحو ثلاثة أميال ، يدعى وادي (شَكْرَانَ) ، لا أستبعد أن يكون هذا الوادي مسمى باسم قبيلة شَكْرٍ ، وكثيراً ما تلحق العامة الألف والنون بالأسماء ، والمتتبع لدراسة تاريخ القبائل العربية يدرك أن كثيراً من فروع القبيلة قد تطغى شهرته ومكانته فتنضم إليه فروع أخرى من القبيلة بالنسب أو الحلف أو الجوار .

ولا يتسع المقام للتفصيل .

الرشاطي الأندلسي

الأستاذ عبد القادر زمامة

كانت الحاجة وما تزال ماسَّة في المباحث الراجعة إلى اللغة والتاريخ والجغرافية والحديث والفقه والأدب والحضارة وغيرها من العلوم الإسلامية، إلى تصحيح وبيان « المؤتلف والمختلف » من الأعلام والألقاب والأنساب والكنى وما إلى ذلك.

فالباحثون والدارسون والرواة والرحَّالون منذ العهد الأول لتدوين العلوم الإسلامية، أدبية وشرعية، أَوْلَوا الموضوع جانباً كبيراً من اهتماماتهم، وتسابقوا إلى تدوين هذا الرصيد من المؤلفات التي تتسع مجالاتها تارةً وتضيق تارةً أخرى. وهي في اتساعها وضيقها وتخصيصها وتعميمها واختلاف مناهجها في التناول والترتيب تُصَنَّفُ - في الغالب - داخل إطارين هما :

- **كتب الأنساب**.
- **وكتب المؤتلف والمختلف**.

ولا حاجة هنا إلى التنصيص على أننا نجد من مؤلفي كتب **الأنساب والمؤتلف والمختلف** المؤرّخ، والمحدِّث، والفقيه، واللغويّ، والأديب، والرحّالة، وغيرهم، من أهل المشرق والأندلس والمغرب في عصور مختلفة.

كما أنه لا حاجة هنا إلى التنصيص على أن عدداً لا يُستهان به من رصيد اللغة العربية في هذا الموضوع قد عرف طريقه إلى النور ، طبعاً وتحقيقاً ودراسة ورواجاً في هذا العصر .

إلا أننا نعلم أن هناك أيضاً عدداً لا يُسْتهان به من هذا الرصيد الثمين المفيد ما يزال ـــ كلياً أو جزئياً ـــ في عالم الخزائن ، مجتمعاً أو متفرقاً ترفعه رافعة ، وتخفضه خافضة .

ومن جملة ذلك كتاب :

– **اقتباس الأنوار والتماس الأزهار من أنساب الصحابة ورواة الآثار** ، لمؤلفه أبي محمد عبد الله الرُّشاطي الأندلسي ، لهذا وجدت نفسي مندفعة إلى كتابة هذا المقال الموجز ، أتحدث فيه عن هذا المؤلَّف الأندلسي وعن كتابه المذكور .

هناك معالم من ترجمة **الرُّشاطي** فيه عدة مصادر ، أندلسية ومشرقية ، من أهمها كتاب « **معجم أصحاب أبي علي الصَّدَفي** » الذي ألفه المؤرخ البلنسي أبو عبد الله ابن الأبَّار القضاعي (٦٥٨هـ = ١٢٦٠م)[1] .

ومن ترجمته هناك نستفيد اسمه ، ونسبه ، وميلاده ، وبعض شيوخه ، وبعض تلاميذه ، وبعض الغمرات العلمية التي خاضها مع معاصريه .

فهو عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي الحافظ النسَّابة من أهل مدينة **أوريولة** ، وُلد بها في سنة (٤٦٦هـ = ١٠٧٣م) وانتقل صغيراً مع أسرته إلى مدينة **المرية** وهو ابن ستة أعوام .

(١) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي : ٢١٧ – ٢٢٢ (ط. مدريد ١٨٨٥م) .

أما والده علي فقد كان من أهل الفضل والعلم ، وهو من أصحاب أبي الوليد الباجي الفقيه القاضي الأندلسي الشهير (٤٧٤هـ = ١٠٨١م) انتقل بأسرته إلى المرية في نحو سنة (٤٧٢هـ = ١٠٧٩م) أواخر عهد ملوك الطوائف .

وقد كتب له ترجمة قصيرة المؤرخ الحافظ محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي في كتابه **الذيل والتكملة** كما كتب أيضاً ترجمة قصيرة لنجل مؤلفنا **الرُّشاطي** المسمَّى عليا[٢] .

وهكذا يكون أبو محمد الرشاطي ولد بأوريولة ، وانتقل صغيراً إلى المرية . وبها نشأ وتعلم ولازم الأساتذة ، ومنها انتقل إلى مدن أندلسية أخرى بحثاً عن شيوخ المعرفة وأعلامها على عادة الأندلسيين .

وفي حدود المعلومات التي نتوفر عليها الآن من معالم ترجمة الرشاطي لا نعلم أنه قام برحلة خارج الأندلس ، لا إلى المشرق ولا إلى المغرب .

وكل ما نعلم أنه كان من الشخصيات العلمية البارزة في مدينة المرية ، على عهد دولة المرابطين التي كانت تحكم الأندلس في ذلك العصر ، وأنه كان مشهوراً ببعده عن صراعات عصره ، إلا أن ذلك لم يمنعه – وهو الخبير بأحوال بلاده – من أن يشيد بما قامت به دولة المرابطين من تحصينات وغزوات ، وما كان يقوم بها رجالها في الأندلس ، وما يحققونه من إنجازات أكسبتهم – كما يقول الرشاطي – احتراماً وهيبة وتقديراً داخل الأندلس وخارجها .

ولقد كتب الرشاطي في مادة « المرية » فقرات تفيض حيوية وتقديرا وتنويهاً بأعمال أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وما ظهر منها في ثغر

(٢) الذيل والتكملة ١/٥ : ٢٣٤ (ط. بيروت ١٩٦٥م) .

المرية على الخصوص قائلاً :

« وهي الآن في سنة سبع وعشرين وخمسمائة أعمر دار في الدنيا ، متخذة لهذا الشأن ، فيها من الآلات البحرية والعدد الحربية ما لم تجمعه دار قط » .

ومن أشهر شيوخ الرشاطي في الأندلس :

– أبو علي الصدفي القاضي الشهيد المعروف بابن سُكّرة ٥١٤هـ ١١٢٠م .

– أبو علي الغساني المحدث الشهير المعروف بالجياني ٤٩٨هـ ١١٠٥م .

– أبو بكر بن العربي المعافري دفين فاس ٥٤٣هـ ١١٤٨م .

ومن أشهر تلامذته :

– أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي المعروف بابن قرقول ٥٦٩هـ ١١٧٣م.

– أبو بكر محمد بن خير الأموي صاحب الفهرسة الشهيرة ٥٧٥هـ ١١٧٩م .

– أبو القاسم ابن بشكوال صاحب الصلة ٥٧٨هـ ١١٨٢م .

وكتب هذا الأخير لأستاذه الرُّشاطي ترجمة متوسطة أثنى فيها على كتاب : اقتباس الأنوار[٣] .

والرشاطي في عصره اشتهر بحفظ الحديث وروايته والاهتمام بتراجم الرواة وأنسابهم وأسمائهم وألقابهم وأوطانهم ، وانقطع إلى البحث والتحقيق في

(٣) الصلة ١ : ٢٨٥ (ط. القاهرة ١٩٥٥م) .

ضبط المعالم والأعلام وأعانه على ذلك تضلُّعُه من علوم اللغة والأنساب والتاريخ وجغرافية الأقاليم الشرقية والغربية ، وقد ترجم له الحافظ الذهبي في كتابه : « تذكرة الحفاظ[٤] » باعتباره من حفاظ الحديث المشهورين في الأندلس .

وبطبيعة الحال يكون تأليفه لكتاب : « اقتباس الأنوار » نتيجة لهذا الاهتمام حيث ذلل بعمله هذا كثيراً من الصعوبات أمام تلامذته وأمام رجال العلم والرواية في عصره وأفاد أجيالاً جاءت بعده بقرون ، فاهتمت بكتابه ونقلت عنه الشيء الكثير . وألف الرشاطي كتباً أخرى ذكرها ابن الأبار في ترجمته التي أشرنا إليها سابقاً . لكنه يجدر بنا أن نقف عند واحد منها يلفت الأنظار ، ألفه الرشاطي وهو يخوض غمرة من غمرات الحياة العلمية مع أحد أعلام عصره ، وهو القاضي المفسر عبد الحق بن عطية مؤلف التفسير الشهير : « المحرر الوجيز »٥٤٢هـ١١٤٨م وقد كان ابن عطية قاضياً في مدينة المرية وكان الرشاطي من علمائها الأعلام فحينما ظهر كتاب : « اقتباس الأنوار » واطلع عليه القاضي ابن عطية ، كتب انتقاداً له . يقول ابن الابار[٥] :

« وعابه بأشياء أوردها في تضاعيفه لم يخل فيها من تحامل وتعسف ، كان تركها أولى به » .

ولم يترك الرشاطي هذا « الانتقاد » الذي كتبه القاضي المفسر ابن عطية يمضي في طريقه منفرداً إلى مجالس العلماء ومحافل الباحثين بل إنه ألف كتاباً سماه :

---

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٣٠٧ . ط الهند ١٣٣٤هـ .

(٥) معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص٢١٨ .

« إظهار فساد الاعتقاد ببيان سوء الانتقاد » رد فيه على : « انتقاد » ابن عطية . ولا شك أنه كان لكل من القاضي ابن عطية والمحدث الرشاطي من يقف إلى جانبه وينتصر لرأيه .

وهذه غمرة خاضها الرشاطي في حياته العلمية بالمرية لا نعلم الآن الكثير عن تفاصيلها ، باستثناء ما أفادنا به المؤرخ ابن الأبار في ترجمة الرشاطي .

ويأبى القدر إلا أن يودع أبو محمد الرشاطي حياته العلمية الحافلة التي كانت تعطي ثمارها الناضجة في محافل البحث ومجالس الدرس وخلوات الكتابة والمطالعة والتأليف وداع العلماء الأبرار الصالحين الشهداء ، وذلك سنة ٥٤٢هـ = ١١٤٧م عندما دُخلت المرية على أهلها ، بعد حصار شديد ودفاع مستميت .

والباحثون عادة يخوضون في ضبط كلمة : « الرُّشاطي » ويبحثون عن أصلها ، وقد نقل الحافظ ابن عبد الملك المراكشي في كتابه : « الذيل والتكملة » عن كتاب : « اقتباس الأنوار » ما رواه الرشاطي عن عمة والده : « أسماء » في أصل هذه التسمية التي عُرف بها أحد أجداده . وسبب اطلاقها عليه ثم على ذريته من بعده(٦) .

---

(٦) الذيل والتكملة ٢/٨ : ٤٧٨ (تح. د. محمد بن شريفة/ الرباط ١٩٨٤) .
[ويشير الباحث الفاضل إلى ما قاله ابن عبد الملك في الذيل والتكملة وهو : « حكى أبو محمد عبد الله بن علي ... [الرشاطي] في كتابه : اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار نسبته الرشاطي وقال : ونقلته من خطه : هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها ، وقد كنت أظن أنها نسبة إلى موضع أو بلد ، فسألت عن ذلك أبي رحمه الله فقال : هذه نسبة قد شهرنا بها نحن وأباؤنا ولا أعلم لها أصلاً ، فسألت عن ذلك « أسماء » عمة أبي رحمهما الله فقالت : إن أحد أجدادنا كانت به في جسمه شامة كبيرة هي التي =

وبالاطلاع على ذلك تُطوى صفحة الظنون الأخطاء والفروض والاحتمالات التي خاض فيها كثير من المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً في أصل هذه التسمية وسجلوا ذلك في مؤلفات ومعاجم وأبحاث معروفة . ومنهم السيوطي الذي يقول : رشاطة بلد بالغرب[٧] .

لأن كلام الرشاطي حجة في الموضوع ولأن ابن عبد الملك نقل ذلك عن كتاب : « اقتباس الأنوار » مباشرة . وقد سبقه المؤرخ ابن خلكان إلى ذلك عند ترجمته للرشاطي في وفيات الأعيان[٨] .

ومن الطريف فيما يرجع لاهتمام رجال المعاجم والموسوعات بالرُّشاطي ، أن يستدرك الشيخ مرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ ١٧٩٠م مؤلف تاج العروس اسم الرشاطي على الفيروزابادي مؤلف القاموس المحيط ٨١٧هـ ١٤١٥م ويعاتبه قائلاً :

« وقد أغفله المصنف وهو آكد من كثير من الألفاظ العجمية التي يوردها[٩] » .

وعتاب الزبيدي مُنْصَبٌّ على الفيروزابادي لأنه كان يعرف الرشاطي من خلال آثاره – ولا سيما اقتباس الأنوار – وينقل عنه في عدة مواد لغوية في قاموسه المحيط مشيراً إليه باسمه الخاص – الرشاطي – ومع ذلك لم

= تعرف بالوردة ، ويسميها العجم : رشته ، وكانت له في صغره خادم عجمية تحضنه وتكفله ، فكانت عندما تحدّعه وتلاعبه تقول له : رشطاله ، وكثر ذلك منها حتى غلب عليه ، وقيل رشاطي » وانظر مجلة العرب للأستاذ حمد الجاسر ، س٢٦/ج١١–١٢، ص٧٢٤–٧٢٥/لجنة المجلة] .

(٧) لب اللباب : ١١٧ .

(٨) وفيات الأعيان ٢ : ٢٩٢ (تح. محيي الدين عبد الحميد) ، [وفيات الأعيان ٣ : ١٠٧ ، تح. د. احسان عباس] .

(٩) تاج العروس (رشط) .

يذكره في البـاب الذي ينبغي أن يذكره فيه ، وهذه وجهة نظر للزبيدي صاحب تاج العروس .

بعد هذه الخطوط العريضة من ترجمة الرشاطي التي قدمناها بايجاز وانتقاء ، نقف أمام مخطوطة : « اقتباس الأنوار » بنفس الطريقة والمنهاج .

لقد حظي هذا الكتاب بشهرة واسعة منذ القرن السادس الهجري في الأندلس وأقطار المغرب والمشرق . واعتمده اللغويون والمحدثون والمؤرخون والرحالون وغيرهم وقام عدد من الأعلام باختصاره ، ومنهم من كان يسميه تسمية مختصرة فيقول : « الانساب » للرشاطي .

ومن المصادفات التاريخية أن يؤلف أبو سعد عبد الكريم السمعاني المروزي٥٦٢هـ-١١٦٦مكتابه الشهير : « الأنساب » في نفس العصر وهو على طراز اقتباس الأنوار شكلاً ومضموناً مع بعض الفروق المعروفة .

وبالاستقراء والتتبع لمواد كتاب – الأنساب – يظهر أن السمعاني لم يستفد علمياً من مواد الرشـاطي ، وان كانت وفاته قد تأخرت عن وفاة أبي محمد الرشاطي عشرين سنة .

كما أن السمعاني كان على صلة وثيقة ببعض أهل الأندلس وأقطار المغرب الذين جابوا أقطار المشرق في رحلاتهم العلمية ، ووصلوا إلى مرو ونيسـابور ، وصاحب بعضهم وتبادل معهم الافادة والاستفادة ، وتحدث بذلك مرات في كتاب : « الانساب » في عدة مواد متفرقة منه .

والسمعاني يذكر في كتابه بعض الأنساب الأندلسية والمغربية مثل : الباجي ، والقرطبي ، والبطليوسي ، والسبتي ، والفاسي ، والأغماتي ، إلا أنه لا يستوعب . ولا يطيل النَّفَس كما هو الشأن بالنسبة للرشاطي الذي هو عمدة في الأنساب الأندلسية والمغربية .

ولو أنه اطلع على كتاب : اقتباس الأنوار أثناء تأليفه كتاب : الأنساب لما وقع في بعض الشكوك والأخطاء ، مثل قوله عن مدينة تلمسان :

« وظني أنها من نواحي الشام[١٠] » .

وقد عقب المؤرخ عز الدين ابن الأثير ٦٣٠هـ-١٢٣٢م في كتابه : « اللباب في تهذيب الأنساب » على كلام السمعاني فقال :

« ليست تلمسان من نواحي الشام وإنما هي من افريقية بين بجاية وفاس[١١] » .

وتتبعُ المصادر والمؤلفات الأندلسية والمغربية والمشرقية التي اتخذت - اقتباس الأنوار - سنداً لها ومرجعاً تنقل عنه وتستشهد بكلامه ، ليس هدفاً لنا في هذا العرض .

وكذلك تتبع المؤلفات التي قام أصحابها في مختلف العصور باختصار كتاب : « اقتباس الأنوار » ليس هدفاً لنا أيضاً .

ويلفت النظر أن الذين رأوا كتاب : اقتباس الأنوار في صورته الكاملة ذكروا أنه متسع المادة وأن هذه المادة الراجعة إلى الأنساب : شرقية وأندلسية ومغربية مرتبة على الحروف وأن الكتاب يشتمل على ستة أجزاء ضخام كما يقول ابن حجر العسقلاني في كتابه : « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه[١٢] » والشيخ مرتضى الزبيدي في تاج العروس[١٣] .

---

(١٠) الأنساب ٣ : ٧١ (ط. بيروت ١٩٨٠) .

(١١) اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٢٢٠ (ط. بيروت ١٩٨٠) .

(١٢) انظر مقدمة الكتاب ١ : ٢ (ط. القاهرة ١٩٦٤) ، ٤ : ١٥١٢ .

(١٣) تاج العروس ٥ : ١٤٣ (مادة رشط) .

كما يلفت النظر أن كلاً من أبي الحسن علي الخزاعي كاتب أشغال الدولة المرينية في المغرب ٧٨٩هـ ١٣٨٩م .

وابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ١٤٤٨م الحافظ المشهور .

يجعل كتاب : ــ اقتباس الأنوار ــ مصدراً له .

ــ الأول في كتاب : تخريج الدلالات السمعية(١٤) .

ــ والثاني في كتاب : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه .

واستخــلاصــاً من استقراءات وأبحاث متعددة يظهر أنه ــ حتى الساعة ــ لا يمكننا أن نشير إلى نسخة مخطوطة كاملة معروفة من كتاب : اقتبــاس الأنوار كالتي كانت بيد المؤلفـين المستفيدين منهـا طوال قرون ، والمؤلفين الذين اختصروا موادها أو هذبوها .

وكل ما يمكن أن نشير إليه الآن مما هو موجود :

١ــ النقـول المتعددة التي بقيت في عدة كتب أندلسيـة ومغربيـة ومشرقية وهي شيء كثير .

٢ ــ المختصرات التي منها التام ومنها الناقص .

٣ ــ أقسـام من أصـل الكتاب يشـار إليها عند الباحثين المهتمين بالرشـــاطي وكتابه . وقد ضـاع بعضها من الخزائن التي كانت مقراً لها ، ولا نتتبع ذلك الآن .

---

(١٤) انظر المقدمة والخاتمة من هذا الكتاب (ط. بيروت 1980) . [نشرت دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٩٨٥ كتاب تخريج الدلالات السمعية بتحقيق الدكتور إحسان عبـاس ، وقد عدّد المحقق (ص٨٣٢) المواضع التي ورد فيها النقل عن الرشـاطي . وكان أبو الحسن الخزاعي قد ساق في ختام كتابه التواليف التي رجع إليها في كتابه ، فذكر من بينها كتاب اقتباس الأنوار (ص٧٩١)/لجنة المجلة] .

ولا نودع الحديث عن الرشاطي الأندلسي وكتابه دون أن نشير إلى عملين مفيدين منشورين :

– **الأول** : نص نشرته مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد في عددها الرابع عشر سنة ١٩٦٧/ ١٩٦٨م وهو نص لابن الشباط التوزري المصري ٦٨١هـ ١٢٨٢م ساقه في شرحه للقصيدة المعروفة باسم : الشقراطيسية وهي من قصائد المدح النبوي ، واعتمد في ذلك النص على نقول من المختصر الذي كتبه عبد الحق الإشبيلي المعروف بابن الخراط ٥٨١هـ ١١٨٥م لكتاب : اقتباس الأنوار .

– **الثاني** : كتاب نشره المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد ١٩٩٠م يشتمل على نصوص من كتاب اقتباس الأنوار ونصوص من اختصاراته اختيرت بعناية ودقة وهي خاصة بالأنساب المتعلقة بالمدن الأندلسية مع تقديم وتحقيق وفهرسة على جانب كبير من التنظيم والإتقان .

مع بيتي الرقمتين أيضاً

الأستاذ عبد القادر زمامة

عرف الزملاء والأصدقاء في أخيهم هذا = ومند سنوات = بحثه في المصادر والمراجع المتعددة عن نسبة عدة آثار شعرية ونثرية إلى أصحابها ، وتحقيق هذه النسبة بما يكفي من الأدلة الممكنة .

وكان من جملة تلك الآثار بيتا الرقمتين الشهيران اللذان يستشهد بهما النحاةُ واللغويون ومؤلفوا كتب البلاغة والبيان ، ويستعملهما بعض المتأدبين من رجال التصوف . وهما :

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالِيَ وصلها بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمراً ولكنْ رأيتُ بعينها ورأت بعيني

وكان كثير ممن يستشهد بهما يهمل نسبتهما ، أو ينسبهما إلى عالم المغرب ونابغة سبتة القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ، وكان في نفسي من ذلك شيء .

وهذا ما حمل هذا القلم على كتابة بحث في الموضوع انتهى فيه إلى تحقيق نسبة بيتي الرقمتين إلى صاحبهما الحقيقي وهو : أبو البركات المبارك بن أحمد بن موهوب اللخمي الإربلي شرف الدين بن المستوفي ، وزير ملك إربل مظفر الدين كُوكبوري ، وقد توفي ابن المستوفي بالموصل سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٤م) . وله آثار شعرية ونثرية طبع بعضها في هذا العصر .

وكان الفضل في إفادتي بصاحب بيتي الرقمتين يرجع إلى كتيِّب اسمه : « كمالُ العطية بإعراب كلمات من العربية » لمؤلفه العالم المغربي المرحوم محمد بن علي دينية الأندلسي الرباطي .

ثم إلى شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) في كتابه : طراز المجالس ، حيث نسبهما إلى ابن المستوفي في المجلس الحادي والعشرين من كتابه المذكور .

ولعله من المفيد أن نذكر هنا بعضَ المصادر والمراجع المتداولة التي نسبت بيتي الرقمتين إلى القاضي عياض . وبعض الباحثين المعاصرين يعتمدون عليها . فمنها :

– المعجم اللغوي الذي ألّفه بطرس البستاني (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م) : محيط المحيط ، واختصاره : قطر المحيط ، حيث نسب بيتي الرقمتين في مادة (ر ق م) إلى القاضي عياض .

– المختارات الشعرية المسماة : « نفح الأزهار في منتخبات الأشعار » التي جمعها شاكر البتلوني الحاصباني المتوفى بعد سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م . وقد ذكر البيتين (ص٩) ، ونسبهما إلى القاضي عياض .

– النبوغ المغربي في الأدب العربي لمؤلفه العالم المغربي المرحوم عبد الله كنون ، فقد ذكر البيتين في قسم المنظوم (الجزء الثالث ، ص٦١ ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ونسبهما إلى القاضي عياض .

ومن أجل هذا وجب التنبيه .

تعليق

الدكتور شاكر الفحام

١

عُرف الأستاذ عبد القادر زمامة بشدة تنقيره وبحثه عن صاحب بيتي الرقمتين ، وكان مما قام به في هذا الباب أن نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج٤٦ ، ج٤/١٩٧١م) كلمة بيّن فيها الخطوات التي سارها للكشف عن قائل هذين البيتين ، وأشار إلى إغفال المؤلفين السابقين نسبة البيتين إلى قائلهما ، وساق أمثلة لذلك ما جاء في نفح الطيب ، ودرة الحجال ، والمسلك السهل ، والأنيس المطرب . وتشكك في نسبة البيتين إلى القاضي عياض كما جاء في كتاب نفح الأزهار للبتلوني ، وكتاب النبوغ المغربي الذي نقل عنه . ورغب إلى الباحثين أن يفيدوه بما لديهم في نسبة البيتين .

ثم نشرت مجلة المجمع (مج٥٤ ، ج٤/١٩٧٩م) كلمة للأستاذ عبد الإله نبهان ذكر فيها أن الشهاب الخفاجي أورد البيتين في كتابه : طراز المجالس . وكان الشهاب قد قرأهما في ديوان ابن المستوفي الإربلي الذي قالهما بديهة في سنة ٦٠٤هـ ، وعقّب الشهاب الخفاجي مشيراً إلى ما لقيه هذان البيتان من عناية الأدباء واهتمامهم .

وعاد الأستاذ زمامة فنشر في مجلة المناهل (العدد ٣٤/يوليو ١٩٨٦م ، ص٦٩ – ٧٩) مقالته : (مع بيتي الرقمتين وصاحبهما) ، ومما تضمنته أنه عثر في كتاب : « كال العطية بإعراب كلمات من العربية »

لمحمد بن علي دينية الأندلسي الرباطي على نسبة البيتين إلى ابن المستوفي ، كذلك فقد أشار إلى كلمة الأستاذ عبد الإله نبهان التي نشرها في مجلة المجمع .

وتأتي كلمة الأستاذ زمامة هذه (مع بيتي الرقمتين أيضاً) إكمالاً وتتمة لما سبق أن نشره .

٢

وكنتُ قد علقت في نسختي من مجلة المناهل على حاشية مقالة الأستاذ زمامة جملةً من الفوائد التي طالعتني في بطون الكتب فرأيت الإشارة إليها :

١ – جاء في كتاب كشف الظنون (١ : ٦٣٥) وهدية العارفين (١ : ١٢٦) أن أحمد بن محمد البجائي (ت ٨٤١هـ) قد صنف كتاب : حدق المقلتين في شرح بيتي الرقمتين .

٢ – وأشار البارون دو سلان في فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية (ص٧٥٣) إلى مخطوط البجائي : حدق المقلتين .

٣ – وذكر الزركلي في كتابه الأعلام (١ : ٢٢٧) مخطوط البجائي في شرح بيتي الرقمتين ، وأنه يتضمن (٤١) معنى لهما .

٤ – ومن الكتب التي عرضت لتفسير بيتي الرقمتين ، فضلاً عما أورده الأستاذ زمامة (مجلة المجمع ، مج٤٦ ، ص٨٣٠ – ٨٣١) :

(١) كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٥ : ٣٥) للمقري ، فقد ساق الخبر نفسه الذي أورده الأستاذ زمامة من كتاب نفح الطيب .

(٢) كتاب المواقف (٢ : ٣١٥) للأمير عبد القادر الجزائري ، في الموقف التسعين بعد المئتين .

(٣) وخلاصة الأثر (١ : ٤٣١) في ترجمة الشيخ أيوب بن أحمد الخلوتي .

(٤) ومعادن الجواهر ونزهة الخواطر (١ : ١٦٣) للعلامة السيد محسن الأمين العاملي . والغريب أن العلامة محسن الأمين العاملي يستفتح البيتين بقوله : « قال ابن المستوفي » ، وكأن موضوع نسبة البيتين إلى صاحبهما على طرف الثمام .

وكان الأستاذ زمامة قد تحدث عن كثرة السائلين والمجيبين عن معنى البيتين ، ورأى ألا مجال لإيراد ذلك (مجلة المناهل ، العدد ٣٤ ، ص٧٢) .

٣

١ ــ ذكر الأستاذ زمامة أن مؤلف كتاب « كمال العطية » هو محمد بن علي دينية .

وقد وجدتُ الأستاذ الزركلي في الأعلام (٦ : ٣٠٤) وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (١١ : ١٠) يذكران أنه : دنية (بدال تليها نون فياء ...) .

٢ ــ أورد الأستاذ زمامة أن شاكراً البتلوني توفي بعد سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م . وجاء مثل ذلك في كتاب الأعلام للزركلي (٣ :

١٥٢) ، أما صاحب معجم المؤلفين (٤ : ٢٩٠) فقد ذكر أنه كان حياً سنة ١٨٧٦م .

لم يتح لي أن أحقق تاريخ وفاة البتلوني . ولكني وجدت في مجلة الضياء للشيخ إبراهيم اليازجي (السنة السادسة – الجزء الخامس الصادر في ١٩٠٣/١٢/١٥ ، ص١٥٢) حديثاً عن الطبعة السابعة لكتاب نفح الأزهار في منتخبات الأشعار للمرحوم شاكر البتلوني ، مما يقطع بأن ما جاء في كتاب الأعلام للزركلي بشأن تاريخ وفاته مجانب للصواب .

أما الطبعة الأولى لكتاب نفح الأزهار فقد تمت سنة ١٨٧٨م (مجلة المقتطف ، السنة الثالثة – الجزء الرابع ، ص١١٢) .

ويحسن أن يصحح على هدي ذلك ما جاء في كتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس (١ : ٥٢٦) .

٣ – تحدث الأستاذ زمامة عن أربعة من المراجع المتداولة التي نسبت بيتي الرقمتين إلى القاضي عياض .

قلت : يُضم إليها خامس هو معجم أقرب الموارد للشرتوني (مادة/رقم) .

بقية الخاطريات

للإمام

أبي الفتح عثمان بن جني

« وهي مالم ينشر في المطبوعة »

تحقيق

الدكتور محمد أحمد الدالي

بقيَّة « الخاطريات »

للإمام أبي الفتح عثمان بن جني
وهي ما لم ينشر في المطبوعة

حققها وعلّق عليها
الدكتور محمد أحمد الدالي

وقفت يوماً – أظنه سنة ١٩٨٠م – على مصورة عن قطعة من مخطوطة كتاب الإمام أبي الفتح عثمان بن جني « الخاطريات » التي تحتفظ بها مكتبة الأسكوريال برقم ٧٧٨ ، وسماها بعض من وقف عليها « مجموع في علم البلاغة » !! ولا تُعرف لها ثانية فيما نعلم .

وهذه القطعة المصورة ثلاثون لوحاً (٤٢ – ٧٢) فيه الأوراق ٤١ظ – ٧١ظ ؛ فعدّة صفحاتها ستون (٨٢ – ١٤٢) . وفيها خرم في غير موضع منها واضطراب في ترتيب أوراقها .

وكنت قد أخذت في انتساخها ، وحدثت بأمرها أستاذي علامة الشام أحمد راتب النفاخ(*) ، فأخبرني – حفظه الله – أن الأستاذ علي ذو الفقار شاكر ابن أخي العلامة الشيخ محمود محمد شاكر – أطال الله بقاءه – يعمل فيها ، فتركتها وانتظرت فراغ الأستاذ علي من العمل فيها ونشرها . ثم لقيت الأستاذ عليّاً سنة ١٩٨٢ فيما أظن في منزل الأستاذ

(*) [اختار الله لجواره الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ يوم الجمعة ١١ شعبان ١٤١٢هـ/١٤ شباط ١٩٩٢م ، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له . وكان صاحب المقالة سلّمها إلى المجمع من قبل] .

النفاخ ، فأخبرني – وقد جرى ذكر الخاطريات – أنه يكاد يفرغ من العمل فيها .

ثم كرّت السنون ، وسمعت أنها طبعت بدار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٨ ، ولم أرها . ثم اقتنيت نسخة منها بتاريخ ١٩٩١/١٢/١٥ . فأخذت في قراءتها ، وخطر لي أن أبحث عن مسائل فيها كنت على ذُكر منها ، ومسائل كنت أحلت عليها في بعض ما نشرت أو في بعض ما أراجع فيه من كتب العربية ، فلم أُصب في « الخاطريات » المطبوعة بعض تلك المسائل . ثم أيقنت أن المطبوعة خالية من بعض المسائل .

ولّما رجعت النظر في مصورة قطعة مخطوطة الخاطريات التي عندي والمطبوعة تبين لي أن الأستاذ عليّاً حقق من الخاطريات ٥٢ لوحاً ، وترك ٢٠ لوحاً ، هي الألواح ٢/٥٣ – ١/٧٢ وهو آخر الكتاب .

أعاد الأستاذ علي الأوراق المضطربة إلى مواضعها ، وجعل الكتاب في ثلاثة أقسام :

القسم الأول تضمن ٢٢٥ مسألة . وهو في المخطوطة في الصفحات ١ – ١٠٥ = الألواح ١ – ٢/٥٣ .

والثاني ما خرجه ابن جني من شعر تأبط شرّاً ٣٧ مسالة (المسائل ٢٢٦ – ٢٦٢) . وهو في المخطوطة في الصفحات ٩٣ – ٩٦ = الألواح ٢/٤٧ – ١/٤٩ و٧٥ – ٨٠ = الألواح ٢/٣٨ – ٢/٤٠ ، و١٣٩ = اللوح ٢/٧٠ .

والثالث معان وفوائد عن أحمد بن يحيى أبي العباس ثعلب ١٧ مسألة (المسائل ٢٦٣ – ٢٧٩) ، وهو في المخطوطة في الصفحات ٥١ – ٥٥ = الألواح ١/٢٦ – ٢/٢٨ .

وآخر القسم الأول الذي اشتمل على ٢٢٥ مسألة انتهى في الصفحة

١٠٥ من المخطوطة = اللوح ٢/٥٣ في السطر السادس منها . وما يأتي بعده من السطر السابع إلى آخر الكتاب – وعدة ألواحه ٢٠ لوحاً (الألواح ٢/٥٣ – ١/٧٢ = الصفحات ١٠٥ – ١٤٢ من المخطوطة – لم ينشره الأستاذ المحقق .

ولا أملك تفسيراً لهذا إلا أن يكون الأستاذ في حلّه وترحاله وبعد عهده بعمله في الكتاب ندت عنه هذه الأوراق من المخطوطة محققة أو غير محققة ، ثم لمّا تفرّغ له رقم مسائله التي بين يديه في الأقسام الثلاثة ، ولم يكن قد رقمها أولُ لأنه لو فعل لوقف على النقص الذي لحق الكتاب في القسم الأول منه .

فرأيت أن أستدرك ذلك ، فأحقق ما لم ينشر من الخاطريات ليفيد منه قارئو الكتاب ، وليكون بين يدي الأستاذ الفاضل المحقق ، فيجعله في موضعه من الخاطريات في طبعة تالية إن شاء الله .

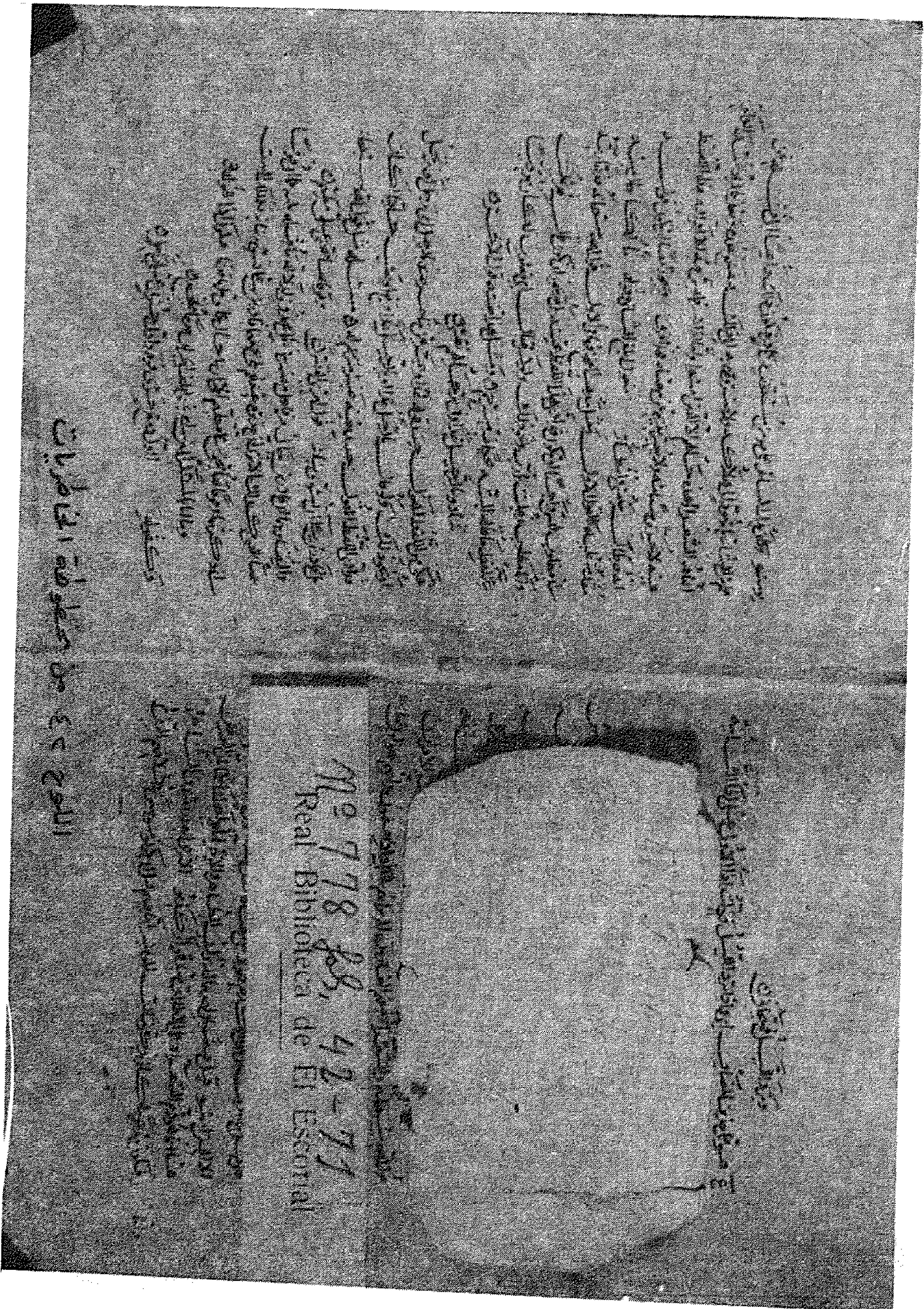
ورقمتُ المسائل برقمين : الأول رقم المسألة في بقية الكتاب التي أنشرها ، والرقم الثاني الذي جعلته بعد علامة المساواة (=) رقم المسألة في « الخاطريات » ، وتبدأ الأرقام بالرقم (٢٢٦) وموضعه في الخاطريات المطبوعة ص١٦٤ عقب المسألة ٢٢٥ .

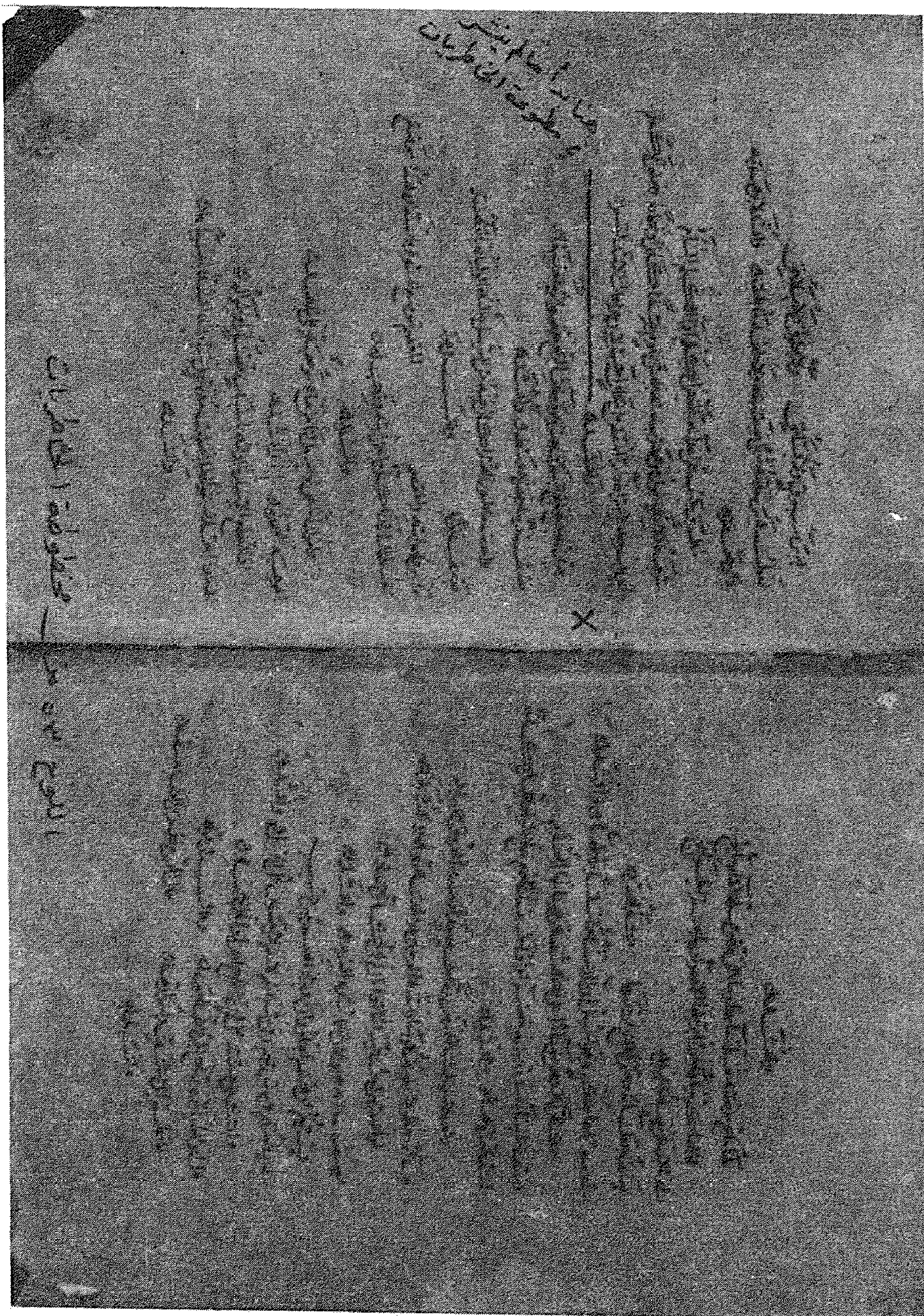
ولم آلُ جهداً في قراءة المخطوطة ، وبقي فيها في بعض المواضع كلمات لم أحسن قراءتها أو لم أكن على ثقة منها ، فأثبت صورتها التي ظهرت لي فيها .

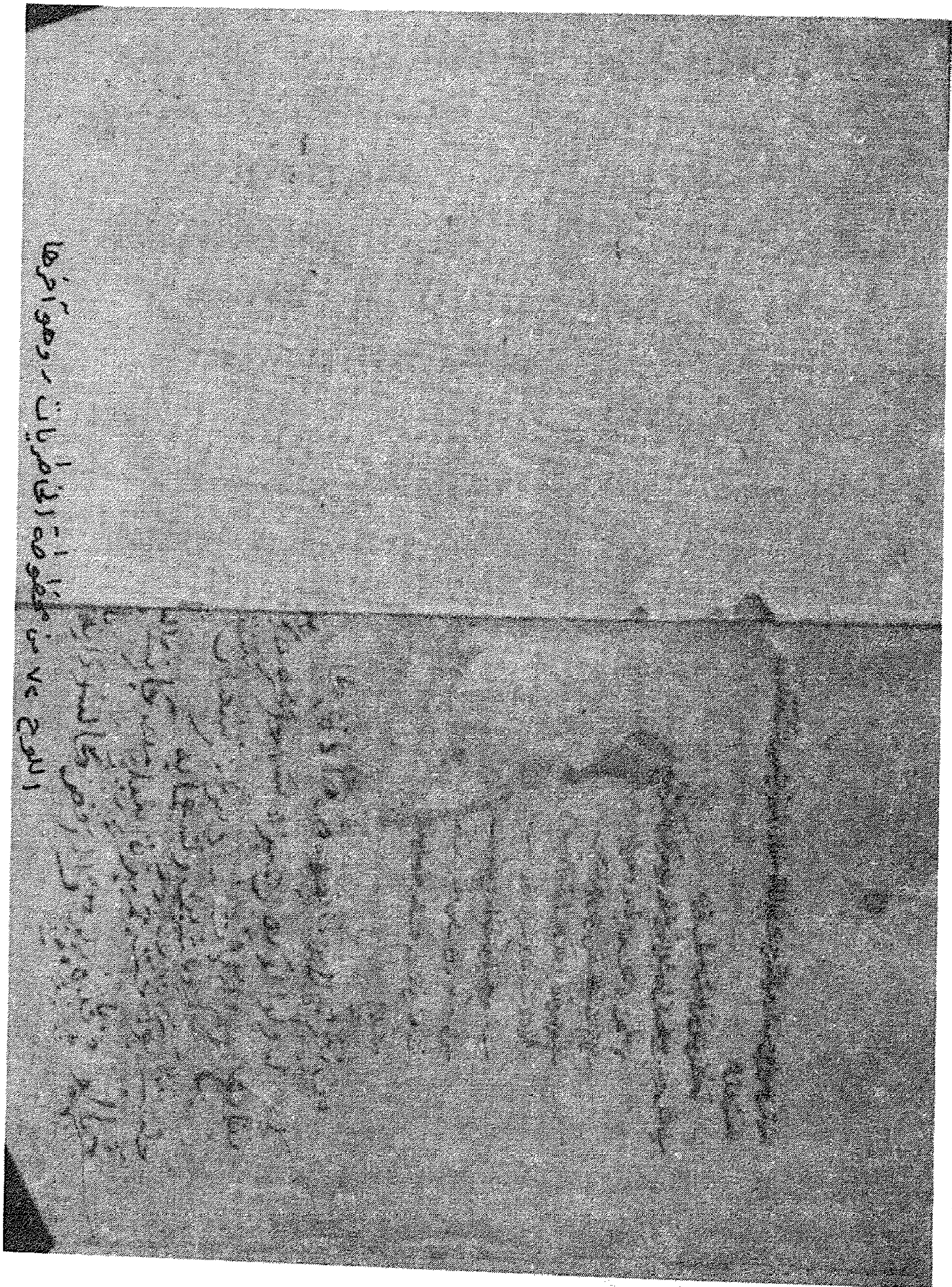
واقتصدت في التعليق اقتصاداً ، واقتصرت على ما لا بدّ منه ؛ لأنّ في غير مسألة من مسائل « بقية الخاطريات » هذه وفي غيرها من المسائل التي تقدمتها وتلتها =مواضع يحتاج النظر فيها وتحريرها وتحقيقها وتتبعها إلى وقت طويل وجهد عظيم ، وذلك ما يؤمل من الأستاذ الكريم أن يصنعه في

طبعة تالية ، وهو أهل له وذو مقدرة عليه إن شاء الله . والخير أردت ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه محمد أحمد الدالي


Real Biblioteca de El Escorial




اللوح ٧٢ من مخطوطة الخاطريات ، وهو آخرها

١ = [٢٢٦] وأنشد(١) :

جَرَى فأَوْدَعَ لَمْعَ البَرْقِ بُهْرَتَهُ وجَاءَتِ الرِّيحُ تَعْفُو أَثْرَ ما صَنَعا

يصف فرساً . وبُهْرَتُه : وسطه .

٢ = [٢٢٧] وأنشد :

وأَحْنَفَ مَأْطُورِ القَرَا كانَ جُنَّةً مِنَ السَّيْلِ عَالَتْهُ الوَلِيدَةُ بالفِهْرِ(٢)

يصف نؤياً .

٣ = [٢٢٨] وقال في قوله(٣) :

ما بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ والمِعْصَمِ

المعصم : موضع السِّوَار ، فاستعاره هنا [لـ](٤) موضع الخلخال . أراد تأكل ما بين رأسه ورجله .

٤ = [٢٢٩] وأنشد(٥) :

ولَفُوكِ أَشْهَى لو يَحِلُّ لنا مِنْ ماءِ مَوْهَبَةٍ على شَهْدِ

الموهبة : الصخرة .

٥ = [٢٣٠] وأنشد .

---

(١) الضمير في « وأنشد » أكبر الظن أنه يعود على ابن الأعرابي ، يدل على ذلك سياق المسائل السابقة ، وكأنّ ابن جني ينقل من نوادره .

(٢) في الأصل : « بالقَهْر » وهو تصحيف صوابه ما أثبت .

(٣) وهو عنترة ، والبيت من معلقته ، ديوانه ٢١٠ . وصدر البيت :

وتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥)البيت بلا نسبة في الصحاح (و هـ ب) ، وتهذيب اللغة ٦/٤٦٤ . وروايته في اللسان (و هـ ب) : « أشهى إن بذلت لنا ... على خَمْرٍ » عن المحكم ، والروايتان في التاج (و هـ ب) . وقال ابن الأعرابي : « الموهبة : نقرة في صخرة ، يستنقع فيها ماء السماء » عن تهذيب اللغة .

إِذَا انْقَطَعَ الأَمَارُ تَنَاوَلَتْهُ ... بِأَسْبَابٍ قِصَارٍ أو طِوَالِ

الأَمار : العلامة . يقول : إذا انقطعت مدة رجل تناولته المنيّة بأسبابها .

٢/٥٣ ٦ = [٢٣١] وأنشد/ :

وكانَ لنا حِرْجٌ قديمٌ عليكم ... وأَسْلاَبُ جَبَّارِ المُلُوكِ وحامِلُهْ

حامله : فرسه . يريد أنه سلب ثيابه وفرسه .

٧ = [٢٣٢] وأنشد – ع[٦] هذا كقوله[٧] :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيـ ... ـدِ . . . . :

تَرَكْنَا بالنَّوَاصِفِ مِنْ حُسَيْنٍ ... نِسَاءَ الحَيِّ يَلْقُطْنَ الجُمَانا[٨]

يقول : أَمِنَّ حتى لو مكثت امرأة على لقط جمانها إذا سقط ما خافت . و« حُسَين » موضع .

٨ = [٢٣٣] وأنشد :

(٦) رمز ابن جني في « الخاطريات » لنفسه بالحرف الأول من اسمه عثمان .

(٧) وهو عوف بن عطية بن الخَرِع ، المفضليات ٤١٤ ، والكامل ١٠١٤ ، وأدب الكاتب ١٢٠ . وتمام البيت :

يتَّخِذ الفأرُ فيه مَغَارا

قال المبرد : « يريد لو دخل الفأر فيه لصلح » .

(٨) البيت ثالث ثلاثة أبيات لزيادة بن زيد العذري أنشد ابن حبيب أولها في أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ٢٥٨/٢) ، وهي بلا نسبة في ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١٤/٢ . ونسب البيت إلى هدبة بن خشرم العذري في الفصول والغايات ٢٨٠ ، والصاهل والشاحج ٣٥٢ (وفيه : للحارثي ، وهو هدبة) ، وهو وهمٌ ، ولهدبة بيتان على هذا القريّ أجاب بهما زيادة ، انظر أسماء المغتالين . والبيت بلا نسبة في معجم البلدان ٢٦٠/٢ ، ومعجم ما استعجم ٤٤٨ ، وسمط اللآلي ٢٨٧ ، والدرة الفاخرة ٥٢٦ ، والصحاح واللسان والتاج (ح س ن) .

(إذا ما البيد أزمل أَصْرَمَاهُ)[٩] فثَــمَّ أُكَلِّفُ الحَمْــلَ الخَلِيــلا
فــأَحْمَــدُهُ على مــا كانَ مِنْــهُ ويَحْمَــدُني إذا نَـزَلَ الْمَـقِيـلا

يقول : أنحر بعيري لخليلي إذا لم يجد ما يأكل ، وأكلفه حمل رحلي ، فأحمد فعله ويحمدني عند نزوله .

٩ = [٢٣٤] وأنشد :

تَظَـلُّ [به][١٠] العِشَـار مُخَزَّماتٍ وتَتْبَـعُ أَهْـلَهـا المِعْـزَى الرُّبـابُ

يصف موضعاً قد سمنت عِشاره حتى انفتقت سِمَناً ، فيَشُدُّون[١١] آنُفَها حتى تمنع من الأكل .

١٠ = [٢٣٥]وأنشد :

بِتْنَـا يُحَاكي الفحْجُ دَمْكَ الأَحْجَارْ
يَـدْحَضُ منهــا كُلُّ جَـلْدٍ جِعْظَـارْ

هؤلاء قوم في وَحَـلٍ قد نشبـوا فيـه ، فهـم[١٢] ينفحجون كأنهم يحكون الذين يطحنون بالأحجار . والجعظار : الغليظ الشديد .

١١ = [٢٣٦] وأنشد :

ثُمَّتَ يَصْــدُرْنَ إذا الرَّاعِي صَــدَرْ
في مِثْلِ جِلْبَابِ العَرُوسِ ذِي العِطِرْ[١٣]

يريد من طيب رائحة ما تأكل من النبت والعشب . ولذلك قال

(٩) كذا وقع .

(١٠) زيادة يستقيم بها الوزن .

(١١) في الأصـل : « فيسرّون » ولعل الصواب ما أثبت . أي يشـدون آنفها بالخِزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد بها الزّمام .

(١٢) في الأصل « فهو » والصواب ما أثبت .

(١٣) ضبط في الأصل : العَطِر ، والصواب ما أثبت .

أبو مَهْدِيّة[١٤] لمّا وجّه إليه أبو عمرو بن العلاء[١٥] : كيف تقول : ليس الطِّيب إلا المِسْك ؟ فلم يدر أنهم يريدون الإعراب = فأين الجَادِيُّ ، فأين أدهانٌ بحَجْر ، فأين بَنَّةُ الإبل الصادرة ؟. أي من طيب ما تأكل لها بَنَّة ./ ١/٥٤

١٢ = [٢٣٧] وأنشد[١٦] :

الشَّــوْلُ والنُّـطْـفَـــةُ والذَّنُـوبُ
حــتى تَـرَى مَـرْكُوَّهــا يَثُــوبُ

الشَّوْل : الماء القليل ، والنطفة أقلّ منه وأكثر من الذَّنوب[١٧] . والمَرْكُوّ : المُصْلَح[١٨] ، والهاء راجعة على الإبل . يريد : يُجْمع شيء إلى شيء فيكثر .

١٣ = [٢٣٨] حَيَّاك الله وبَيَّاك وبَوَّاك .

١٤ = [٢٣٩] وأنشد :

تَبَــدَّلْتُ بَعْـدَ الخَيْـزُرَانِ جَرِيدَةً وبَعْـدَ ثِيــابِ الخَزِّ أَحْـلامَ نـائم

يقول : تبدَّلت بعد اللين شدة . والجريدة : السَّعَفة . وأحلام نائم

---

(١٤) انظر النبات لأبي حنيفة الدينوري ١٩٥ .

(١٥) انظر خبر مجلس أبي عمرو مع عيسى بن عمر في مجالس العلماء ١ ، والأشباه والنظائر ٥١/٣ ـ ٥٣ ، وذيل الأمالي ٣٩ ، وسفر السعادة ٢ ٨٠ والمصادر المذكورة ثمة .

(١٦) البيتان في اللسان (ر ك و ، س ج ل) ، وتهذيب اللغة ٥٨٥/١٠ . والرواية في البيت الأول : « السَّجل والنطفة » .

(١٧) كذا وقع !! وصوابه : والنطفة أكثر منه وأقلّ من الذنوب .

(١٨) في تهذيب اللغة ٣٤٩/١٠ عن ابن الأعرابي : « ركوتُ الحوضَ : أي سوّيته » . ونقل الأزهري عن أبي عبيد عن أبي عمرو أنّ المركوّ الحوض الكبير ، ثم قال : « والذي سمعته من العرب في المركوّ أنه الحوض الصغير الذي يسوّيه الرجل بيديه على رأس البئر ... » .

ثياب بالمدينة مشهورة .

١٥ = [٢٤٠] وأنشد[١٩] :

فقـد تَـركَتْ خُزَيْـةُ كلَّ وَغْدٍ   يُمَشّـي بـين خَـاتَـامٍ وطَـاقِ

خزيبة : معدن من معـادن الذهب . أي تَرك الأوغادَ يمشون في الطيالسة والخواتيم لكثرة ما أخذوا منه .

١٦ = [٢٤١] وأنشد[٢٠] :

فشَـنَّ في الإبْـرِيقِ مِنْـهـا نُزَفـا
مِنْ رَصَف نـازَعَ سَيْـلاً رَصَفـا

أي فشنّ في إبريق من الخمر إبريقاً من الماء .

قال أبو العبـاس[٢١] : دخلت إلى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب وعنده محمدُ بن عمرو بن أبي عمرو[٢٢] الشيباني وجماعة من أهل الأدب ، وكان أحمد بمحـلّ من الأدب والفهم ، فسـألوني عن هذا البيت ، فجهدت أن يفهموا تفسيره فلم يفهموه ، وافترقوا على تعجبهم من فهمي . عُ[٦] يعني فشن في الإبريق .

١٧ = [٢٤٢] وأنشد :

مَتَى تُنْتَجُ البَلْقَاءُ يا سَعْدُ أَمْ مَتَى   تُلَقَّحُ مِنْ هَذَا النَّعَـامِ شَـوَائِلُهْ

هذا مثل قولهم « دجاجتُهم تحمل كُرّاً » يضرب مثلاً للقوم إذا رفعوا

---

(١٩) البيت في تهذيب اللغة ٧/٢١٢ ، واللسان (خ ز ب ، ط و ق) ، ومعجم البلدان (خزيبة) ٢/٣٧٠ (وفيه : وقد نزلت خزيبة ، وهو تحريف) .

(٢٠) للعجاج ، ديوانه ٢/٢٢٤ .

(٢١) أحمد بن يحيى ثعلب .

(٢٢) في الأصـل : محمد بن عمر بن أبي عمر ، والصواب ما أثبت . وقد ذكر محمد هذا في مجالس ثعلب ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ .

أنفسهم فوق أقدارهم ؛ ومثل قوله[٢٣] :

قَدْ طَرَّقَتْ نَاقَتُهُمْ بِإِنْسَانْ

٢/٥٤ ١٨ = [٢٤٣] وأنشد[٢٤]/ :

دَعَوْنَا نَزَالِ فَلَمْ يَنْزِلُوا وكَانَتْ نَزَالِ عَلَيْهِمْ أَطَمْ

وأُطُمْ[٢٥] ، أي جعلناهم مثل القصر .

١٩ = [٢٤٤] وأنشد :

وشاربٍ ما وَعَاهُ بَطْنُ صَاحِبِهِ رِيّاً فأَحْيَاهُ مَيْتٌ بَعْدَما ماتا

يعني افْتِظاظ[٢٦] كرش البعير لِعِوَز الماء .

٢٠ = [٢٤٥] مسألة :

قال سيبويه[٢٧] في تحقير عِثْوَلّ : عُثَيِّل وعُثَيِّيل ، واحتجَّ بأنه ملحق بـ « قِرْشَبّ » ، فكما تقول في تكسيره قراشبُ فكذلك تقول عَثَاوِل وعُثَيِّل . ثم إنه قال[٢٨] فيما بعد في حَبَنْطًى : إن شئت حُبَيْطٍ ، بحذف النون ، وإن شئت حُبَيْنِط ، بحذف الألف ، قال : لأنهما ملحقتان بذوات الخمسة . وكذلك قال في « كَوَأْلَل » : إن شئت كُوَيْئِل ، وإن شئت

(٢٣) وهو سالم بن دارة الغطفاني ، والبيت من أبيات له في اللسان (ح د ب) ، والتكملة (ح د ب ، ح د ب د) . وعزيت إلى أبي المنهال في اللسان (أ ي ن) . وهي بلا نسبة في الخصائص ٩١/٣ . أي ولدت ناقتهم حُواراً نصفه إنسان ونصفه جمل .

(٢٤) لجُرَيْبَة بن الأشيم الفقعسي ، ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٧٧٦ ، واللسان (ن ز ل) ، وهو بلا نسبة في الإنصاف ٥٣٥ .

(٢٥) لا أعرف أحداً رواه « أُطُم » وهي رواية معناها كما تراه . و« أَطَمّ » أفعل من طمّ البحر : إذا غلب سائر البحور ، عن المرزوقي .

(٢٦) افتظاظ الكرش : أن يعتصر ماؤها ويشرب في المفاوز .

(٢٧) في الكتاب ١١٢/٢ .

(٢٨) في الكتاب ١١٥/٢ ـ ١١٦ .

كُوَّيْلِل[٢٩] .

وللسائل فيما بعد أن يقول : إذا كان[٣٠] « عثولّ » عنده ملحقاً بـ « قرشبّ » حتى إنه قال : عَثَاوِلُ وعُثَيِّل لا غير ، فهلاّ قال أيضاً في « حَبَنْطَى » إنه ملحق بـ « حَبَرْكَى »[٣١] فقال فيه بحذف الألف لا غير كما تقول : حُبَيْرِك وحَبَارِكُ ؛ وهلاّ قال أيضاً في « كَوَأْلَل » إنه ملحق بـ « سَبَهْلَل »[٣٢] فقال فيه بحذف اللام الأخيرة لا غير ، كما تقول : سَبَاهِلُ وسُبَيْهِل ، فنظيره كَوَائل وكُوَيْئِل = أو هلاّ لمّا جعل حبنطى ملحقاً بسفرجل دون حبركى حتى أجاز فيه حذف أي الزائدين أريد = جعل أيضاً عِثْوَلاًّ ملحقاً بـ « جِرْدَحْل » فخيّر فيه بين حذف أي الزائدين أريد ، فقال تارة عثيِّل وتارة عثيّل ، كما أجاز حُبَيْنِط وحُبَيْطٍ ، (أو من)[٣٣] جعله أيضاً بأن يجعل عثولاً ملحقاً بـ « قرشبّ » حتى يقول عثاولُ وعثيِّل قياساً على قراشب وقريشب أولى من أن يجعله ملحقاً بـ « عِلّكد » و« هِلَّقس »[٣٤] فيقول فيه عُثَيْلٌ[٣٥] وعَثَالٌ لا غير ، فتحذف الواو لا غير ، كما يحذف أحد المثلين في قوله عَلاكِدُ وهَلاقِسُ وعُلَيْكِد وهُلَيْقِس . ويقال له أيضاً : إذا قلت : حبنطى ملحق بـ « سفرجل » فهلا أعطيت الملحق

(٢٩) أجاز سيبويه في تحقير كوألل : كويئل وكويئيل وكوَيلل وكوَيليل ، الكتاب ١١٥/٢ .

(٣٠) في الأصل كانت ، والصواب ما أثبت .

(٣١) انظر حبركى في الكتاب ١٠٧/٢ ، ١٢٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ (وهنا أنه على مثال سفرجل) .

(٣٢) انظر سبهلل في الكتاب ٣٤٠/٢ ، ٤٠٢ (وهو ملحق بـ « همرجل ») .

(٣٣) كذا وقع .

(٣٤) انظر علكد وهلقس في الكتاب ٣٣٩/٢ .

(٣٥) هذا مذهب المبرد في تصغير عثولّ ، انظر المقتضب ٢٤٧/٢ .

حكم الملحق به فقلت بحذف الألف لا غير : حبانظ وحبينط ، كما تحذف ما هي في موضعه ، وذلك قولك : فريزد وفرازد ، وسفيرج وسفارج .
٥٠/١ (استقلّ)[٣٣]/السؤال

الجواب : الذي ينبغي أن يعمد في هذا أن يقال : إن الغرض في الإلحاق إنما هو تشبيه مثال بمثال ، وكلما قوي الشبه فيهما كان أذْهَبَ في الصنعة مما يقل فيه الشبه . فحبنطى ملحق بسفرجل لا يمنع منه شيء لتخلُّص حروفه تخلُّصَ[٣٦] حروف سفرجل . وأما عثولّ ففيه مع الزِّنة[٣٧] شيء آخر وهو الإدغام الذي فيه . فـ « عثول » بـ « قرشب » للإدغام في كل واحد منهما أشبهُ منه بـ « جردحل » ، فكما تقول : قريشب وقريشيب ، لا غير = كذلك تقول : عُثَيِّل وعُثَيْوِيل وعُثَيِّيل ، لا غير ، فاعرف هذا واكتف به .

وأما ترك اقتصارهم على حبينط وحبينيط كسفيرج وسفيريج البتة = فلأن هناك زائداً هو النون ، فلم يكن ليلزم لزوم الأصل .

٢١ = [٢٤٦] ابن الأعرابي في قوله[٣٨] :

وأَرَى كَرِيمَكَ لا كريمَ كَمِثْـلِهِ   وأَرَى بِـلادَكَ مَنْـقَعَ الأَجْـوادِ

أي مروى العطاش .

عُ[٦] هو عندي كقوله[٣٩] :

---

(٣٦) في الأصل : لتخلص ، والصواب ما أثبت .

(٣٧) كأنه كذلك في الأصل .

(٣٨) سلف البيت في هذا الكتاب (الخاطريات) ص١٥٨ برقم ١٩٨ . وحيث قلت في التعليق : سلف ص كذا برقم كذا فالمراد مطبوعة الخاطريات .

(٣٩) في الأصل : كقولهم ، والصواب ما أثبت .

فَلَوْ أَنَّ رُمْحِي لَمْ يَخُنِّي انْكِسَارُهُ   لَقَالُوا وَجَدْنا خَالِداً شَيْخَ عَارِمِ[٤٠]

أي عارماً ، فكذلك « كريمك » أي وأراك لا كريم مثلك . ويقال : جِيدَ الرجلُ فهو مَجُود : إذا عطش ؛ فكأنّ « الأجواد » جمع مَجُود ، كُسِّر مفعول على أفعال كما كسِّر فاعل عليه في نحو صاحب وأصحاب ، وشاهد وأشهاد ، وذلك لوقوع فاعل موقع مفعول كـ ﴿ ماءٍ دَافِقٍ ﴾ [سورة الطارق : ٦] أي مدفوق ، وناقة ضارب : أي مضروبة ، و﴿ عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة : ٢١ ، والقارعة : ٧] أي مرضيّة ، و﴿ لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ [سورة هود : ٤٣] أي معصوم .

٢٢ = [٢٤٧] أنشد أحمد بن يحيى :

إذا نَظَرَتْ بِلادُ بَنِي طَرِيفٍ   بعَيْنٍ أَوْ بِلادُ بَنِي صُبَاحِ[٤١]

وقال : نظرتِ الأرض : إذا ظهر نبتُها .

عُ[٦] هذا من توكيد[٤٢] المجاز ، لأنه قال « بعين » ، وإنما النظر بالعين : تقليب البصر . فهذا يدلّك على صحة ما ذكرناه/ في كتابنا /٥٥ الموسوم بـ « الخصائص »[٤٣] من أن المجاز قد يوكّد كما توكد الحقائق . ألا ترى إلى قوله[٤٤] :

إذا البَيْضَةُ الصَّمَّاءُ عَضَّتْ صَفِيحَةٌ   بِحِرْبائِها صَاحَتْ صِيَاحاً وصَلَّتِ

فوكّد « صاحت » بقوله « صياحاً » ، وليست هناك حقيقة صياح ، وله نظائر .

(٤٠) كذا .
(٤١) سلف البيت مع آخر ص١٥٥ برقم ١٨٨ وتخريجهما ثمة .
(٤٢) في الأصل : توكد ، ولعل الصواب ما أثبت .
(٤٣) في « باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة » الخصائص ٢/٤٥٣
(٤٤) البيت بلا نسبة في الخصائص ٢/٤٥٤ .

٢٣ = [٢٤٨] مسألة :

تكـاد تستحيـل معارف أسماء الزمان نكرات . ألا ترى أن شهور السنة وأيام الأسابيع والأعياد وما يجري هذا المجرى لا تخص شيئاً بعينه ؟ وذلك أنّ المحرّم يعـمّ كل ما كان من الأوقات مثله ، وكذلك شهرا ربيع والجمادَيَين ، وكذلك السبت والأربعاء . فتعرُّف ذلك كتعرُّف الأجناس نحو أُسامة وثُعَالة وذُؤَالان وسَمْسَم(٤٥) . ومعلوم أن مفادَ معرفة الجنس من ذلك مفادُ نكرته . ألا ترى أنّ أسداً وأبا الحارث(٤٦) يستفاد من كل واحد منهما ما يستفاد من صاحبه . وكذلك يوم عرفة والنحر والفطر والأضحى هو شائع في كل يوم يصادف تلك الحال . فلما كان كذلك جاز للفعل أن يتناول كل شيء منها فيعمل فيه ظرفاً . وليس كذلك المكان ، لأنه ليس كل ما كان كالبصرة بصرة ولا كعمـان عمان . فأما اليوم والليلة فكقولك : قمت ذلك المكان الذي قام فيه زيد(٤٧) . وأيضاً فإنه لا يبرد في اليد من الزمان حقيقةٌ تبلّ بها ، وهو ألطف من أن يحصَّل أصلاً يعرَّف أو ينكّر ، فاعرف ذلك وما مثله .

٢٤ = [٢٤٩] مسألة :

أم كيف وأم مَن ونحو ذلك بمنزلة أرأيتك زيداً ما صنع(٤٨) .

---

(٤٥) أسامة علم للأسد ، وثعالة علم للثعلب ، وذألان علم للذئب ، وسمسم علم للثعلب ويقال للذئب الصغير .

(٤٦) كنية الأسد .

(٤٧) كذا وقع .

(٤٨) انظر كلامهم على « أرأيتك زيداً ما صنع » ونحوه في الكتاب ١٢٢/١ ، ١٢٥ ، والمقتضب ٢٠٩/٣ ، والحجة ٣٠٨/٣ ، ٣١٠ ، وسر الصناعة ٣٠٩ ـ ٣١٢ ، والبحر ١٢٤/٤ ـ ١٢٨ . وانظر ما يأتي برقم ٧٨ [٣٠٣] . ولم يظهر لي وجه الجمع بين أم كيف وأم من وأرأيتك زيداً ما صنع .

٢٥ = [٢٥٠] حدثني أبو سعد الجنّان عفا الله عنا وعنه ، قال : كنت أُبَايِتُ[٤٩] الصُّولي في جماعة يلعبون عنده بالشِّطْرَنْج ، فقال لي ليلة : كيف دَسْتُكَ[٥٠] ؟ فقلت : ضعيفة ، فقال : آه ، كالمستقلّ لي ، فقلت له : شيء أصلُه لعبٌ الزيادةُ فيه نقصانٌ ، فغضب عليَّ وأعرض عني ، فعلمت ما جنيتُه ، فعملت له[٥١] أبياتاً أمدحه بها وأعتذر إليه فيها ، فعاد لي/. ١/٥٦

٢٦ = [٢٥١] مسألة بخط أحمد بن يحيى :

قال أبو الوليد الحارثي :

نَفِسُوا القَـلِيـلَ عليكَ مِنْهُ وعِنْدَهُ   لَوْ نَـالَهُ مِنْـكَ القَـلِيـلُ كثـيرُ

عُ[٦] أي والقليل منك عنده لو ناله كثير ، ففي « ناله » ضمير القليل ، وهو فاعله ، و« منه » حال من « القليل » الأول ، وفصل بينهما بـ « عليك » وهو معمول « نَفِسوا » .

٢٧ = [٢٥٢] مسألة :

مثل الذِّكْر والذِّكرى : القُرْب والقُرْبى ، والبُؤْس والبُؤْسى ، ونحو من الذكر والذكرى : الشِّيز والشِّيزى[٥٢] .

٢٨ = [٢٥٣] مسألة :

مما وقع فيه « فَعَلَ » للكثرة نحو قوله :

---

(٤٩) أي أُساهر ، من قولهم : بات الرجل : إذا سهر الليل ، ولم يذكر « بايت » في المعجمات .

(٥٠) أي كيف لعبتُك ، والدست : دست القمار ، يقال : فلان حسن الدست أي شطرنجي حاذق (الأساس والتاج د س ت) .

(٥١) كأنها كذلك في الأصل .

(٥٢) الشيز والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع .

فقَتْلاً بتَقْتِيل[٥٣]

وقوله :

ونَقَرْتَها بيَدَيْكَ كُلَّ مُنَقَّرِ[٥٤]

إلى غير ذلك ، [و][٥٥] قول الله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بماءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ [سورة القمر : ١١] ودليله موضعان : أحدهما : أن أبواب السماء كثيرة ، والآخر : العطف عليه بقوله : ﴿ وفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾ [سورة القمر : ١٢].

إذا استعمل هنا « فَعَّل » واللفظ واحد - أعني ﴿ الأرض ﴾ - حملاً على المعنى فما ظَنُّك بالـ ﴿ أبواب ﴾ وهي جمع لفظاً ومعنى ؟

٢٩ = [٢٥٤] مسألة :

قوله عز اسمه : ﴿ هل جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلاّ الإِحْسَانُ ﴾ [سورة الرحمن : ٦٠] سمى الأول إحساناً لأنه مقابل لجزائه وهو الإحسان والأول طاعة ، فكأنه قال : هل جزاء الطاعة إلا الثواب . إلا أن هذا سُمّي فيه الأول باسم ما بعده .

ونحوه وإن كان عكسه قوله : ﴿ وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] .

فالأول كقولنا : أُدْخُل ، أُقْتُل ، حمل الأول على الثاني .

---

(٥٣) هذه قطعة من بيت لم أعرفه تمامه .

(٥٤) البيت بلا نسبة في المحتسب ١/٨١ ، ١٩٤ ، ٣٠١ و٢/٦ ، ٢١ .
وصدره :

أنت الفداء لقِبلة هدَّمتها

(٥٥) زيادة يقتضيها السياق .

والآخر كـ « مُنْذُ » وشُـدُّ[٥٦] وفِرِّ وضَـنَّ ، في حمل الثـاني على الأول./

٣٠ = [٢٥٥] بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة :

قول الله سبحانه : ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] ثم قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] فعاد إلى الخطاب . وجهُ ذلك أن حال الحمد في التقرب إلى الله عز اسمه دون حال العبادة ، فخصها بأن خاطب مع ذكرها ، فكان ذلك أبلغ في معناه وأَذْهَبَ في التقرب به لقوة معنى الخطاب على معنى الغيبة .

وبقَدر[٥٧] ذلك ما قوي لفظه . ألا تراك تقول : قام وقمتَ ، فإذا جمعت بينهما أضفت لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فقلت : قمتُما . وكذلك هو وأنت تقول : أنتما ، ورأيتكَ ورأيتَه ثم تقول : رأيتكما ، وهو البابُ . وكذلك قوله[٥٨] :

شَطَّتْ مَزَارَ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَـةَ مَخْرَمِ

فذكرها بالغيبة في أول البيت لأنه لم يخلص فعلها من الشط له نفسه[٥٩] ، وإنما قال « العاشقين » على لفظ الغيبة فيهم حبيبته ، على أنه هو أيضاً مشطوط المزار معنى لا لفظاً ؛ فساغ لضعف المعنى أن يذكرها بلفظ الغيبة ، ثم لمّا أَصْرَحَ في آخر البيت بقوله « عسراً عليَّ » بلفظ الخطاب

---

(٥٦) في الأصل : فشد ، والصواب ما أثبت . وقد ذكر ابن جني في الخصائص ١١١/٢ حمل الأول على الثاني وحمل الثاني على الأول وانظر كلامه في « منذ » في اللسان (م ن ذ

(٥٧) كأنها كذلك في الأصل .

(٥٨) وهو عنترة ، والبيت من معلقته ، ديوانه ١٨٦ .

(٥٩) كذا وقع ، والوجه : له هو نفسه .

- أعني اليـاء - عدل إلى مخاطبتها بالكـاف في قوله « طلابك » لأنه لما أصرح بذكر الشدة اللاحقة له في نفسه فعناه الأمرُ ونال منه وكّد بلفظ الخطاب تظلّماً منها واعتداداً بما يلقاه من حبّها .

فأما قوله عز اسمه : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] فإن المعدول فيه عن الخطاب إلى الغَيبة إنما هو لضربٍ من التصرف عارياً من معنى ما تقدم .

فإن قيل : فإذا كان ذلك إنما هو للتصرف في القول ، فهلا كان ما عللتَه أنت ليس لما ذكرتَ بخلوّ هذا الموضع من الغرض الذي قدمت .

= قيل : أما ما قدمناه فقد أُخذ من الاحتجاج له ما حدَّه . وأما تجرُّد الثاني مما في الأول في هذا الموضع فغير قادح فيما ذهبنا إليه لأن هذا
١/٥٧ لغرض وذلك لغرض/ وليس في شرط الأغراض أن تتساوى . وذلك أنا قد دللنا في كتاب « الخصائص »[٦٠] أن الحكم الواحد قد يكون معلولاً بعلتين وأكثر من ذلك . وأيضــاً فإنه لو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم = لكان هذا لفظاً مقصوراً على الخطاب ، ولم يدخل فيه من غاب عنه إلا بالاستدلال من غير اللفظ عليه . ولما قال سبحانه ﴿ وجرين بهم ﴾ فجاء بلفظ الغيبة مع لفظ الحضور جمعت الآية ذكر عموم النعمة وأنها على الحاضرين المخاطبين ومن عداهم من الغيب الأبعدين . وكذلك أيضاً كانت ﴿ حتى إذا كانوا في الفلك وجرين بهم ﴾ لأنه كان يكون كلاماً مقصوراً في الظاهر منه على ذكر النعمة على غير المخاطبين ثم يدخل فيه المخاطبون بالاستدلال لا بصريح الكلام .

فإن قلت : فلو كانت التلاوة : حتى إذا كانوا في الفلك وجرين بكم أكان يكـون مـاذا = فالجواب : أنه كان يكون دون اللفظ الذي ورد به

(٦٠) الخصائص ١/١٧٤ - ١٨٠ « باب في حكم المعلول بعلتين » .

القرآن . وذلك أنه موضع قد عُمّ فيه بالنعمة الحاضرون والغائبون جميعاً ، فكان تقديم اللفظ بالحضور أولى من تأخيره وتقديم لفظ الغيبة عليه لأن المخاطبين أشد عناية في اللفظ من الغائبين ؛ فكان تقديم اللفظ بذكرهم أولى وأحجى من تأخيره .

ونحو من ذلك قول رسول الله ﷺ : « ابْدَؤُوا بما بَدَأَ اللهُ به »(٦١) وهو يريد الصَّفا والمَرْوَةَ .

ويدلك على مزية ما يتقدم اللفظ به على ما يتأخر قوله عز اسمه ﴿ وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُم عنكم وأَيْدِيَكُم عنهم ﴾ [سورة الفتح : ٢٤] فقدم في اللفظ أَذْهَبَه في الاعتداد عليهم بنعمة الله عندهم لأن انكفاف أيدي أعدائهم عنهم أَمَسُّ وأَعْنَى في الاعتداد به عليهم من انكفاف أيديهم عن أعدائهم ، فاعرفه .

٣١ = [٢٥٦] بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة

أرى في اللغة ألفاظاً صالحة يتوالى فيها التضعيف واعتلال الأول من المثلين جميعاً/ . وذلك كقولهم الضِّحّ والضِّيْح ، ونحوه قولهم انصبَّ وصاب يصُوب ، ومثله قَطَطْتُ الشيءَ وقالوا في القَوْط هو القطيع من الغنم ، وقالوا ضرَّه يضرُّه وضاره يَضُوره ويضيره ، وقالوا ضِفَّةُ الوادي وضِيفُه وضِيفَتُه .

ومما تقاربت معانيه : فرّ يفِرّ وفار يَفُور لأنه إذا فرَّ فقد فارق موضعه وكذلك فار يفور ، ومثله مرَّ يمُرّ ومار يمُور ، وقالوا خرّ يخِرّ وخار يخُور لأنه إذا خار فقد انحط وضعف ، ومنه سلَّ يَسُلُّ وسال يسيل لأنهما جميعاً مفارقة وانسلال ، وقالوا : فلَّه يفلّه : إذا هزمه ، وقالوا : فال رأيُه يفِيل لأن هذا إلى ضَعَة وضعف ، وقالوا : هَنَّ : إذا بكى وهان يهون ، وقالوا : ضمَّه

(٦١) الحديث في زاد المعاد ٢/٢٢٧ ، ٣٥١ وتخريجه ثمة .

يضمُّه وضامه يضيمه لأن هذا غَضّ منه وذاك جَمْع له ومنه قولهم : اجتمع من الأمر : إذا فرق منه ، وقالوا : رق يرقّ وراق الماءُ يريق : إذا انصبّ وإذا انصبّ تفرقت أجزاؤه ، وقالوا : انْقَضَّت البئر وتَقَوَّضَت ، وقالوا : زال يَزُول وزال الشيءَ يَزيله وزلّ يزِلّ والمعنيان كما ترى متقاربان ، وقال[٦٢] : ﴿ حَقَّ عليه العذابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] ﴿ وحاقَ بِهم ما كانوا به يسْتَهزِئُونَ ﴾ [سورة هود : ٨] وقالوا للشّقّ في الجبل : الشِّيق ، وقالوا : حفّه يحفه : إذا جلاه وأبرز صفحته ، وحاف عليه يحيف وتحوّفه : إذا انتقصه من حافاته ، وقالوا : ذهب شعاعاً أي متفرقاً وشاع الشيء يشيع : إذا تفرق ، وقالوا : حَزَّه [يحزّه][٦٣] : إذا قطعه وحازه يحوزه : إذا اقتطعه من غيره ، وقالوا : غمَّه يغمّه : إذا ستره والغَيْم لأنه يستر السماء ويحجبها ، وقالوا الغَرّ للشقّ الذي في الأرض والغَوْر نحوه ، وغار على أهله كقولهم تساقط من الحِفْظة والغَيْرَة[٦٤] ، وقالوا : شكّه بالرمح ورمح شاكٍ ، وقالوا : هَفَّت الريح أي جرت والهَيْف والهَوْف : الريح الحارة تأتي من قبل اليمن ، وقالوا عادَّه المرض أي عاوده ، وقالوا انحلَّ عقد ودِّه وحال عن مودته وعهده ، وقالوا : ملَّ الشيء يملُّه أي تركه ومال عنه ، وقالوا قصَّه يقصّه ٢/٥٧
وانقاصت السنّ : إذا انكسرت .

وهو كثير جداً ، وهو من باب تقارب اللفظين لتقارب المعنيين وكأن اطّراد هذا وكثرته هو الذي شجعهم قليلاً مع استكراههم

(٦٢) في الأصل : وقالوا ، والصواب ما أثبت .

(٦٣) في الأصل : « حزّه إذا .. » وكتب بعضهم في الهامش : « بيان حزّ فيه » . والفعل متعد بنفسه ، ولعل الصواب ما أثبت . وزدت ما بين حاصرتين ليكون الكلام على سياق ما قبله .

(٦٤) قوله « وغار على أهله ... والغيرة » كذا وقع ، وهو غير ما هو فيه .

التضعيف[٦٥] على أن قالوا دينار وقيراط/وديماس وديباج فيمن قال دماميس ١/٥٨
ودبابيج ، ومنه ديوان واجلوَّذَ اجْلِوَّاذاً .

فأما قوله[٦٦] فيما أنشده خلف الأحمر :

عَـــدَاني أَنْ أَزُورَكِ أُمَّ عَمْـــرٍو دَيَـــاوِينٌ تُشَــقَّــقُ بــالمِـــدَادِ

فيحتمل أمرين : أحدهما أن تجعله بدلاً لازماً كعِيد وأَعياد وعُيَيْد ، والآخر : أن يكون واحد « دياوين »[٦٧] دِيَّان أو دِيوَان ، فاستغني بديوان المقلوب عن دِوَّان منه كما استغنوا بـ « لمحة » عن ملمحة وبـ « ذَكَر » عن مِذْكِير ونحوه ، وكما استغني بـ « حاجة » عن حائجـة . ويكون دِيّان هذا الذي استغني بـ « ديوان » منه فِيعالاً كـ « ديماس » فيمن قال دياميس ، فيكون أصـــله على هذا ديواناً ، فقلبت إلى دِيّان ، فلما كسِّر زال التقاء المعتلين فعادت الواو إلى الظهور .

ويجوز أن يكون ديوان هذا الظاهر المستعمل فيعالاً خرج على أصله غير معلّ كـ« ضَيْوَن » ولا يكون على هذا أصـله دِوَّان على أنه فعّال ، فاعرف ذلك .

٣٢ = [٢٥٧] مسألة :

مّما يؤكّد حال مشابهة فَعَلَة لفَعْل على حد ما نقوله من حديث ترافع الأحكام قولهم شَيْء وأَشْياء على قول الخليل[٦٨] ألا تراه ذكر أنها في الأصل فَعْلاء شيئاء ، فهذا في أنه اسم للجمع على فَعْلاء وواحده فَعْل نظيرُ قولهم

(٦٥) في الأصل : الضعيف ، والصواب ما أثبت .

(٦٦) البيت أنشده ابن جني أيضاً في الخصائص ١٥٨/٣، والمنصف٣٢/٢ ، وسر الصناعة ٧٣٥ .

(٦٧) في الأصل : « ديوان » والصواب ما أثبت .

(٦٨) انظر مذهب الخليل في الكتاب ١٧٤/٢ ، ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ، وانظر الكلام على أشياء في سفر السعادة ٦٥ وذكر مصادر الكلام عليها ثمة .

قَصَبة وقَصْباء وطَرَفَة وطَرْفاء وحَلَفَة وحَلْفاء . أفلا ترى إلى بنائك لجمع فَعْل وفَعَلَة اسماً على فَعْلاء ؟ فليضف هذا إلى ما كنا أثبتناه في كتابنا « الخصائص » في « باب ترافع الأحكام »(٦٩) .

٣٣ = [٢٥٨] مسألة :

ينبغي أن تكون العلة في كثرة مجيء اسم الفاعل مما تجاوز ماضيه الثلاثة على فاعل وقلة مجيء اسم المفعول فيما تجاوز الثلاثة على مفعول نحو قولهم أَوْرَسَ الرِّمْثُ فهو وارس وأَيفع الغلام فهو يافع وأبقل المكان فهو باقل وقوله(٧٠) :

يَخْرُجْنَ من أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضِي(٧١)

وقوله(٧٢) :

تَكْشِفُ عَنْ جَمَّاتِهِ دَلْوُ الدَّالْ

٢/٥٨ وقلة نحو قوله(٧٣) :/

إذا ما اسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وهو مَوْدُوعٌ وواعِدُ مَصْدَقِ

وإنما قياسه مُودَع لأنه منقول من ودع يدع : إذا استراح واتّدع ، ومنقوله أودعته ، كـ « قرّ » و« أقررته » و« هدأ » و« أهدأته » وهدّأته = هو كثرة فاعل في الكلام وقلة مفعول . ألا ترى أن فاعلاً يكون اسماً

(٦٩) الخصائص ١٠٨/٢ .

(٧٠) وهو رؤبة ، ديوانه ٨٢ . والبيت بلا نسبة في المحتسب ٢٤٢/٢ ، والمقتضب ١٧٩/٤ ، وتخريجه فيه .

(٧١) في الأصل « أجواد » ، وهو تحريف .

(٧٢) نسب البيت إلى العجاج ، ولم يرد في أصول ديوانه ، انظر ديوانه ــ ملحقات مستقلة ٣٢١/٢ وتخريجه فيه ٤٧٥/٢ . وهو بلا نسبة في المنصف ١٧٩/٤ .

(٧٣) وهو خفاف بن ندبة السلمي ، الأصمعيات ٢٤ ، وشعر خفاف ٣٣ . وهو بلا نسبة في المحتسب ٢٤٢/٢ ، والخصائص ٢١٦/٢ .

كالكاهل والغارب والساعد ، وصفةً كالضارب والراكب ، ومصدراً كالباغز(٧٤) والفالج والباطل ، واسماً للجمع كالسَّامر والدابر(٧٥) . فلما كثر فاعل عندهم جاز أن يُنصَرف إليه عن مُفْعِل على اعتقاد حذف الزيادة . ولمّا كان مفعول لا يوجد عندهم إلا صفة(٧٦) نحو مضروب ومقتول وعزَّ في كلامهم لم يُخْرَج إليه عن مُفْعَل خروجَهم إلى فاعل عن مفعِل إلا في هذا الحرف الشاذ ، وهو « مودوع » .

وأما قوله(٧٧) :

يــــا رُبَّ مُهْــــرٍ مَــــزْعُــــوقْ

فإنه كأنه من نشاطه قد صيح به وزعق به ، فهذا كقوله(٧٨) :

إلى غَيْرِ مَوْثُوقٍ مِنَ الأَرْضِ تَذْهَبُ

أي موثوق به ، وكقول لبيد(٧٩) :

(٧٤) الباغز : النشاط .

(٧٥) لم أجد « الدابر » اسماً للجمع . وفي كونه كذلك نظر ، فقد يراد به المفرد وقد يراد به الجمع بحسب ما يضاف إليه ، يقال : دابر الشيء : آخره ، فهذا من المفرد ، ويقال : دابر القوم : آخر من يبقى منهم ويجيء في آخرهم ، فهذا قد يراد به المفرد وقد يراد به الجمع .

(٧٦) قد يقع « مفعول » مصدراً كالميسور والمعسور والمعقول ، انظر ما سلف ص٤٥ برقم ٢٢ ، والكامل ١٥٦ ، والمسائل المنثورة ١٢٢ .

(٧٧) البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢٨٩/٣ ، واللسان (ز ع ق) .

(٧٨) يشبه ما أنشده ابن جني هنا وفي الخصائص ١٩٣/١ ، وصاحب اللسان (و ث ق) أن يكون رواية لقول بشر بن أبي خازم [ديوانه ٩] :

لَتَحْتَمِـلَنْ منكـم بليـل ظعينـةٌ إلى غيـر موثـوق من العـزّ تهـربُ

وفي الأصل « يذهب » والصواب من الخصائص واللسان .

(٧٩) ديوانه ١١٩ ، وتخريجه فيه ٣٧٦ ، وهو في الكتاب ٢٧٤/٢ ، والخصائص ١٩٣/١ . وصدر البيت :

أَلنَّـــاطِقُ المَبْـــرُوزُ والْمَخْتُـــومُ

أي المبروز به ، ثم حذف حرف الجر ، فلما حذف ارتفع الضمير ، فلما ارتفع تضمنه اسم المفعول .

٣٤ = [٢٥٩] مسألة :

القول على « سِجِسْتان » يجب أن تكون تاؤه زائدة لمخالفة البناء بها مثال الأصول . ألا ترى أنه ليس معنا في الرباعي فِعِلّ نحو جِعِفْر ؟ فمثاله على هذا فِعِلْتان . ويجوز مع هذا أن تكون التاء فيه أصلاً[٨٠] وإن لم يوجد في كلامهم فِعِلّ رباعياً . ألا ترى أنه قد يجوز مع الألف والنون من المُثُل ما لا يوجد على انفراده منهما نحو رَيْبُدَان[٨١] ورَيْهُقـان[٨٢] وهَيْرُدان[٨٣] وعَرَيْقُصان[٨٤] . فأما عَرَنْقُصان بالنون فليس كذلك لأنه قد جاء عنهم القَرَنْفُل . ومثل العَرَيْقُصان العَبَيْثَران والعَبَوْثَران[٨٥] أيضاً كذلك . ونحو منه

أو مُـــذْهَبٌ جُـــدَد عـــلى ألواحِـــه

ويروى : « ...ألواحهنّ النّاطق ... » .

(٨٠) ذكر ابن سيده « سجستان » في الرباعي (س ج س ت) ، انظر اللسان والتاج .

(٨١) هو نبت . انظر سفر السعادة ٢٨٦ والمصادر ثمة .

(٨٢) كأنه في الأصل « ريهتان » ولم أجده . ولعل الصواب ما أثبت . وقد ذكره ابن جني – أعني الريهقان – في الخصائص ١٩٤/٣ ، وهو الزعفران .

(٨٣) هو نبت ، وعن ثعلب أنه اللصّ ، وليس بثبت ، انظر الكلام عليه في سفر السعادة ٥٠٣ والمصادر ثمة .

(٨٤) هو الذي يسمى الحندقوق . وانظر « العريقصان » في الكتاب ٣٣٧/٢ ، وأبنيـة الزبيـدي ١٣٩ ، ١٤٢ ، والنكت للأعـلم ١١٧٢ ، وتهذيب اللغـة ٢٧٩/٣ ، والقاموس واللسان والتاج (ع ر ق ص) ، وسفر السعادة ٣٧٢ .

(٨٥) وهو نبت طيب الريح ، انظر سفر السعادة ٣٦٤ .

التَّرْقُوَة[٨٦] والقَمَحْدُوة[٨٧] وتَحَوِيّ[٨٨] في النسب/إلى تحيّة . ومنه خُطُوات وحُسُوات ، ولذلك نظائر . ١/٥٩

فقد تكون على هذا « سِجِسْتان » فِعلاّن كما كانت تاء تَرْجُمان[٨٩] أصلاً وإن لم يكن يوجد في ذوات الأربعة فَعْلُل ، فاعرف ذلك .

٣٥ = [٢٦٠] مسألة :

امتنع أبو الحسن[٩٠] من إجازة نحو قولهم « أحقُّ النـاس بمال أبيه ابنُـه » قـال : لأنه ليس في الخبر إلا ما في المبتدأ ، وليس كذلك وَضْعُ الخبر ، بل وضعُه على تناول الفائدة منه .

قال أبو علي[٩١] : فإن قلت : « أحقّ الناس بمال أبيه ابنُه البَرُّ به ، أو المُجْدي عليه » أو نحو ذلك = كانت المسألة على فسادها أيضاً . قال : لأن الخبر نفسه الذي هو « ابنه » غير مفيد ولا ينفعه مجيء الصفة المفيدة من بعده لأن نفس لفظ الخبر غير مفيد ، وليس على هذا وضعُ الأخبار . فإن قيل من بعد : فقد قال الله سبحانه : ﴿ قل إنَّ الموتَ الذي تَفِرُّونَ منه فإنَّه مُلاَقِيكم ﴾ [سورة الجمعة : ٨] ولولا الصفة الضَّامنة[٩٢] لمعنى الشرط لَما

(٨٦) العظم المشرف على ثغرة النحر ، انظر سفر السعادة ١٨٥ .

(٨٧) فأس الرأس المشرف على نقرة القفا ، انظر سفر السعادة ٤٣٤ .

(٨٨) انظر الخصائص ١٩٤/٣ .

(٨٩) انظر الخصائص ١٩٣/٣ .

(٩٠) سعيد بن مسعدة الأخفش . ولم أصب كلامه . وقد تكلم أبو الفتح على هذه المسألة في الخصائص ٣٣٦/٣ - ٣٣٨ ولم ينقل ثمة كلام أبي الحسن ولا كلام أبي علي ،وقال في آخر كلامه : « .. ولكن صحة المسألة : أحقّ الناس بمال أبيه أبرُّهم به وأقْوَمُهم بحقوقه . فتزيد في الثاني ما ليس موجوداً [كذا] في الأول » .

(٩١) الفارسي . ولم أصب كلامه .

(٩٢) كأنها كذلك في الأصل .

جاز دخول الفاء في الخبر ، ألا تراك لو قلت : إن الموت فإنه ملاقيكم لم يجز كما لا يجوز « زيد فمنطلق »(٩٣) ؛ فهلاّ كما جاز دخول الفاء لما ضمنه معنى الصفة من الشرط في الصفة جاز أيضاً « أحق الناس بمال أبيه ابنُه البارُّ به » ونحو ذلك ، لما اتصل بالخبر من الصفة الزائدة المعنى على مجرد المبتدأ = قيل : جمعت بين أمرين متباعدين . ألا تعلم أنه ليس من شرط المبتدأ أن يكون مفيداً ، إنما من شرط الخبر أن تكون الفائدة مجتناة منه . فإذا كان كذلك لم ينكر أن يقنع المبتدأ بما أفيد من صفته ولا يقنع الخبر بما أفيد من صفته . وهذا فرق ظاهر مع أدنى تأمل .

٣٦ = [٢٦١] مسألة :

إذا دخل على حرف الشرط واو الحال لم يُجَبْ ، بذلك ورد كلامهم . وذلك قولنا : أحسن إلى زيد وإن كفرك واشكره وإن أساء إليك ، أي أحسن إليه كافراً لك واشكره مسيئاً إليك . فإن أجيب الشرط كانت الواو عاطفة لا للحال ، وذلك كقولنا : أحسن إليه وإن كفرك فلا تَدَعِ الإحسانَ إليه ، واشكرْه وإن أساء إليك فأَقِمْ على شكره ، ونحو ٢/٥٩ ذلك . فالواوان للعطف(٩٤) لا للحال/ولو كانت للحال لم يكن هناك جواب . ألا ترى إلى بيت « الكتاب »(٩٥) :

عَاوِدْ هَرَاةَ وإنْ مَعْمُورها خَرِبا

(٩٣) لأنّ المبتدأ عارٍ عن معنى الشرط والجزاء ، انظر شرح المفصل ٩٩/١ - ١٠٠ ، ومعاني القرآن للأخفش ٧٧ ، ٨٠ ، ١٢٤ .

(٩٤) في الأصل : « ونحو ذلك قالو الا ان للعطف » وكتب الناسخ تحت « لا » من « إلا » : « و » ، كأنه أراد قراءة العبارة كما أثبت .

(٩٥) الكتاب ٤٥٧/١ بولاق = ١١٢/٣ هارون ، وشرح المفصل ١٠/٩ . وهو من أبياتٍ لشاعر هرويّ في اللسان (هـ ر ا) ، وعجز البيت كما في اللسان :

وأَسْعِدِ اليومَ مشغوفاً إذا طربا

أي عاود هراة خرباً معمورها . وإنما كان ذلك من قبل أن الحال فضلة وأصل وضع الفضلة أن يكون مفرداً كالظرف والمصدر والمفعول به ونحو ذلك . فلما كان كذلك لم يجيبوا الشرط إذا وقع في موضع الحال ، لأنه لو أجيب لصار جملة ، والحال إنما هي فضلة ، فالمفرد أولى بها من الجملة .

فإن قلت : فإن الشرط أيضاً جملة ، ألا تراه من فعل وفاعل = قيل : الشرط وإن كان جملة فإنه يجري عندهم مجرى الآحاد من حيث كان محتاجاً إلى جوابه احتياج المبتدأ إلى خبره . ولو كان له حكم الجمل البتة لساغ الاقتصار عليه . ويدلك على ذلك أيضاً قول الله سبحانه : ﴿ وأمَّا إنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [سورة الواقعة : ٩٠] و« أمَّا » هذه لا يقع بعدها الجمل ، إنما هو موضع للمفردات ، كقولك : أمَّا زيد فمنطلق ، وأمّا فرسخاً فسار عبد الله ، وقوله تعالى : ﴿ فأَمَّا الْيَتِيمَ فلا تَقْهَرْ ﴾ [سورة الضحى : ٩٠] ولو كان للشرط حكم الجمل البتة لَماجاز أن يُباشر(٩٦) « أمّا » هذه . فلمّا كان هذا حكم الشرط ووقعت قبله واو الحال لم يُجَبْ لأنه إذا لم يُجَب أشبه المفرد من حيث ذكرنا ، والحال بابها أن تكون مفردة . (فأصلح)(٩٧) اللفظ بذلك .

فإن قيل(٩٨) : ألا تعلم أن واو الحال إنما هي موضوعة لوقوع الجمل بعدها لا لوقوع المفردات ، ألا تراك تقول : مررت بزيد وهو جالسٌ ، وضربت عبد الله ويدُه مشغولة .

٣٧ = [٢٦٢] مسألة :

---

(٩٦) في الأصل : تباشر ، والصواب ما أثبت .

(٩٧) كذا وقع .

(٩٨) لم يأت لـ « إنْ » بجواب ، والكلام ناقص .

لَاهُـمَّ إنَّ الحـارثَ بنَ رُهْـمِ[٩٩]
أَوْذَم حَجّـاً في ثيـابٍ دُسْـمِ

هذا كقول الله سبحانه : ﴿ بما عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ ﴾ [سورة المائدة : ٨٩] ، وقوله[١٠٠] :

قَوْمٌ إذَا عَقَدُوا عَقْداً لِجَارِهِمُ

ونحوه : ﴿ لا جُنَاحَ عليكم ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٦] ومثل قوله
١/٦٠ ﴿ لا جناح عليكم ﴾ قولهم الذَّنْب وأُذْنِب . ومنه قوله عز اسمه :/﴿ فَقَد احْتَمَلَ بُهْتَاناً وإثْماً مُبيناً ﴾ [سورة النساء : ١١٢] ، وقوله[١٠١] :

وحَمَّلْتَني ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَهُ

فاجمع بين هذه الأشباه من طريق المعنى .

٣٨ = [٢٦٣] مسألة :

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلُكاً إنَّـهُ[١٠٢] . . . .

---

(٩٩) البيتان بلا نسبة في تهذيب اللغة ٣٧٧/١٢ و٢٩/١٥ ، واللسان (د س م ، و ذ م) . ورواية الأول :

لا هـمَّ إنّ عـامـر بن جَهْـمِ

(١٠٠) وهو الحطيئة ، ديوانه ١٢٨ ، وعجز البيت :

شـدوا العنـاجَ وشـدوا فوقـه الكـربا

(١٠١) وهو النابغة الذبياني ، ديوانه ٤٨ (صنعة ابن السكيت) ٣٧ (صنعة الأعلم) ، واللسان (ع ر ر) . وعجز البيت :

كذي العُـرِّ يكـوى غـيره وهـو راتعُ

وفي اللسان « فحملتني » ، وفي الديوان (صنعة ابن السكيت) : « حملت علي ذنبه وتركته » ، وفي صنعة الأعلم « لكلفتني » واللام جواب قوله :

حـلفت فـلم أترك لنفسك ريبـة وهـل يـأثمن ذو إمـة وهـو طـائع

(١٠٢) تمام البيت :

أنـه قـد طـال حبسـي وانتـظـار =

بالفتح والكسر . فمن فتح جعله بدلاً من « مألكاً » يصير كأنه قال : أبلغ النعمان عني أنه قد طال حبسي وانتظار . ويجوز أن يكون « مألكاً » على هذا القول حالاً من قوله « أنه »[١٠٣] أي أبلغه هذه الصورة رسالةً ، ثم قدم حال المفعول به عليه ، كقولك : ضربت قائمةً هندَ ، وكقول العَجَّاج[١٠٤] :

إذا سَمِعْتَ صَوْتَها الخَرَّارا
أَصَمَّ يَهْوِي وَقْعُها الصَّرَّارا

أي أصمَّ وقعُها الصَّرَّارَ هاوياً ، ثم قدم « يهوي » وهو حال على صاحبها وهو « الصرّار »/ . فهو أوكد من الأول لأنه نظير : ضرب قائمةً زيدٌ هندَ . ٢/٦٠

وأمّا مع كسر « إنَّ » فـ « مألكاً » مفعول به ، ثم ابتدأ فقال :

= وسلف الاستشهاد به ص١٣٧ برقم ١٥٣ ، وعلق المحقق الأستاذ علي شاكر عليه بقوله « والبيت من قصيدة في ديوان عدي ص٩٣ أخطأ محقق الديوان فجعلها مكسورة القافية وهي ساكنة » اهـ .

قلت : بل هي مكسورة الروي ، انظر الديوان ، والأغاني ١٤٤/٢ ، وشرح أبيات المغني ٨٣/٥ . وقد استشهد صاحب العقد ٤٦٢/٥ بهذا البيت على الضرب المتمّم في الرمل : فاعلاتن ، فالروي عنده مكسور « وانتظاري » .

ويجوز التقييد في الرمل ، انظر قوافي الأخفش ٩٩ وأنشد على التقييد في الوافي ١٢٣ = الكافي ٩٤ ، وحاشية الدمنهوري على متن الكافي ٩٢ (عن معجم شواهد العربية ١٣٥ . وقال الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله : وصوابه : وانتظاري . وهذا ليس بخطأ فيقال فيه ذلك) .

والبيت في المنصف ٣٠٩/١ و١٠٤/٢ ، والمحتسب ١٤٤/١ ، ٣٣٥ .

(١٠٣) في الأصل : أني ، والصواب ما أثبت .

(١٠٤) ديوانه ١٢١/٢ ، وتخريجهما فيه ٤٢٣/٢ . وكتب بعد البيتين في الأصل « من عصفور » ؟

إِنَّـهُ قَـدْ طَـالَ حَبْسِـي وانْتِظَـارْ

فكانت هذه الجملة بعد قوله « مألكاً » مفسرة للمألك ، كما أن قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩] فصار قوله ﴿ خلقه ثم ﴾ كذا تفسيراً للمَثَل ؛ وكقوله : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة المائدة : ٩] فقوله ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ تفسير للوعد ؛ وكقوله[١٠٥] :

عَشِـيَّـةَ مـاوَدَّ ابنُ غَـرَّاءَ أُمُّـه لهـا مِنْ سِـوَانـا إِذْ دَعـا أَبَوَانِ

فقوله « أمّه » إلى آخر البيت تفسير للودّ .

ووجه آخر ، وهو أن يكون قوله :

إنـه قـد طـال حبسـي وانتظـار

ذا موضع منصوب بدلاً من « مألكاً » ، فكأنه قال : أبلغ النعمان عني إنه قد طال حبسي ، فيجري مجرى قولك : أبلغْه عني قام زيد ، وحدِّثْه عنا الحقُّ واضح أي أبلغه وحدّثه بهذا اللفظ ، فهو كقولك : أخبرته أخوك قائم ، أي أخبرته بهذا القول . فالبدل إذاً مع المكسورة كالبدل فيما مضى مع المفتوحة ، إلا أن بينهما فرقاً ما ، وهو أنه إذا فتح فكأنه قال : أبلغه هذا المعنى إن شئت بهذا اللفظ وإن شئت بغيره حتى كأنه قال : قل له هو يصف لك ويشكو إليك طول حبسه وانتظاره أو ما هو عليه من امتداد زمان انتظاره وحبسه وغير ذلك .

٣٩ = [٢٦٤] مسألة :

---

(١٠٥) وهو الفرزدق ، ديوانه ٨٧٢ ، والنقائض ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، والرواية فيهما :

« .... ابن غرّاء أنه له من ... » .

قالوا : أَقرضتُ[١٠٦] الرجل قَرْضاً وقِرْضاً ، فجاء المصدر لمّا حذفت زيادته على فَعْل وفِعْل ، وقد جاء أيضاً على فُعْل ، قالوا : أَفحش[١٠٧] في قوله فُحْشاً . إلا أنّ أقْيَس ذلك فَعْل مفتوح الفاء من موضعين :

أحدهما : أنك إذا حذفت الزيادة عاد ثلاثياً ، وأكثر الثلاثي فَعَل ، وأكثر فَعَل متعدّ ، ومصدر فَعَل المتعدية فَعْل ، كضربته ضرباً وشتمته شتماً ، فهذا هذا .

والثاني : أن ما حذف زائده من الفعل أكثره فَعْل . منه « جاء وَحْدَه » وإنما هو مصدر أوحدته إيحاداً ، ومنه « عَمْرَكَ اللهَ » أي عمرتك
١/٦١ اللهَ تعميراً/ ، وقالوا : عَلِق الشيءُ بالشيء ، وقالوا : غَلِقَ الرجلُ : إذا لم يتجه لأمره ، ففصلوا بين المعنيين باختلاف الحرفين ، وخصوا أحدهما بالعين لأنها أنصع من الغين ، وذلك أن الشيء إذا علق بالشيء خصّ موضعاً منه وخلص له كالرجل يُعْلِق صاحبه يده ، وكالخطّاف يعلق بغيره ، ونحو ذلك ، وليس كذلك الغين . ألا ترى أن الغَلْق انطباق الشيء وتحيّزه لا يخص جهة دون جهة كالقلب لا يُهتدى لوجهه ولا يُنصع لحال مختصة . وكذلك « غَلِقَ » الرَّهن لأنه لا يهتدى له ولا يُنصّ على حال محصّلة منه . فلصفاء العين ونصاعتها ما خُصّت بالشيء يعلق بالشيء مختصاً بجهة مميزة ، ولغلظ الغين وانغمامها ما خصت بما تصحبه الحبسة والحيرة ولا توضع اليد منه على ناحية مخلصة .

فتفطن لهذا ونحوه ، وسرّ حكمة هذه اللغة الشريفة ، وتأتَّ له ، ولا تجفُ عليه . ألا ترى أنهم قالوا لمن لا يتجه لأمره : عَيَاياء طَبَاقاء ، فـ« طباقاء » مما نحن فيه ، وقال الله سبحانه : ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ

(١٠٦) في الأصل : قرضت ، والصواب ما أثبت .

(١٠٧) في الأصل : فحش ، والصواب ما أثبت .

بِخَيْرٍ ﴾ [سورة النحل : ٧٦] . وكلام العرب أغمض وألطف ، وإنما نتلامح وحياً ونشاهد لطفاً .

٤٠ = [٢٦٥] مسألة :

قولهم : مررت برجلٍ عاملٍ كاتبٍ ، من غير عطف الصفة الثانية على الأولى = يوكّد ما يذهب[١٠٨] إليه من أن الصفة الثانية صفة للموصوف موصوفاً بالصفة الأولى ، فالضمير في الصفة الثانية إذاً عائد على الموصوف والصفة الأولى جميعاً . وهذا يدلّ أيضاً على شدة اتصال الموصوف بالصفة مضافاً إلى ما يدل عليه من الأماكن من غير هذا الوجه .

٤١ = [٢٦٦] مسألة :

قال بشامة بن الغدير :

دَرَسَتْ وقَدْ بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ   بَعْدَ الأَنِيسِ عَفَوْنَها سَبْعِ

قدّم الظرف في وصف النكرة على الجملة والجملة على المفرد . وأعدلُ من هذا البيت الآيةُ وهي قول الله سبحانه : ﴿ وقال رجلٌ مؤمِنٌ من آل فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانه ﴾ [سورة غافر : ٢٨] ألا تراه قدّم المفرد على الظرف والظرف على الجملة ؟ وهكذا يجب في الترتيب لأن

٢/٦١ الموضع/للمفرد ، والظرف أقرب إلى المفرد من الجملة ، والجملة فيما بعد . وقال عزّ اسمه : ﴿ وجاءَ رجلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يسعى ﴾ [سورة القصص : ٢٠] فقدم الظرف على الجملة كما ترى ، هذا إذا جعلتهما صفتين ، وكذا ينبغي .

بقي في القسمة شيء آخر ، وهو أن ترفع الصفة المفردة مُظْهَراً نحو مررت برجل قائمٍ أخوه ، فهذا في الرتبة قبل الظرف وبعد الصفة المفردة الرافعة للمضمر نحو مررت برجل ظريف ، فاعرفه .

---

(١٠٨) قوله « يذهب » لم أعرف من عناه . وربما كان الصواب « نذهب » .

٤٢ = [٢٦٧] أنشد أبو العباس محمد بن يزيد لمحمد بن عبد الملك الزيات :

ما لِي إذا غِبْتُ لَمْ أُذْكَرْ بِوَاحِدَةٍ وإنْ مَرِضْتُ فَطَالَ السُّقْمُ لَمْ أُعَدِ
ما أَعْجَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوهُ فَتُحْرَمُهُ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلأْتُ يَدي

٤٣ = [٢٦٨] من باب « عَلِجّ »(١٠٩) وبابه قولهم : جمل بُخْتِجّ(١١٠) .

٤٤ = [٢٦٩] وقال ابن عباس(١١١) : « لا بأس برمي الحِدَوْ » يريد الحِدا ، ومثله « حُبْلَوْ » و« أَفْعَوْ » .

٤٥ = [٢٧٠] وقال :

أدام اللهُ إمْتَاعَ المناعي(١١٢) بطُول بقاء سيِّدنا المُطَاعِ
فنحنُ بطَوْلِه وعلى يديهِ بنو الأنعامِ والعَدْلِ المُشَاعِ

٤٦ = [٢٧١] حدثني أبو القاسم المظفّر بن المغيرة عن أبيه عن جده – وكان يُخصّ بأبي تمّام ويخفّ عليه – قال : دخلت يوماً على أبي تمام وإذا هو مؤتزر بفوطة متّشح بأخرى ، وبين يديه دواوين العرب ، ينظر في هذا ثم في هذا ، ثم يجمّ شيئاً ، ويثبت بيده شيئاً يكتبه ، وإذا هو في شدة قد مسَّته . قال : فقلت له : يا سيدي ، أنت – والله – في أمر عظيم ينال منك وأُشفق منه عليك ، فلو اقتصرت على بعض هذا ، فإنَّ الناس يكفيهم عفوك من جهدك ، أو كلاماً هذا نحوه ، أشكّ أنا فيه ، إلا أن هذا طريقه . قال : فقال لي : ويك ! إنها قلائد تبقى في أعناق الرجال فانظر بماذا

(١٠٩) أي عليّ وبابه مما أبدلت فيه الجيم من الياء ، انظر سر الصناعة ١٧٥ .
(١١٠) أي بختيّ ، ولا أعرف أحداً ذكر إبدال الجيم من الياء في هذا الحرف .
(١١١) انظر اللسان (ح د و) .
(١١٢) كأنه كذلك في الأصل .

تقلّدهم .

٤٧ = [٢٧٢] مسألة :

كان أبو عليّ – رحمه الله – يقول[١١٣] في النداء : إنَّ فيه معنى الفعل ، قال : « ألا ترى أنه إذا قال لها يا زانية ، وجب عليه الحدّ ، كما أنه إذا قال لها : زنيت ، كان/كذلك » . هكذا كان رحمه الله يقول مرسلاً كما ترى . ١/٦٢

والذي أراه في هذا أنه ينبغي أن يكون معنى الفعل مفاداً من لفظ[١١٤] المنادى إذا كان فيه معنى الفعل . ألا ترى أنه إنما يفاد معنى الفعل على قدر لفظ المنادى ومعناه. فإذا قال له : يا قائم ، أفيد منه معنى القيام ، وإذا قال له يا قاعد أفيد منه معنى القعود ، وإذا قال له يا ساكت أفيد منه معنى السكوت ، وإذا قال يا متكلم أفيد منه معنى كلامه . فلو كان هذا أمراً مفاداً من نفس « يا » لَما تناول الشيء وضده واستمر هكذا . فقد علمت بذلك أنه إنما ينبغي أن يكون معنى الفعل مفاداً من نفس المدعوّ لا من لفظ « يا » . يؤكده عندك أنه لو قال : يا زيد ، أو يا جعفر ، لَما أفيد هناك معنى فعل غير ما يفيده « يا » من معنى النداء كما تفيده « هل » من معنى الاستفهام و« بل » من معنى الإضراب ، و« مِن » من معنى الابتداء والتبعيض .

وليس هذا أراد . ألا ترى أنه قال : لو قال لها يا زانية لَحُدَّ ، والإنسان لا يحدّ للنداء وإنما يحدّ للقذف . ولو كان هذا أمراً راجعاً إلى نفس النداء لوجب أن يكون لو قال له يا زيد ، حُدَّ لوجود لفظ النداء هناك ، وكذلك لو قال لها : يا هند ، ويا جُمل . وهذا واضح . ويؤكد

(١١٣) لم أصب كلامه .

(١١٤) في الأصل : « من معنيين لفظ » بإقحام « معنيين » .

عندك ما ذكرنا قولُه[١١٥] :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبَا لِرَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ

ألا ترى أن فائدة القول « ويوم عقرت للعذارى مطيتي » : يوم عقرت فعجبتُ لرحلها المتحمّل ؟ ألا ترى كيف عطف العجب على العقر ، فمعنى العجب مفاد من لفظه لا من لفظ « يا » فافهم ذلك .

٤٨ = [٢٧٣] مسألة :

من قوة شَبَه الظرف بالفعل أَن شُرِط به ، وأَن أُجيب الشرط به نحو قوله[١١٦] تعالى : ﴿ إذا هم يَقْنَطُون ﴾ [سورة الروم : ٣٦] ، وأَن عُطف على الفعل وعُطف الفعل عليه[١١٧] .

٤٩ = [٢٧٤] مسألة :

من باب قوله[١١٨] :

مِثْبَرَةُ العُرْقُوبِ إشْفَى المِرْفَقِ

وقوله[١١٩] :/ ٢/٦٢

يَتَقَيَّلُونَ ظِلالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجِلِ الظَّلِيمِ ورِبْقَةِ السِّرْحَانِ

---

(١١٥) وهو امرؤ القيس ، والبيت هو العاشر من معلقته ، ديوانه ١١ ، ويروى « من رحلها » انظر الديوان ٣٦٨ .

(١١٦) في الأصل : « الشرط به وقوله » والصواب ما أثبت .

(١١٧) سلف عطف الظرف على الفعل وعطف الفعل على الظرف ص٣٨ برقم ١١ و١٢ .

(١١٨) سلف البيت ص١٠٥ برقم ٩٠ .

(١١٩) وهو المتنبي ، ديوانه ١٧٩/٤ .

فاجمع بينهما(١٢٠) . ومنه قوله(١٢١) :

طَبَــقُ الأَرْضِ تَحَــرَّى وتَــدُرّْ

٥٠ = [٢٧٥]

أَسْتَـغْـفِــرُ اللهَ وأَسْتَــقِـيــلُهُ
مــا أنــا مِمَّـنْ شَـيْبُـهُ يَهُـولُهُ
أَشَــدُّ مِنْ نُـزُولِهِ رَحِيــلُهُ

٥١ = [٢٧٦] قولُه(١٢٢) :

رُبْ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

من باب « العَوَاوِر »(١٢٣) فاجمع بينهما(١٢٤).

---

(١٢٠) الجمع بينهما أن المتنبي وصف بالاسم « أجل » و« ربقة » كما وصف الأول بـ« مثبرة » و« إشفى » ، وكما وصف امرؤ القيس بقوله « طبق » وهي جميعاً أسماء .

(١٢١) وهو امرؤ القيس ، ديوانه ١٤٤ ، وصدر البيت :

ديمَــةٌ هطــلاءُ فيهــا وَطَفٌ

(١٢٢) وهو أبو كبير الهذلي ، ديوان الهذليين ٢/٨٩ ، والمحتسب ٢/٣٤٣ ، وكتاب الشعر لأبي علي ٧٣ ، وشرح المفصل ٨/٣١ ، والإنصاف ٢٨٥ ، والخزانة ٤/١٦٥ ــ ١٦٦ . وصدر البيت :

أزهــيرُ إن يَشِبِ القــذالُ فــإنّــني

ويروى « رُبَ » بفتح الباء .

(١٢٣) من قول جندل بن المثنى الطهوي :

وكحّــل العــينــين بــالعــواوِرِ

وهو في الكتاب ٢/٣٧٤ ، وشرح أبياته لابن السيرافي ٢/٤٢٨ ، وشرح شواهد شرح الشافية ٣٧٤ ، وسر الصناعة ٧٧١ ، والمحتسب ١/١٠٧ ، ٢٩٠ ، والمنصف ٢/٤٩ ، والخصائص ١/١٩٥ و٣/١٦٤ ، ٣٢٦ (ونسبه إلى العجاج وليس له) .

(١٢٤) اجتماعهما أنه حذف الباء من « رُبَّ » وبقيت الباء ساكنة « كما كانت قبل الحذف وإن لم يكن هناك موجب للحركة لالتقاء الساكنين ، ولولا ذلك لوجب تسكين =

٥٢ = [٢٧٧] كان يقال : أربع لا يشبعن من أربع : عَيْن من نَظَر ، وأنثى من ذَكَر ، وسمع من خَبَر ، وأرض من مطر . ينبغي أن يضاف إليها خامسة : وقلب من فِكَر .

٥٣ = [٢٧٨] مسألة :

ينبغي أن تكون لام « المزيّة » ياء حتى كأنها مقلوبة من مِزْته من صاحبه ، لأن صاحب المزية مميَّز عن غيره ومؤثَر .

٥٤ = [٢٧٩] قال لي أبو علي[١٢٥] رحمه الله بحلب سنة ست وأربعين[١٢٦] : ما لي صديق إلا واشتهى أن يكون كتاب أبي الحسن[١٢٧] في معاني القرآن عنده .

٥٥ = [٢٨٠] وقلت له يوماً ببغداد – أظنه سنة خمس وسبعين[١٢٦] – شيئاً ذكرت فيه أبا الحسن علي بن عيسى بن الرُّمَّانيّ عفا الله عنا وعنه – وأبو الحسن إذ ذاك قد ساند الثمانين – فقال : نعم ، هو صبيّ .

٥٦ = [٢٨١] وكان أبو عليّ – رحمه الله – في هذا الباب ونحوه جبّاراً ، يرى نفسه وأهل هذا الشأن بحيث هي وهم ، وقد كان فيما يراه منه

= باء ربّ كتسكين لام هل وبل ودال قد إذ لا ساكنين هناك فتجب الحركة لالتقائهما » عن المحتسب = كما أنه حذف الياء من « العواوير » وصحّح الواو في « العواوِر » ولم يهمزها وإن كان القياس همزها لأن الألف قد اكتنفها واوان لإرادة الياء في العواوير وللدلالة على أن هذا « العواور » محذوف من ذلك « العواوير » الذي لو لم يحذف لما كانت الواو فيه إلا مصححة ، أفدته من كلام ابن جني في الخصائص ٣٢٦/٣ ، والمنصف ٤٩/٢ ، والمحتسب ٣٤٣/٢ في كلامه على « لا أكلمك حيريْ دهر » .

(١٢٥) الفارسي ، شيخ ابن جني .

(١٢٦) وثلاثمائة .

(١٢٧) سعيد بن مسعدة الأخفش .

معذوراً بالإضافة إليهم ، فإنه كان فيه أحداً ولا أحد إليه أحداً .

٥٧ = [٢٨٢] وكان يعظّم أبا عثمان ، ويكاد يعبد أبا الحسن[١٢٧]، ولم يكن أبو العباس[١٢٨] عنده إلاّ رُجَيْلاً ، ولم تكن جنايته عنده على نفسه في تعقّبه كلام سيبويه بكتابه الموسوم بـ « الغلط » إلى غاية ، وكان أبو عمر[١٢٩] في نفسه قصداً ومتسلِّماً[١٣٠] ، وكان بأخَرة ربما جمش أبا بكر[١٣١] وعذمه[١٣٢] ، ولم يكن رأيه فيه متأخراً رَأيَه فيه متقدماً ، وكان عن أبي إسحق[١٣٣] راضياً مع ما عمله به في كتاب « الإغفال » الذي ردَّ
١/٦٣ به عليه ./

٥٨ = [٢٨٣] وذاكرتُه يوماً بابن كَيْسان فرأيته قابلاً به ومشتغلاً بمذهبه .

٥٩ = [٢٨٤] وقال لي : قال لي أبو بكر محمد بن الحسن[١٣٤] وقد جئته لأقرأ عليه كتابه في « الجمهرة » ، وبدأت برسالته لأقرأها عليه ، فقال لي : أنت – والله – يا أبا عليّ – أعلم بهذا الأمر مني ، فقلت : لا بدّ من قراءتها على كل حال ، هي سماعٌ .

٦٠ = [٢٨٥] وقال لي : عملت كتابي في « إصلاح الإغفال »

(١٢٧) سعيد بن مسعدة الأخفش .

(١٢٨) محمد بن يزيد المبرّد .

(١٢٩) الجَرْمِيّ .

(١٣٠) قصداً : عدلاً ، ومتسلماً يريد سالماً ، ولم أجده . والذي ذكروه « مسلَّماً » .

(١٣١) ابن السرّاج .

(١٣٢) قوله « جمش » كذا وقع . وعذمه : لامه وعنفه .

(١٣٣) الزجّاج .

(١٣٤) ابن دريد .

الردّ على أبي إسحق(١٣٣) قبل سنة عشرين(١٢٦) وأنا جالس في الرّواقين بطاق الحَرّاني(١٣٥) ورجلاي مدلاّتان(١٣٦) إلى الطريق .

٦١ = [٢٨٦] وقال لي : كان قد أصــاب رجلي حرّ ونزل إليها فصــل(١٣٧) ففُصِدت ، وأشار علي الطبيب بلزوم المِدرعة(١٣٨) ، فأقمت بصف شُونيز(١٣٩) أربعين يوماً لا أتحرك . وكان يعتادني بعض الفقهاء يقرأ عليّ كتاب « الأَيمان » لمحمد(١٤٠) ، فأمللت عليه فيه شيئاً صالحاً – وأومأ إليّ أنه كثير وحسن – وعملتُ على انتساخه منه ففاتني ذاك ولم أتمكن منه فيما بعد ، لعائق ذكره .

٦٢ = [٢٨٧] وقال لي(١٤١) : لم أُودع كتابي في « الحُجَّة » شيئاً من انـتزاع أبي العبــاس(١٢٨) غير جمعه بين الآية التي هي قوله سبحـانه وتعــالى : ﴿ قُلْ إنَّ المَوْتَ الَّذي تَفِرُّونَ منـه فإنَّه مُلاَقِيكُـم ﴾ [سـورة الجمعة : ٨] وبين البيت الذي هو قول زهير(١٤٢) :

---

(١٣٥) محلة ببغداد بالجانب الغربي ، معجم البلدان ٤/٥ .

(١٣٦) في الأصل : مدلايتان ، وهو خطأ .

(١٣٧) كذا وقع .

(١٣٨) كأنها كذلك في الأصل . ويمكن أن تقرأ الميدعة ؟ ولعلها الدَّعَة .

(١٣٩) لم يذكر في معجم البلدان . وفيه الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، معجم البلدان ٣٧٤/٣ . وقال أبو علي في الحلبيات ١٥٩ : « ... كانوا يرونه [يعني السيرافي] يغشاني في صف شونيز ... » .

(١٤٠) ابن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة .

(١٤١) ذكر ذلك في الخصائص ٣٢٥/٣ أيضاً .

(١٤٢) البيت من معلقته ، ديوانه صنعة ثعلب ٣٠ (الدار) ٣٥ (قباوة) . ويروى :

ولو رام أسبـــــاب السماء بســـــلّم

ومَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايا يَنَلْنَهُ ولَوْ رَامَ أَنْ يَرْقَى السَّمَاءَ بِسُلَّمِ

٦٣ = [٢٨٨] وقال لي بحلب سنة ست وأربعين(١٢٦) : إذا كان عند الإنســان كتـاب أبي عبيدة في « المجاز » ، وكتـاب أبي الحسن في « إعراب القرآن » ، وكتـاب قُطْرُب في « الردّ على الملحدين » = استغنى بذلك عن هذه الكتب الطوال .

٦٤ = [٢٨٩] قال أبو العباس أحمد بن يحيى : قلت لأبي يوسف يعقوب بن السكّيت : أكان قطرب يُتَّهم في روايته ؟ فقال : وأيّ تُهمة ! عندي عنه قِمَطْر سماعاً ، ولا أجسر أن أروي عنه حرفاً .

عُ(٦) ليس هذا رأي أصحابنا في قطرب ، وما هو عندهم بحمد الله إلاّ ثقةٌ .

٦٥ = [٢٩٠] اعلم أنّ جميع ما حذف منه حرف الجر مع الفعل تخفيفاً فلن(١٤٣) يعدو أن يكون قد نظر فيه إلى أنه في معنى فعل يصل بنفسه

٢/٦٣ من غير حرف يوصله . وذلك/نحو قوله(١٤٤) :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ

أي من ذنب ، ألا تراه في معنى : أستوهب الله ذنباً ؟

وكذلك قوله(١٤٥) :

---

(١٤٣) قوله : « اعلم أنّ جميع ما حذف ... فلن » الفاء في قوله « لن يعدو » – وهو خبر « أنّ » – زائدة ، وزيدت فيه لأن اسم أنّ أضيف إلى الموصول « ما » .

(١٤٤) البيت بلا نسبة في الكتـاب ١٧/١ ، والمقتضب ٣٢١/٢ و٣٣١/٤ ، والخصائص ٢٤٧/٣ ، والخزانة ٤٨٦/١ ، وعجزه :

رَبُّ العبــاد إليــه الوجــه والعمــل

(١٤٥) نسب البيت إلى أعشى بني طرود وغيره ، انظر الخزانة ١٦٤/١ – ١٦٦ . وهو في الكتاب ١٧/١ ، والمقتضب ٣٦/٢ ، ٨٦ ، ٣٢١ و٣٣١/٤ ، والكامل ٤٧ – =

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ

ألا ترى أن معناه : ألزمتك الخير وأشعرتك الخير وأوجبت عليك الخير ؟

وكذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ واختارَ مُوسَى قَوْمَه سَبْعِينَ رَجُلاً ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٥] أي من قومه . ألا ترى أن معناه : سَلَبَ موسى قومَه سبعين رجلاً وأَفقد قومه سبعين رجلاً وابتزَّ قومه سبعين رجلاً ؟ لأنه إذا اختارهم منهم وحازهم(١٤٦) عنهم فقد ابتزَّهم إياهم وأفقدهم إياهم وسلبهم إياهم .

وكذلك قوله : ﴿ وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٣] أي كالوا لهم أو وزنوا لهم . ألا ترى أن معناه [إذا](٤) عاملوهم أخسروهم .

وكذلك قوله(١٤٧) :

إذَا قَالَتْ حَذَامِ فَأَنْصِتُوهَا

أي فأنصتوا إليها . ألا ترى أن معناه : إذا قالت فأولوها أسماعكم ؟

فتأمل جميع ما يعرض في اللغة من هذا النحو فإنك لا تعدم فيه نحواً مما أريتك في هذا . وكله من باب الحمل على المعنى ، وقد ذكرنا من هذا

= ٤٨ والتعليق عليه ثمة . وعجزه :

فقد تركتك ذا مال وذا نشب

(١٤٦) كأنه في الأصل « مازهم » والصواب ما أثبت .

(١٤٧) وهو لجيم بن صعب ، وقيل ديسم بن طارق ، انظر شرح أبيات المغني ٣٢٩/٤ – ٣٣١ . وهو في الكامل ٥٩١ ، ومعاني القرآن للفراء ٩٤/٢ ، والخصائص ١٧٨/٢ . وعجزه :

فإنّ القولَ ما قالت حذامِ

ويروى « فصدقوها » وهي رواية ابن جني في الخصائص وعليها فلا شاهد فيه على ذلك .

ونحوه في كتابنا في « الخصائص »[١٤٨] شيئاً كثيراً ، فليضف هذا ونحوه إليه بإذن الله .

وكذلك ما زيد فيه حرف الجر نحو قوله تعالى : ﴿ ولا تُلقُوا بِأَيْدِيكم إلى التَّهْلُكَة ﴾ [سورة البقرة : ١٩٥] زاد الباء لمّا كان معناه : لا تعطوا[١٤٩] بأيديكم إليها .

٦٦ = [٢٩١] مسألة :

قول الله عز اسمه : ﴿ وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهم يُخْسِرُونَ . أَلا يَظُنُّ أولئكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٣ – ٤] .

إن شئت كانت « يظن » هنا بمعنى « يعلم » ، وهو فاشٍ في اللغة ، نحو قوله[١٥٠] :

فَقُـلْتُ لَهُـمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ

أي تيقنوا .

وإن شئت كانت « يظن » هنا على بابها تصوراً وتَظَنِّياً ، وهو مع ذلك أقوى معنى . وإنما كان أقوى معنى لأنه يصير إلى أنه كأنه قال : ألا يتوهم أولئك أنهم مبعوثون ، أي فقد يُقنع في هذا بالتوهم ففيه كاف من ١/٦٤ تحقُّقه لعِظم الأمر وشدّته/فيكون إذاً كقول الشاعر :

(١٤٨) انظر الخصائص ٤١١/٢ – ٤٣٥ « فصل في الحمل على المعنى » و٣٠٦/٢ – ٣١٥ « باب في استعمال الحروف بعضها في مكان بعض » .

(١٤٩) كذا وقع ، ولعله « تُفضُوا » .

(١٥٠) وهو دريد بن الصمة ، ديوانه ٤٧ وتخريجه فيه . وعجزه :

سَـراتهـم في الفـارسـيّ المُسَـرَّدِ

ورواية الديوان : « علانية ظنوا .. » . والرواية كما هنا في اللسان (ظ ن ن) .

يَكْفِيكَ مِنْ شَـرٍّ سَـمَـاعُـهُ(١٥١)

أي فقد يجب لتوهّم البعث والنشور وما هناك وعظم الأمر وشدته = أن تجتنب المعاصي وتحذر كلَّ الحذر ، فضلاً عن تحقق الأمر والقطع بنفسه ، فلذلك كان أبلغ .

٦٧ = [٢٩٢]

مسألة من أحكام الوقف والابتداء يبنى عليها غيرها ، فإن المسائل فيه كثيرة وحسنة ، وقد يُعلم كثير من الحلال والحرام بها .

اعلم أنه إذا تداخل الوقفان اعتمد أهمُّهما وهو أشدهما إيضاحاً للمعنى ، وذلك كقول الله سبحانه : ﴿ مُتَّكِئِينَ فيها على الأَرَائِكِ ينظرون . هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُون ﴾(١٥٢) [سورة المطففين : ٣٥ – ٣٦] فيمن جعل قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ معمولَ المعنى لـ ﴿ ينظرون ﴾ أي يتأملون : هل كان كذا . فعلى هذا ينبغي أن يكون

---

(١٥١) لم أجده على هذه الرواية . ولعاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي عليه السلام :

سائل بنا في قومنا وليكفِ من شرّ سماعُهْ

ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٧٤١ ، وشرح أبيات المغني ٢٨٣/٧ .

وفي المثل « حسبُك من شرّ سماعُه » انظر الأمثال لأبي عبيد ٧٢ وتخريجه فيه .

(١٥٢) هذا خطأ في التلاوة ، التبس عليه صدر الآية بغيرها . وعلى هذا الخطأ بنى ابن جني – رحمه الله – المسألة . وقوله ﴿ فيها ﴾ ليس في الأصل .

فسياق التلاوة في سورة المطففين : ﴿ فاليومَ الذين آمنوا من الكفار يضحكون [٣٤] على الأرائك ينظرون [٣٥] هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون [٣٦] ﴾ . أما قوله تعالى ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ فقد جاء في قوله تعالى في سورة الكهف : ٣١ ﴿ متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾ وفي قوله تعالى في سورة الإنسان : ١٣ ﴿ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ .

الوقف على قوله ﴿ الأرائك ﴾ ثم يستأنف فيقول : ينظرون[١٥٣] هل كان كذا . وإنما كان هذا من الوقف المتداخل أنَّ قوله ﴿ ينظرون ﴾ حال من الضمير في ﴿ متكئين ﴾ فقد يجب على هذا أن يكون الوقف على ﴿ ينظرون ﴾ لأنه حال من الضمير في الجملة المتقدمة ، وإذا كان حالاً منه لم يحسن أن تُفصل الحال مما هي منه لأنها جزء من الجملة كلها . إلا أنه لو فَعَل ذلك فِعل ﴿ ينظرون ﴾[١٥٤] لانتقض المعنى فيما[١٥٥] يسبق إلى النفس ، لأنه كان يصير قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ مستأنفاً من كلام الله تعالى لا حالاً[١٥٦] مما قبله ، فيكون حينئذ في استئنافه على أنه من كلام الله تعالى وجهه بمنزلة قوله تقدست أسماؤه في قصة بلقيس ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ [سورة النمل : ٣٤] لأنه لمّا انتهى كلامها إلى قولها : ﴿ وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً ﴾ [سورة النمل : ٣٤] قال الله تعالى : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ . فكان نظير قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ﴾ مستأنفاً من كلام الله كهذا .

وليس على هذا هو عند من كان معناه عنده ﴿ ينظرون هل ثوّب
٢/٦٤ الكفار ﴾ أي يتأملون هذا ، كقوله/عز اسمه : ﴿ فلينظر أيُّها أَزْكى طعاماً ﴾ [سورة الكهف : ١٩] أي فليتأمل الحال في ذلك .

فإذا خيف هذا اللبس المؤدي إلى نقض الغرض احتمل فصل الحال مما قبلها لأن ذلك أمر صناعي . ولم يجز فصل المنصوب المعلّق الفعل عنه - أعني قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ﴾ - لأنه أمر معنوي .

(١٥٣) في الأصل : « فيقول هل ينظرون » بإقحام هل .
(١٥٤) بالهامش ما نصه : « بخطه صورته : لو فعل ذلك قول ينظرون » .
(١٥٥) كأنه كذلك في الأصل .
(١٥٦) كذا وقع وصوابه « لا معمولاً لما قبله » .

وقد دللنا في كتابنا الموسوم بـ « الخصائص »[١٥٧] على أنّ عناية العرب بمعانيها أشرف وأوكد من عنايتها بألفاظها . فذلك نفسه ما أردناه من تداخل الوقفين وأنه يجب أن يعتمد أقواهما ويتسمّح في أدناهما ، فاعرفه .

٦٨ = [٢٩٣] مسألة :

قولها[١٥٨] :

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُـلاَقِي الحُرُوبَ   بِأَنْ لاَ يُصَـابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزا

ينبغي أن ينتصب « عجزاً » على المصدر ، أي فقد ظن ظنّاً عاجزاً ، ووصف بالمصدر ، وحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه .

ولا يجوز الرفع في قولها[١٥٩] « بأن لا يصاب » لأنه إذا رفع بعد الظن ذهب به مذهب العلم ، ولا يجوز أن يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ، فافهم .

٦٩ = [٢٩٤] مسألة :

يمر بنا في الخط القديم نحو قوله[١٦٠] :

طاوِ المَصيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

« طاوِ » كما ترى بغير ياء ، وله وجه من القياس . وذلك أنه مضاف ، والمضاف لا ينفك من المضاف إليه ، وبعد الياء من « طاوي »

---

(١٥٧) الخصائص ١/٢١٥ ـ ٢٣٧ « باب في الردّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني » .

(١٥٨) وهي الخنساء ، ديوانها ٨٢ .

(١٥٩) في الأصل : قوله ، والصواب ما أثبت .

(١٦٠) وهو النابغة الذبياني ، ديوانه صنعة ابن السكيت ٧ وصنعة الأعلم ١٧ ، وتهذيب اللغة ١٤/٩٩ ، ورسم فيها « طاوي » . وصدر البيت :

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ موشيٌّ أكارِعُهُ

لام التعريف ساكنة ، وذلك يسقط الياء لالتقاء الساكنين ، فبنوه على الوصل الذي تسقط فيه الياء لما ذكرنا ، فصار « طاوِ المصير » كما ترى .

ومثله كَتْبُهم « ذات مال »(١٦١) ونحو ذلك بالتاء كما ترى . وذلك أنه لا يوقف عليها لأنها مضافة إلى « مال » ونحوه ، وإذا اتصلت كانت تاء على الأصل لا محالة . فعليه كتبوا : ذا مال وذات(١٦٢) عقل ، بالتاء وإنما « ذات » تأنيث « ذا » فهي كـ « شاة » إلا أن الإضافة لزمتها فاتصلت فكتبت تاء على ما يجب في أصلها وهو التاء .

١/٦٥ ٧٠ = [٢٩٥] قال(١٦٣) :/

وإنّي لأَبْكِي اليَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَداً فِـرَاقَكِ والحَيَّـانِ مُؤْتَـلِفـان

قد قلنا قديماً(١٦٤) في هذا البيت : إنَّ « غداً » مفعول به لا ظرف(١٦٥) ، و« فراقك » بدل منه أي فراقك فيه . وأجزناه فقلنا :

فمـا حِيـلَتِي إنْ جَدَّ بَيْنُ أَحِبَّتِي وعَيْنَـايَ مِنْ ذِكْرِ النَّوَى تَكِفَـان

فيـا حـادِيَيْ عِيرِ المَلِيحَـةِ وَقْفَـةً شُفِيتُ مِنَ الأَحْزَانِ إن تقفانِ(١٦٦)

٧١ = [٢٩٦] مسألة :

قال(١٦٧) :

(١٦١) انظر كتاب الكتاب لابن درستويه ٤٩ – ٥٠ ، واللسان (ذو ، وذوات) .

(١٦٢) رسم هنا في الأصل : ذاة .

(١٦٣) المجنون ، ديوانه ٢٧٥ .

(١٦٤) لم أجد البيت فيما بين يدي من كتب أبي الفتح .

(١٦٥) في الأصل : « وأن » ، ولعل الصواب ما أثبت . وما قاله أبو الفتح فيه خلاف ما عليه المعنى أن غداً ظرف للفراق والفراق مفعول به ، وهو الظاهر .

(١٦٦) كذا .

(١٦٧) أبو حزام العكلي كما في سر الصناعة ٣٧٧ ، والخزانة ٣٣١/٤ . والرواية « للامتشابهان » .

وأَعْـــلَمُ أَنَّ تَسْـــلِيماً وتَـرْكاً لَلاَمُتَـــقَـــارِبـــانِ ولا سَـــوَاءُ

فيه ثلاثة أشياء :

أحدها : الدلالة على أنّ نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته . ألا ترى أنه كأنه قال : وأعلم أن التسليم والترك لا متقاربان ولا سواء

= وفيه إدخال لام الإثبات مع « لا » النافية ، وسببه أنه محمول على معنى « غير » ، فكأنه قال : لغير متقاربين(١٦٨) ولا سواء .

وأمّا قوله(١٦٩) :

لَمَـا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فاصْطَنِعْني فكيفَ ومِنْ عطَـائِكَ جُـلُّ مالي

فإن شبَّه « ما » النافية بـ « ما » التي بمعنى « الذي » شبهاً لفظياً .

وكما شبهت « لا » هنا بـ « غير » فكذلك شبهت « لا » بـ « غير » أيضاً في قولهم : جئت بلا مال ، أي بغير مال .

= وفيـه : أنه قال « للامتقـاربان » ثم قال « ولا سواء » ، وإذا لم يتقاربا فهما أبعد من الاستواء . وكان أَوْفَق من هذا أن يقول « للاسـواء ولا متقاربان » فيبدأ بالأعلى ثم ينحط عنه إلى الأدنى .

٧٢ = [٢٩٧] مسألة :

قال شاعرنا(١٧٠) :

جَـــلَلاً كما بي فَـــلْيَـكُ التَّبْـرِيحُ

أراد : فليكن التبريح ، فحذف النون لالتقاء الساكنين ، وفيه قُبْحٌ

---

(١٦٨) في الأصل : لغير متقارب ، والصواب ما أثبت .

(١٦٩) وهو النابغة الذبياني ، ديوانه ١٣٩ (صنعة ابن السكيت) ١٥١ (صنعة الأعلم) ، وسر الصناعة ٣٧٧ ، وفيها « وكيف » .

(١٧٠) وهو أبو الطيب المتنبي ، ديوانه ٢٤٣/١ . وعجز البيت :

أَغِـــذاءُ ذا الرشـــأ الأغنّ الشِّـــيحُ

٢/٦٥ للإدغام الذي بعده ، وأنت لا/تقول[١٧١] : فلان من بَنَّجار وتريد من بني النَّجّار قياساً على بَلْعَنْبر وبَلْحارث . إلا أنّ فيه ما أذكره فتأمَّله . وذلك أن هذا البيت من بحر[١٧٢] الكامل ، وتقطيعه :

جَلَلَنْ كَمَا بِي فَلْ يَكُتْ تَبْ رِي حُو

متفا علن مس تف علن مف عو لن

أفلا ترى أن التاء الأولى من التبريح قابلت نون « مس تف علن » وهي آخر الجزء ، وللعرب في مقاطع الأجزاء وقفات ما يحذف عن استيفاء الحرف ، ويقوى ذلك ويضعف بحسب عادة المنشد من إدراجه أو تمهّله لا سيما إذا حدا أو ترنَّم ، فإن الوقوف على مقاطع الأجزاء يكون أبْيَنَ وأوضحَ . فلما كان كذلك علمت به الوقفة على تاء[١٧٣] « فليكت » إذا حصلت هناك وقفة ما انفصل في اللفظ عن تمام لفظ الإدغام ، وإذا ضعف هنا أمر الإدغام لما ذكرنا جرى نحواً من مجرى « بَلْحارث » و« بَلْعنبر » في ترك الإدغام ، فاعرف ذلك فإنه لطيف بإذن الله .

ونحو منه ما كنا رأيناه[١٧٤] قبلُ في قول عَبيد[١٧٥] :

وَلَقَد يَغْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْـ ... ـمُمْسِكُو مِنْكَ بِأَسْبَابِ الوِصَالِ

في أنه حذف النون من « الممسكو » في آخر المصراع الأول ، وهذا مما يزيد في ثقل الاسم للوقفة العارضة عند انقضاء المصراع الأول . فلما

---

(١٧١) انظر الكتاب ٤٣٠/٢ ، والمقتضب ٢٥١/٢ ، والكامل ١٢٢٨ .

(١٧٢) في الأصل : بحور ، والصواب ما أثبت .

(١٧٣) في الأصل : « على نون تاء » بإقحام « نون » .

(١٧٤) في المنصف ٦٦/١ – ٦٧ .

(١٧٥) ابن الأبرص ، ديوانه ١٢٠ ، وهو من أبيات له في الخصائص ٢٥٥/٢ . وقوله « الممسكو » آخر المصراع الأول من البيت « ال » منه و« ممسكو » أول المصراع الثاني .

أفرط طول [الاسم](١٧٦) حسن حذف النون لذلك .

وليس كذلك قوله(١٧٧) :

الحـافِظُـو عَوْرَةَ العَشِـيرةِ(١٧٨)

لأن هـذا العمـل في مصراع واحد . ولعمـري إنّ الواو من « الحافظو » في آخر الجزء الذي هو « مس تف علن » إلا أنك تعلم أن الوقفة(١٧٩) في آخر الجزء ليست في تمام الوقفة في آخر المصراع ، فاعرف ذلك .

٧٣ = [٢٩٨] مسألة :

ما جاء من « استفعل » المعتل العين مصحَّحَها :

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾/[سورة المجادلة : ١٩] ، وقول ١/٦٦ زهير(١٨٠) :

هنالك إن يُسْتَخْوَلُوا المال يُخْوِلُوا(١٨١)

---

(١٧٦) زيادة يقتضيها السياق .

(١٧٧) الأرجح أن البيت من كلمة لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري ، انظر فرحة الأديب ١٦٧ ، وجمهرة أشعار العرب ٦٦٢ ، والخزانة ١٩٠/٢ وبسط البغدادي الخلاف في نسبتها . والبيت في سفر السعادة ٦٩٣ وما يجوز للشاعر في الضرورة ٢٥١ وتخريجه فيهما .

(١٧٨) تمامه كما رواه ابن جني في المنصف ٦٧/١ ، والمحتسب ٨٠/٢ :

الحـافظـو عـورة العشـيرة لا يـأتيهـم من ورائهـم نَطَفُ

ويروى « ورائنا » و« وَكَفُ » .

(١٧٩) في الأصل : « الوقف » والصواب ما أثبت .

(١٨٠) ديوانه صنعة ثعلب ١١٢ (الدار) ٩٣ (قباوة) ، والخصائص ٩٨/١ .

(١٨١) عجزه :

وإن يُسْـألوا يُعْطـوا وإن يَيْسِـروا يُغْـلُوا

فيمن رواه هكـذا[١٨٢] ، و« استنوق الجمـل »[١٨٣] و« استتيست الشاة »[١٨٤] و« استفيَل الجمل »[١٨٥] ، قال أبو النجم[١٨٦] :

يُدِيرُ عَيْنَيْ مُصْعَبٍ مُسْتَفْيِلِ

وقوله :

واسْتَنْـوَكَتْ وللشَّبَـابِ نُوكُ[١٨٧]

٧٤ = [٢٩٩] مسألة :

قالوا : له زِيٌّ كما قالوا : له أَدَب، فاجمع بينهما .

٧٥ = ٣٠٠ مسألة :

قولهـم : الأُرْفَـةُ[١٨٨] والعَـلَم نحو[١٨٩] قولهـم : الشُّـهْبـة والشَّهب والكُدْرَة والكَدَر ، والغُبْسَـة والغَبَس والعِينـة والعَيَن ، فافهـم الغرض فيه وتأمّله .

٧٦ = [٣٠١] قال :

أَعْزِزْ عليَّ بِفَـائتٍ مِنْ خِدْمَتِكْ وبأَنْ أُرَى مُتَـأَخِّراً عَنْ حَضْرَتِكْ

---

(١٨٢) ويروى :

هنـــالك إن يستخبـــلوا المـــال يخبـــلوا

(١٨٣) انظر الخصائص ٩٨/١ ، وسفر السعادة ٦٧١ ، وجمهرة الأمثال ٥٤/١ ، والمستقصى ١٥٨/١ .

(١٨٤) انظر الخصـــائص ٩٨/١ . وفي سفـر السعـادة ٦٧١ ، والمستقصى ١٥٦/١ : « استتيست العنز » .

(١٨٥) انظر الخصائص ٩٨/١ ، واللسان (ف ي ل) .

(١٨٦) البيت من لاميته في الطرائف الأدبية ٦١ ، والخصائص ٩٨/١ .

(١٨٧) البيت في المنصف ٨٩/٣ ، والمخصص ١٨٤/١٤ ، واللسان (ن و ك) .

(١٨٨) الأُرفة : العلامة .

(١٨٩) في الأصل « نحور » وهو سهو . وقوله « قولهم الأرفة والعلم نحو قولهم .. » كذا هو .

ثِقَــتي لديك وديعــةٌ مِنْ رَغْبَــةٍ   لا زلتَ مُحْتَسِباً بها مِنْ حَمْلَتِكْ
أَاَخافُ إِحْضَــاراً لديكَ أَمَانـةً   إِنَّ المَكَــارِمَ والعُــلاَ مِنْ ذِمَّتِكْ

٧٧ =[٣٠٢] مسألة :

« نحن في زمان صعب » . إن قيل : كيف جاز أن يكون ظرف الزمان هنا خبراً عن الجثة ؟ قيل : إذا وصف ظرف الزمان حسُن أن يكون خبراً عن الجثة ، ألا ترى إلى قول أَوْس[190] :

لَعَمْـرُكَ إنـا والأحـاليفَ هؤلا   لَفي حِقْبَـةٍ أَظْفَـارُها لم تُقَـلَّم

وسبب ذلك أن الصفة لم تخصه بالفائدة من هذا الوجه . وذلك أنه إنما امتنع « زيدٌ يومَ الجمعة »[191] ونحو ذلك من حيث كان الزمان إذا حضر لم يغب عنه أحد ، فلا فائدة إذاً في ذلك . وأما قولهم : « الناس في وقت طيب أو في زمان صعب » فإنه/محمول على معناه ، أي الناس في ٢/٦٦
طيب من الزمان وفي صعوبة من الوقت ، فصارت الفائدة هنا من حيث كانت في قولهم « نحن في شـدة ، والقوم في صعوبة » . وأما « زيد يوم الجمعة » فلا يتخلّص[192] منه ما نحن بسبيله . قصدت الشدة والطيب والصعوبة إذاً ظروفاً غير زمانية ، كقولهم : « نحن في خير ، والقوم في بؤس » فاعرف ذلك .

٧٨ =[٣٠٣] مسألة :

قال ذو الرمة[193] :

(١٩٠) ابن حجر ، ديوانه ١٢٠ .

(١٩١) انظر اللمع ٨٣ – ٨٤ ، وشرح المفصل ٨٩/١ – ٩١ ، وهمع الهوامع ٢٣/٢ – ٢٤ .

(١٩٢) في الأصل : « يتلخص » وهو سبق قلم .

(١٩٣) ديوانه ٤١٣ ، والرواية :

كأنّنــا والقــنــان القــود يحمــلنــا

كأنَّها والقِنانَ القُودَ يَضْرِبُها   مَوْجُ الفُرَاتِ إذا الْتَجَّ الدَّيَامِيمُ

إن شئت كانت « إذا » حالاً من « موج » ، وإن شئت كانت متعلقة بنفس « موج » ، وأيًّا ما أردت فقد أجريت فيه الجثة مجرى الحدث . وذلك أن الموج في الأصل مصدر ماج يموج موجاً ، ثم جعل عبارة عن الجثة التي هي الماء الذي له ظُلَّةٌ . فإن جعلتها حالاً منه جرى مجرى قولك : الصيام يوم الجمعة مباركٌ ، أي الصيام كائناً يوم الجمعة مبارك . وإن جعلت « إذا » متعلقة بنفس « الموج » جرى ذلك مجرى قولك : سرني قيامك إلى زيد ورغبتك في عمرو .

فإن قيل : فكيف يجوز أن يُعلق به الظرف أو يُجعل حالاً منه وقد صار المصدر هنا عبارة عن الجثة ؟ قيل : لا ينكر أن تراجع الأصول وتُقَرّ أحكامُها بعد الانصراف عنها . ألا ترى إلى قولهم « صُغت الخاتم » و « صُنتُ الثوب » عدَّى كلٌّ واحد منهما وهو فَعُلْت محافظةً على أصله الذي هو فَعَلْت ، وقالوا : أرأيتك زيداً ما صنع[١٩٤] ؟ لم يمنعه ما دخله من معنى « أخبرني » من أن يتعدى إلى مفعولين كما كانت « رأيت » تتعدى أوّلُ إليهما .

وبذلك أيضاً ينبغي أن تَعلم أن قول الله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لكم صَيْدُ البَحْرِ ﴾ [سورة المائدة : ٩٦] ليس كقولنا « لحم الخنزير حرام » أو « حُرِّم عليكم لحم الخنزير » ونحو ذلك . وذلك أن « الصَّيْد » في الأصل مصدر : صِدْت الطير والوحش ونحو ذلك صَيْداً ، ثم وضع الصَّيْد على المَصِيد الذي هو الجوهر . والتحليل عندنا والتحريم لا يتناولان لنفس[١٩٥]
١/٦٧ الجواهر/لأن تلك من أفعال القديم سبحانه ، ولا تأثير لنا نحن في فعلها ،

(١٩٤) انظر ما سلف برقم ٢٤ [٢٤٩] .
(١٩٥) كذا وقع بزيادة اللام في المفعول ؟.

وإنما المحرَّم علينا أفعالنا نحن التي هي الأكل والشرب والمشي والحركة ونحو ذلك . إلا أن الصيد في الأصل حدثٌ ، فكان وقوعُ لفظ التحليل عليه أقربَ مأخذاً من وقوع التحريم على لحم الخنزير ونحوه ممّا(١٩٦) ليس في الأصل مصدراً .

وذلك أنك لاحظت أصل ما كان عليه الصيد من الحَدَثِيَّة كما لاحظ ذو الرمة أصل ما كان عليه الموج من الحدثيّة . ألا تراه كيف علّق به الظرف أو جعله حالاً منه ؟ وأما لحم الخنزير ونحوه مما(١٩٧) بعد من تصور لفظ المصدر فيه فإنما(١٩٨) هو على حذف المضاف البتة من غير ملاحظة معنى الحدث ، فكأنه قال سبحانه : ﴿ إنما حَرَّمَ عليكم المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزِيرِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٣ ، والنحل : ١١٥] أي تناولَ كلٍّ واحد من هذه الجواهر . و« التناول » من فعلنا نحن ، فأما هذه الأعيان فمن أفعال القديم عز وعلا ، وليس إلى مخلوق إحداثُ جسم ، هذا مما يخصّ القديم سبحانه ، فاعرف ذلك .

فإن قيل : فقد علمنا أنّ المراد بقوله تعالى : ﴿ أُحل لكم صيد البحر ﴾ إنما هو أكلُه لا نفس صيده ، وأنت إذا تصورت فيه معنى الحدث إذ ذاك إلى أن تصير الفائدة فيه تحليل صيده وليس في لفظه إباحة أكله .

قيل : هذا موضع اكتفي فيه بالسبب من المسبّب ، وهو غَوْرٌ من العربية بَطِينٌ(١٩٩) . وذلك أن العُرف والعادة في هذه المصيدات أنها إنما تصاد لتؤكل ، فإذا أُبيح الصيد الذي هو سبب الأكل ، فالمسَبَّب الذي هو الأكل مباح ؛ وإن كان قد يجوز أيضاً أن تصاد بعض المصيدات لغير

(١٩٦) في الأصل : فما ، وهو تحريف .

(١٩٧) في الأصل « ما » والصواب ما أثبت .

(١٩٨) في الأصل « وإنما » وهو تحريف .

(١٩٩) أي بعيد . ومثل هذه العبارة في الخصائص ٣١٩/٣ .

الأَكل ، فإن الغالب إنما هو ما قدّمنا ، وهو الأَكثَر ، فعليه يجب أن يكون العمل .

وإقامة السبب مقام المسبَّب باب طويل ، وقد أفردنا له في كتابنا « الخصائص »[٢٠٠] باباً ، فالتمسه منه إن شاء الله .

٢/٦٧ ٧٩ = ٣٠٤ أنشدني بعضهم :/

زرعتُ الجُودَ في أرض العطايا فأَصْبَحَتِ المَوَاهِبُ[٢٠١] في حَصَاد
ومـا وجبتْ علـيّ زكاةُ مـالٍ وهَـلْ تَجبُ الزكاةُ على جَـوَادِ

٨٠ = ٣٠٥ مسألة :

حكى سيبويه[٢٠٢] عنهم في « أَبُو أيوب » « أَبُوَيُّوب » . عليه من السؤال أن يقال[٢٠٣] : إن الواو المضموم ما قبلها إذا كانت منفصلة لا تدغم نحو « ظلمُوا وَاقداً » وقول الله سبحانه : ﴿ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُم ﴾ [سورة الإسراء : ٧] ، فكيف أدغم واو « أبو » في الواو المبدلة من همزة « أيوب » فقال[٢٠٤] « أبوَيُّوب » ، وهناك من الانفصال ما تراه ، لولا نراك تجيز في « أبو وجزة »[٢٠٥] « أَبُوَّجْزة » ؟

الجواب : إن الذي قال في « أبو أيوب » : « أَبُوَيُّوب » إنما فعل ذلك تشبيهاً للهمزة في « أيوب » بالهمزة المتصلة[٢٠٦] في « سَوْأَة » ؛

(٢٠٠) الخصائص ١٧٣/٣ – ١٧٧ .

(٢٠١) في الأصل : « المراهب » وهو تحريف . والمواهب العطايا .

(٢٠٢) في الكتاب ١٧٠/٢ .

(٢٠٣) في الأصل : قال ، والصواب ما أثبت .

(٢٠٤) في الأصل : يقال ، وهو تحريف .

(٢٠٥) في الأصل « لا تجيز » بإقحام « لا » . وفيه حيث وقع « أبو وخزة » مصحفاً .

(٢٠٦) في الأصل : « والمتصلة » بإقحام الواو .

فكما قالوا في « سَوْأَة » : « سَوَّة » . فكذلك قالوا في « أبو أيوب » : « أَبُوَيّوب » تشبيهاً للمنفصل بالمتصل في إبدال الهمزة للواو قبلها واواً ، وليس كذلك « ظلموا واقداً » و« أبو وجْزة » لأنه لا همزة بعد واو « ظلموا » و« أبو » فيشبّه(٢٠٧) المنفصل بالمتصل . وهذا البدل في « سَوّة » إنما كان مع الإدغام ، فلذلك احتمل الإدغام في واو « ظلموا » ليتكامل الشبه بين الموضعين ، ولم يكن مثل ذلك في نحو « أبو وجزة » فيحتمل فيه ما ذكرته . وقد أفردنا في كتابنا « الخصائص »(٢٠٨) لما أجري من المنفصل مجرى المتصل ومن المتصل مجرى المنفصل باباً ، وهو كثير جداً .

وأدغم أبو عمرو(٢٠٩) في قراءته في الإدغام قول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُم هُو وَّقَبِيلُهُ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٧] . وجاز الإدغام في المنفصل من قوله ﴿ هو وقبيله ﴾ من حيث كانت واو « هو » ليست كواو « ظلموا » لأن واو « هو » مفتوحة ، فقوي الاعتماد فيها لحركتها ، وواو « ظلموا » ساكنة عند كل قوم وفي كل لغة ، فلم يجز إدغامها لضعفها . وليس كذلك ﴿ هو وقبيله ﴾ ، وذلك أن أصله فتح الواو ، وإنما أسكنها توصلاً إلى الإدغام على العبرة في كل حرف أريدَ إدغامه فلأنه لا بُدّ(٢١٠) من إسكانه إن كان متحركاً ، فلما سكنت الواو فصارت في التقدير « هُوْ » لم يكن ليمتنع من الإدغام اعتباراً للفصل/لما في ذلك من انتكاث الغرض . ١/٦٨
ألا ترى أنه إنما أسكن ليدغم ؟ فلو امتنع للسكون لكان يكون تراجعاً ،

---

(٢٠٧) في الأصل : فشبه ، والصواب ما أثبت .

(٢٠٨) الخصائص ٣/٩٣ ـ ٩٦ .

(٢٠٩) انظر مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير في السبعة ١١٦ ، والمبسوط ٩١ ، والإتحاف ١/١٠٩ .

(٢١٠) في الأصل «فلأنه لا من بدّ» بإقحام « من » . وقوله « فلأنه » كذا وقع بزيادة الفاء .

فأمضى ما اعتزمه من الإدغام لئلا ينتقض غرضه . وقد أفردنا في كتابنا في « الخصائص »[٢١١] لتحامي انتقاض الغرض باباً .

وعلى ذلك أيضاً عندي قول الأخطل[٢١٢] :

إذا شِئْتَ أن تَلْهُو بِبَعْضِ حَدِيثِها نَزَلْنَ وأُنْزِلْنَ القَطِينَ المُوَلَّدا

لو وقع بعد واو « تلهو » هذه – وقد أسكنت ضرورة كما ترى – واوٌ لجاز الإدغام جوازاً حسناً ، فكنت تقول : أريد أن يَلْهُو وَّاقد ، تريد[٢١٣] : أن يلهوَ . وذلك أن واو « يلهو » أصلها هنا الحركة ، وإنما أسكنت استخفافاً ، يريد أن يلهوَ ، وليست كذلك واو « ظلموا » لأن أحداً لا يحرك هذه الواو حركة لنفسها ، اللهم إلا أن تخفف الهمزة بعدها فتلقى حركتها عليها نحو « ظلموا أخاك » فتقول « ظلمُوَخاك » ، وكذلك إن أسكنت واو «أريد أن يلهو واقد » للإدغام لا للضرورة التي تقدمت كان الإدغام هنا أحسن لأنه إنما أُسكن ليدغم لا لضرورة الشاعر ؛ فإذا كان إسكانها هو لأجل الإدغام لم يجز أن يتراجع كما بعُد عن الإدغام الذي إنما أسكن اعتزاماً له ، بل كان يكون الإدغام هنا كأنه أقوى منه لو أسكن الواو ضرورة للشعر . ألا ترى أنه لمّا[٢١٤] أسكنها الأخطل في قوله « أن تلهو ببعض حديثها » ضرورة [لا][٢١٥] للإدغام فإذا كان إسكانها إنما هو للإدغام ضاق العذر في ترك الإدغام الذي إنما كان له ومن أجله الإسكان .

---

(٢١١) الخصائص ٢٣١/٣ – ٢٤٠ « باب في الامتناع من نقض الغرض » .

(٢١٢) ديوانه ٣٠٣ ، والخصائص ٣٤٢/٢ ، والمحتسب ١٢٦/١ ، والمنصف ١١٥/٢ .

(٢١٣) في الأصل : « أريد أن يلهو تلهوّ واقد يريد » والصواب ما أثبت .

(٢١٤) لم يأت لـ « لمّا » بجواب ، والكلام ناقص .

(٢١٥) زيادة يقتضيها السياق .

وكذلك قول الآخر(٢١٦) :

أَبَى اللهُ أن أَسْمُو(٢١٧) بِأُمٍّ ولا أَبِ

الكلام هناك كالكلام في بيت الأخطل سواء . وكذلك الكلام في « هي يقوم أخوها » ونحو ذلك ، يجوز فيه الإدغام فتقول : هِيَّقوم أخوها ، وهُوَّقَف هنا . وكذلك من كان من لغته إسكان الواو والياء وأن يقول : هُوْ أخوك وهِيْ أُختك/ . وذلك أن الإسكان قليل جداً . وينبغي أن يكون ٢/٦٨
أصل هذه اللغة تخفيفاً ثم استمرت ، فإذا وقع بعدهما ياء وواو (واجمع)(٢١٨) من يقول هِيَ وهُوَ لغة من حرَّك يقال هي وهو لا سيما وصاحب هذه اللغة قد يراعي لغة غيره .

وقد بيّنا هذا في كتاب « الخصائص »(٢١٩) وأفردنا له هناك أيضاً باباً . وقد يجوز أن يعتبر من أسكن الواو والياء هنا لغة له ما هو عليه من ظاهر الإسكان(٢٢٠) فلا يدغم له وللانفصال . وكأنّ القولين معتدلان فافهم ذلك .

٨١ = ٣٠٦ مسألة :

قد يجوز أن يكون إنما حذف الوقفُ التنوينَ في نحو : هذا زيد ومررت بزيد ، من قِبل أنّ كل واحد من الوقف والتنوين جميعاً قد جرى

(٢١٦) وهو عامر بن الطفيل ، ديوانه ١٣ ، والخزانة ٣/٥٢٧ ، وشرح أبيات المغني ٨/٤٦ . والبيت في الخصائص ٢/٣٤٢ ، والمحتسب ١/١٢٧ . وصدره :

فما سوّدتني عامر عن وراثة

(٢١٧) في الأصل « يسمو » والصواب ما أثبت من المصادر .

(٢١٨) كذا وقع .

(٢١٩) لعله يريد الباب الذي سماه « باب في العربي يسمع لغة غيره ، أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها » الخصائص ٢/١٤ ـ ١٥ .

(٢٢٠) في الأصل : « الإسكان كان فلا يدغم » بإقحام كان .

مجرى صاحبه . وذلك أن كل واحد منهما مؤذن بتمام الجزء . ألا ترى أن المضاف لمّا كان محتاجاً إلى المضاف إليه فلم يجز الوقف عليه حذف منه التنوين الآتي لتمام الاسم ؟ فإذا وصلت إلى المضاف إليه نونت ، فالتنوين عَلَم للتمام . ألا ترى أنك لا تقف عن نقصان ؟ فلما كان كل واحد من الوقف ومن التنوين مؤذناً بالتمام لم يُجمع بينهما في الوقف ، لأنّ عَلَماً واحداً كافٍ من آخر في معناه . لذلك لم ينون الفعل لأن الفاعل من تمام جزئه ، فلما لم يتمّ لم ينون إذ كان التنوين عَلَماً للتمام .

فإن قلت : فقد تقول : زيدٌ أخوك ، فتنون زيداً والكلام ناقص = قيل : أَجَلْ ، إلا أن الاسم الذي هو المبتدأ قد تمَّ فنوِّن .

فإن قيل : فالفعل قبل الفاعل أيضاً كالمبتدأ قبل الخبر ، فهلاّ نون الفعل كما نون الاسم = قيل : الفعل مع الفاعل كالجزء الواحد . وقد دَللنا على ذلك في كتابنا الموسوم بـ « سرّ صناعة الإعراب »[٢٢١] باثني عشر دليلاً[٢٢٢] ، فجريا مجرى المضاف والمضاف إليه في أنّ كل واحد منهما[٢٢٣] غايته الاسم الثاني الذي هو الفاعل والمضاف إليه ، وليس كذلك المبتدأ وخبره لأنه ليس اتصال المبتدأ بخبره في شدة امتزاج الفعل بفاعله ، والتنوين إنما يأتي علماً على تمام الجزء الذي يخصه لا لتمام الجملة ، فافهم ذلك ./ ١/٦٩

٨٢ = ٣٠٧ أنشدت قديماً[٢٢٤] :

(٢٢١) سر صناعة الإعراب ٢٢٠ - ٢٢٦ .

(٢٢٢) في الأصل « اثني عشر دليلاً » والصواب ما أثبت . والذي ذكره في الاستدلال على ذلك تسعة أدلّة ، وقال : « واستدل أبو علي على شدة اتصال الفعل بالفاعل بأربعة أدلة ، واستدللت أنا أيضاً بخمسة أدلة أخر غير ما استدل به هو ... » فأوردها .

(٢٢٣) في الأصل : منه ، والصواب ما أثبت .

(٢٢٤) لعروة بن أذينة ، انظر سمط اللآلي ١٣٧ ، وتخريجهما ثمة . وينسبان إلى عمر بن أبي ربيعة ، ولم يردا في أصول ديوانه ، انظر الديوان ٤٩٣ . [وانظر شعر عروة بن أذينة (تح د . يحيى الجبوري) : ص ٣٢٣] .

قالتْ وأَبْثَثْتُهـا وَجْدِي فَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتَ عنـدي تُحِبُّ السَّتْرَ فَاسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلي فَقُلْتُ لها غَطَّى هَوَاكِ وما أَلْقَى على بَصَرِي

٨٣ = ٣٠٨ مسألة :

من باب قوله[٢٢٥] :

لَسْنَـا كَمَنْ حَلَّتْ إِيادٍ دَارَهـا

وتلك الأبيات والآيات[٢٢٦] في هذا المعنى قولُ جميل[٢٢٧] :

إذا قُلْتُ ما بِي يا بُثَيْنَـةُ قَاتِلِي مِنَ الحُبِّ قَـالَتْ ثَـابِتٌ ويَـزِيدُ

٨٤ = ٣٠٩ مسألة :

متحرك المعتل كساكن الصحيح . ألا ترى أن الواو والياء في « النَّوَى » و« الحَيَا » لَمّا صحَّا جريا مجرى الواو والياء في « حَوْض » و« بَيْت » . وساكن المعتل قد أُجري مجرى ساكن الصحيح من عدة

(٢٢٥) وهو الأعشى ، ديوانه ٢٦٧ ، والخصائص ٢/٤٠٢ -٤٠٣ و٣/٢٥٦ ، وشرح أبيات المغني ٧/١٧٠ - ١٧٢ . وفي مطبوعة الديوان « جعلت إياد » وكذا وقع في بعض نسخ مغني اللبيب . قال البغدادي : « وهو تحريف من النسّاخ » . وعجز البيت :

تكـريتَ تـرقبُ حَبَّهـا أن يُحصَـدا

ورواية الديوان « تنظر حبها » .

وقوله إياد بدل من « مَنْ » والبدل مؤذن بتمام المبدل منه . ولا يجوز أن تنتصب « دارها » بـ « حلت » هذه الظاهرة لفصل البدل بين بعض الصلة وبعض ، فتنتصب بـ « حلت » مقدرة ، انظر الخصائص .

(٢٢٦) التي ذكرها في الخصائص .

(٢٢٧) ديوانه ٢٢٦ . والمعنى : إذا قلت يا بثينة ما بي من الحب قاتلي . ولا يجوز أن يتعلق الجار « مِن الحب » بحال من « ما » لأن الخبر قد فصل بين بعض الصلة وبعض والخبر مؤذن بتمام المبتدأ ؛ فلا بد من تقدير ما يتعلق به « من » ، وتقديره : هو من الحب ، أو نحو ذلك .

فقـول جميـل من بـاب قـول الأعشـى .

أوجه : أحدها : اعتداد كل واحد منهما في وزن العروض اعتداداً واحداً . ألا ترى الواوين في قوله « يقولو » من قوله[٢٢٨] :

يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسىً وتَجَمَّلِ

يقابلهما غيرهما من الصحيح ، وهو قوله « بسق طل » من قوله[٢٢٩] :

بِسِقْطِ اللِّوى

ومنها قولهم في تكسير ثَوْب وعَيْن : « أَثْوُب » و« أَعْيُن » كـ « أَكْلُب » و« أَفْرُخ » . فعلى هذا قالوا في المعنى الواحد « النأي » و« النوى » فكأنهما مثال واحد . وحسن ذلك أيضاً أن المفتوح في كثير من أحكام العربية يجري مجرى الساكن . وقد دللنا على ذلك في كتابنا « المُعْرِب » وفي « الخصائص »[٢٣٠] وغيرهما . فكأن « النأي » و« النّوى » مثال واحد ، فهذه طريق .

وقد استعملت العرب عكس ذلك ، فأجرت المعتل من الساكن مجرى المتحرك ، فقالوا : ثوب وأَثْوَاب كجبل وأجبال ، وشيخ وأشياخ كقدَم وأقدام ؛ وأجروا ألف التثنية مجرى الحرف المتحرك . ألا ترى أن سيبويه[٢٣١] لم يقدر فيها حركة كما أن الحرف المتحرك لا تقدر فيه مع
٢/٦٩ حركته حركة أخرى . وهو مذهب العرب/ : أن يسلكوا الطريق وضدها ،

(٢٢٨) وهو امرؤ القيس ، والبيت من معلقته ، ديوانه ٩ . وصدر البيت :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم

(٢٢٩) وهو امرؤ القيس ، والبيت مطلع معلقته ، ديوانه ٨ . وتمامه :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول وحومل

(٢٣٠) لم أتهد إلى موضع ذلك في الخصائص .

(٢٣١) في الكتاب ١/٤ .

وذلك لسعة اللغة وانتشارها لأنها (تأخذ وتؤخذ)[٢٣٢] كل أدب بها ، فاعرفه .

ومن ذلك باب في كتابنا « الخصائص »[٢٣٣] ترجمته « هذا باب في أن سبب الحكم قد يكون سبباً لضده على وجه » من ذلك أن الإدغام يقوي المعتل وهو أيضاً بعينه يضعف الصحيح .

ومنه أن الحركة نفسها تقوي الحرف وهي بنفسها تضعفه . وقد شرحنا ذلك هناك ، فغنينا عن إعادته هنا .

٨٥ = ٣١٠ مسألة :

قول شاعرنا[٢٣٤] :

يَرَوْنَ[٢٣٥] مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَـهِيـلَ الجِيَـادِ وخَفْقَ البُنُـودِ

لا يجوز أن يكون « يرون » ههنا من رؤية العين لاستحالة ذلك في المعنى . ولا يجوز أيضاً أن يكون بمعنى « يعلمون » لأن الأمر بخلاف ذلك . فلم يبق إلا أن تكون « رأيت » بمعنى « اعتقدت » كقولنا : فلان يرى رأي الخوارج ويرى رأيَ أبي حنيفة ونحو ذلك ، أي يعتقد اعتقاده . وإذا كان كذلك وجب النظر في انتصاب « صهيل الجياد » :

فلا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لأن « رأيت » هذه لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد . ألا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِتَحْكُمَ بينَ النَّاسِ بما أَرَاكَ اللهُ ﴾ [سورة النساء : ١٠٥] فهذه منقولة من « رأيت » بمعنى

(٢٣٢) كذا وقع .

(٢٣٣) الخصائص ٣/٥١ ـ ٥٦ .

(٢٣٤) وهو أبو الطيب المتنبي ، ديوانه ١/٣٤٤ .

(٢٣٥) ظاهر كلام ابن جني أنها « يرون » بفتح الياء . وفي شرح ديوان المتنبي المنسوب إلى العكبري : « الرواية الصحيحة يُرَوْن بضم الياء لأن ما ذكره ظنٌّ وليس بعلم . وقال الواحدي : من روى بفتح الياء فهو غالط » .

« اعتقدت » وإنما معهـا مفعولان : أحدهما الكـاف في « أراك » والآخر ضمير « ما » المحذوف ، أي بما أراكه الله . ولو كانت متعدية إلى مفعولين لوجب بعد النقل أن تتعدى إلى ثلاثة مفعولين . فإذا بطل أن يكون مفعولاً ثانياً وجب التماس وجه له ينتصب عليه .

ولا يحسن البدل أيضاً لأن المعنى ليس عليه . ألا ترى أنه يصير إلى أنه كأنه قال : يرون من الذعر صهيـل الجياد وخفق البنود ، وليس المعنى هذا ، وإنما هو : يحسبون هذا هذا أو يظنون هذا هذا . و« رأيت » هذه لا تكون بمعنى « حسبت » إنما هي لحاسة البصر أو للعلم أو للاعتقاد ، ففيه ما تراه .

وطريق جوازه عندي أن يكون أراد بـ « رأيت » هنا معنى الاعتقاد ،
١/٧٠ إلا أنه لما كان عظيماً في نفسه ومتعدماً في اعتقاده لحق عنده[٢٣٦]/ .....
[خرم] .

٨٦ =[٣١١] مسألة :

يجوز في قول جرير[٢٣٧] :

يا أَحسنَ الناسِ كُلُّ الناسِ إِنْسانا

غيرُ ما قالوه من أن « إنساناً » هنا هو إنسان العين[٢٣٨] ، كقولك : يا أحسن النـاس عيناً ؛ وذلك أن يكون أراد : يا إنسـاناً أحسنَ الناس ،

---

(٢٣٦) وقع هنا خرم ، فاللوح ٢/٧٠ فيه آخر ما خرجه ابن جني من شعر تأبط شرّاً .

(٢٣٧) ديوانه ١٦٢/١ . وصدره :

أَلستِ أحسـنَ من يمشـي علـى قـدم

ورواية الديوان « يا أملح الناس » .

(٢٣٨) كذا في الديوان .

فقدّم وصف النكرة عليها فنصبه على الحال منها ، فهو كقولك : يا قائماً زيدُ على حدّ قولك : يا زيدُ قائماً ، ثم قدمت الحال على صاحبها ، فاعرفه .

٨٧ =[٣١٢] مسألة :

يشهد بصحة قول أبي الحسن في إجازته « زيد كيف »(٢٣٩) : أن يكون في « كيف » ضمير مرفوع على حد ارتفاعه بالفعل = قولُ بعض الأعراب(٢٤٠) :

ومـــا أدراكَ أَيْنَ أَنْتَ أَيْنَـــه

فتفهّمه .

٨٨ =[٣١٣]مسألة :

قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الفتح : ٤] هو منقول من نزلت الدار ونحوها ، فكأنه أحلَّها إياها وجعلها مَأْلَفاً ومَعَاناً لها . فالظرف إذاً متعلق بنفس « أنزل » لا بالسكينة ولا بمحذوف هو في الأصل حال منها على حد قولك : كلمت زيداً في الدار ، والظرف حال لـ « زيد » أي كلمته كائناً في الدار هو . وليس في المعنى كقوله تعالى : ﴿ وسَكَنْتُم فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٥] لأنه عندنا من السكون لا من السكن والحلول . ألا ترى أن السكون أبلغ من السكن لأنه قد يجوز أن يسكن الدار وهو قلق فيها وعلى مشارفة لزواله عنها ، فإذا هو سكن فيها فقد اجتمع له إلى السكنى فيها السكون إليها ، فلذلك قال ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ أي هدأتم بها واطمأننتم إليها ؛ فهو أذهبُ في توبيخهم والاحتجاج عليهم من أن يكونوا سكنوها غير وادعين ولا مختارين لها .

(٢٣٩) كذا وقع .

(٢٤٠) لم أجده .

٨٩ =[٣١٤]وقوله سبحانه : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [سورة الفتح : ٥] ليس ببدل من قوله ﴿ لِيَزْدَادُوا إيماناً مَعَ إيمانِهِم ﴾ [سورة الفتح : ٤] لأن ازديادهم إيماناً من أفعالهم ، وإدخاله إياهم الجنات من أفعاله تعالى ، أي اللام في قوله
١/٧١ « ليدخل » متعلقة بنفس « يزدادوا »[٢٤١] أي ليزدادوا إيماناً للدخول/إلى الجنات ، أي يكون ازديادهم منه للدخول ومن أجل الدخول .

ويجوز أيضاً أن تكون متعلقة بنفس « إيمانهم » أي مع إيمانهم لأجل دخولهم الجنات ، كأنهم إنما آمنوا ليدخلوا .

ولا يحسن أن تكون اللام متعلقة بقوله ﴿ إيماناً ﴾ لأن بعده ﴿ مع إيمانهم ﴾ ، وليس من صلة « إيمان » فهو أجنبي ، وإذا كان أجنبياً لم يجز أن تتعلق اللام بنفس قوله ﴿ إيماناً ﴾ لِمَا فيه من استحالة الفصل بين الموصول والصلة بالأجنبي .

وإن شئت علقتها بمحذوف يدل عليه جملة الكلام ، أي وقعت هذه الأشياء ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ . وحسن إضمار هذا الفعل مع جواز تناول الظاهر من أجل المعنى . ألا ترى أنه يصير أَجْمَعَ للمراد المقصود هنا ، ألا ترى أنّ بعده ﴿ ويُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَاتِ والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَات ﴾ [سورة الفتح : ٦] ، وهذا واضح .

٩٠ =[٣١٥] مثل قول المتنبي[٢٤٢] :

مِنْ طَاعِنِي ثُغَرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ ... ومِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وخَلاَخِلُ

قولُ الأعشى[٢٤٣] :

(٢٤١) بعده في الأصل : « بها » .

(٢٤٢) ديوانه ٣/٢٥٢ .

(٢٤٣) ديوانه ٥٣ . وفي الأصل : « وقال الأعشى » والصواب ما أثبت .

إذا هُنَّ نَــازَلْنَ أَقْـرانَهُـنَّ وكانَ المِصَـاعُ بِمـا في الجُوَنْ

أي يقاتلن الشباب بالخضاب والطِّيب = وقولُ الآخر(٢٤٤) :

هــل يَغْــلِبَــنِّــي واحــدٌ أُقــاتِـلُهْ

رِيمٌ عـلى لَبَّــاتِــهِ سَــلاَسِــلُهْ

سِــلاَحُــهُ يـومَ الوَغَـى مَكَـاحِلُهْ

٩١ =[٣١٦] مسألة :

قوله :

ومـا ذَكَرَتْكِ النَّفسُ إلاّ تَفـرَّقَتْ فَـرِيقَـيْـنِ منهـا عـاذِرٌ لي ولاَئِمُ

ينبغي أن يكـون أراد : منهمـا عاذر لي ومنهمـا لائم ، كقول الله سبحانه ﴿ منها قائمٌ وحَصِيدٌ ﴾ [سورة هود: ١٠٠] أي ومنها حصيد ، فحذف أحد الظرفين لدلالة صاحبه عليه . لا بدَّ من تقدير « منها » أخرى لاختلاف معنى الصفتين – يعني عاذر ولائم وقائم وحصيد ، إلا أنه أعاد الضمير بلفظ الإفراد فقال « منها عاذر » حملاً على المعنى . ألا ترى أن النفس إذا تفرقت فريقين فإنها هي الفريقان . وإذا كان كذلك صحَّ ما قلناه من ردّ لفظِ/الفريقين بمعنى ما هي هما وهو النفس ، كقول الله سبحانه ٢/٧١ ﴿ ومنهـم مَنْ يَسْتَـمِعُـونَ إليكَ ﴾ [سـورة يونس : ٤٢] وقول الفرزدق(٢٤٥) :

نكنْ مِثْلَ مَنْ يا ذئب يصطحبان

أي مثل رفيقين يصطحبان أو مثل اللذين يصطحبان ، وهو كثير فاعرفه .

---

(٢٤٤) الأبيات في شرح ديوان المتنبي المنسوب إلى العكبري ٢٥٢/٣ .

(٢٤٥) ديوانه ٨٧٠ ، وصدر البيت :

تعشَّ فـإن واثقتـني لا تخونـني

تم المجموع بحمد الله وعونه
من كلام الإمام عثمان بن جني رحمه الله تعالى
منقولاً من خطه ، وذلك بحلب المحروسة بالقرب
من عمود الأسر بتاريخ شهر الله الأصم رجب
سنة سبع وخمسين وستمائة على يد أضعف
خلق الله وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه عفا الله
عنه محمد بن عبد الرحيم حامداً لله تعالى ومصلياً
ومسلّماً

فهرس المصادر

أبنية كتاب سيبويه ، للزبيدي ، تحقيق أحمد راتب حموش (رسالة جامعية ، جامعة دمشق ١٩٧٨) .

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، للبنّا ، تحقيق د. شعبان إسماعيل ، عالم الكتب ببيروت ١٩٨٧ .

أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، تحقيق د. محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٢ .

أساس البلاغة ، للزمخشري ، دار صادر ببيروت ١٩٧٩ .

أسماء المغتالين ، لابن حبيب (في نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٣ .

الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، تحقيق عبد الإله نبهان وأصحابه ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٥ – ١٩٨٧ .

الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

الأمثال ، لأبي عبيد ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٨٠ .

الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ١٩٦١ .

تاج العروس ، للزبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .
تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون وعبد الحليم النجار ومحمد علي النجار وآخرين ، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٧٥ .
جمهرة أشعار العرب ، للقرشي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ١٩٦٧ .
جمهرة الأمثال ، للعسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، القاهرة ١٩٦٤ .
الحجة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٨٥ (لم يتمّ) .
الخاطريات ، لابن جني ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨ .
خزانة الأدب ، للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩هـ .
الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ، لحمزة الأصبهاني ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
ديوان الأخطل ، صنعة السكري ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩ .
ديوان الأعشى ، تحقيق د. محمد محمد حسين ، بيروت ١٩٦٨ .
ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
ديوان أوس بن حجر ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٧٩ .

ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن ، وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٢ .

ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق د. نعمان طه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ديوان جميل ، جمع وتحقيق د. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ١٩٦٧ .

ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق د. نعمان طه ، مكتبة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٨ .

ديوان خفاف بن ندبة ، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ، بغداد ١٩٦٧ .

ديوان الخنساء ، دار صادر ببيروت .

ديوان دريد بن الصمة ، جمعه محمد خير البقاعي ، دار قتيبة بدمشق١٩٨١ .

ديوان ذي الرمة ، بشرح أبي نصر الباهلي ، تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ .

ديوان رؤبة ، جمع وتحقيق وليم بن الورد ، ليبسك ١٩٠٣ .

ديوان زهير ، بشرح ثعلب ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤ .

ديوان زهير ، بشرح ثعلب ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ١٩٨٢ .

ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر ببيروت ١٩٦٣ .

ديوان العجاج ، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧١ .

ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة مصورة ، دار الأندلس ببيروت .

ديوان عنترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي بدمشق ١٩٧٠ .

ديوان الفرزدق ، تحقيق عبد الله الصاوي ، القاهرة ١٩٣٦ .

ديوان لبيد ، تحقيق د. إحسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ .

ديوان المتنبي ، بشرح [منسوب إلى] العكبري ، تحقيق مصطفى السقا وصحبه ، القاهرة ١٩٧١ .

ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق د. شكري فيصل ، دمشق ١٩٦٨ .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥ .

ذيل الأمالي والنوادر ، للقالي ، دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

رسالة الصاهل والشاحج ، للمعري ، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ .

زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨١ .

السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم بدمشق ١٩٨٥ .

سفر السعادة وسفير الإفادة ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق د. محمد الدالي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

سمط اللآلي ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦ .

شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافي ، تحقيق د. محمد علي سلطاني ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦ .

شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٣ .

شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، بولاق ١٢٩٦هـ .

شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٧ .

شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .

الصحاح ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ، دار العلم للملايين ببيروت ١٩٧٩ .

الطرائف الأدبية ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٧ .

فرحة الأديب ، للأسود الغندجاني ، تحقيق د. محمد علي سلطاني ، دار قتيبة بدمشق ١٩٨١ .

الفصول والغايات ، للمعري ، تحقيق حسن زناتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

القوافي ، للأخفش ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، دار الإرشاد ودار الأمانة ١٩٧٤ .

الكافي في العروض والقوافي ، للتبريزي ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، القاهرة ٩٦٩ = الوافي في العروض والقوافي .

الكامل ، للمبرد ، تحقيق د. محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٦ .

الكتاب ، لسيبويه ، بولاق ١٣١٦هـ .

كتاب الشعر ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق د. محمود الطناحي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨ .

كتاب الكتاب ، لابن درستويه ، تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٧ .

لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ببيروت .

اللمع ، لابن جني ، تحقيق حامد المؤمن ، بغداد ١٩٨٢ .

ما يجوز للشاعر في الضرورة ، للقزاز ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ود. صلاح الدين الهادي ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٨٢ .

المبسوط في القراءات العشر ، لابن مهران الأصبهاني ، تحقيق سبيع حاكمي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ .

مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .

مجالس العلماء ، للزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الكويت ١٩٦٢ .

المحتسب ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

المسائل الحلبيات ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، بيروت ١٩٨٧ .

المستقصى ، للزمخشري ، حيدر آباد ١٩٦٢ .

معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق د. فائز فارس ، الكويت ١٩٧٩ .

معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، دار الكتب المصرية ١٩٥٥ .

معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، دار صادر ببيروت .

معجم شواهد العربية ، لعبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٢ .

معجم ما استعجم ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٥ .

المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ .

المنصف ، لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤ .

النبات ، لأبي حنيفة ، تحقيق برنهارد لفين ، فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٧٤ .

النكت في تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري ، تحقيق زهير سلطان ، معهد المخطوطات العربية بالكويت ١٩٨٧ .

الوافي في العروض والقوافي ، للتبريزي ، تحقيق عمر يحي ود. فخر الدين قباوة ، دار الفكر بدمشق ١٩٧٥ .

السيد محسن الأمين العاملي
(١٢٨٤ - ١٣٧١هـ)
(١٨٦٧ - ١٩٥٢م)

الدكتور شاكر الفحام

الجانب الأدبي

إن من يتتبعُ سيرة السيد محسن الأمين وأعمالَه الخيرة ، ويتبينُ طريقته التي التزمها نهجاً في حياته ، ويطالعُ مؤلفاته ومقالاته ، وما أكثرها وما أنفعها ، لا يملك إلا أن يُكْبر هذه العبقريةَ الفذَّة التي اجتمع لها العلمُ

(*) ألقيت هذه الكلمة في الحفل الذي أقيم في مكتبة الأسد يوم ٢١ شوال ١٤١٢هـ/٢٢ نيسان ١٩٩٢م ، في الذكرى الأربعين لرحيل العلامة الكبير والأستاذ الجليل السيد محسن الأمين العاملي .

وقد تناولت فيها أدب الفقيد رحمه الله وأغدق عليه سحائب رضوانه .

(**) تجد ترجمة السيد محسن الأمين وأخباره في كتابه : الرحيق المختوم ١ : ٣٣٩ - ٤٠٧ (دمشق - ١٣٣٣هـ) ، ٢ : ١٣٩ - ١٦٢ (دمشق - ١٣٤٨هـ) ، وكتابه : أعيان الشيعة ١٠ : ٣٣٣ - ٤٤٦ (بيروت - ١٩٨٦م) ، وأحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة للسيد محمد مهدي الموسوي ٢ : ٢٨٠ - ٢٨١ (النجف الأشرف - ١٩٦٨م) وأحسن الأثر للشيخ صالح الكاظمي : ٣١ -٣٦ (بغداد - ١٩٣٣م) ، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج١٧ : ٥٢٨ - ٥٣٤ ، ٥٥٠ - ٥٥١ ، مج٢٧ : ٦١٩ - ٦٢٣ ، مج٢٩ : ٤٤٢ - ٤٥٨ ، مج٣١ : ٤٨٣ - ٤٨٦ ، وأعيان الشيعة ٨ : ٢٩١ ، وانظر بقية المراجع في الأعلام للزركلي ٥ : ٢٨٧ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨ : ١٨٣ - ١٨٥ .

الواسعُ الغزير والاستقامةُ في السلوك والعمل ، والانقطاعُ إلى الإصلاح والإرشاد ، ويتهدّى إلى الأسباب التي رفعت السيد الأمين ليكون منارةً هاديةً تتشوّفُ إليها الأبصار .

لقد وقف نفسه طَوال حياته يسدّد ويقوّم ، ويعلّم ويهدي ، ويدعو إلى وحدةِ القلوب واجتماعِها على المحبة والخير . لم تَعُقْه العقبات ، ولم تثنه الصعاب ، بل زادته عزماً وتصميماً على السير قدماً حتى يبلغ هدفه المأمول[1] .

إننا ونحن نجلو اليوم جوانب من سيرة هذا العالم الكبير ، والصالح المصلح لنزدادَ معرفةً به ، وتقديراً لجهوده ، وإحاطةً بالمهمة الرفيعة التي اضطلع بها ، لا يفوتنا أن نرمي إلى غرضٍ ثانٍ ، هو تقريب هذه السيرة إلى الأجيال الجديدة ، تجدُ فيها القدوة والأسوة ، فتنصرفُ إلى العلم ، تبذلُ في سبيله كل جهد مستطاع ، وتنهلُ من معينه ما يُسْعفها لترقى بالوطن درجات وترفعَ من طاقاته وقدراته ، ثم تهيبُ بها هذه السيرةُ المباركةُ أن تتمسك بالقيم والمبادئ ، وتتعلقَ بالفضائل والمُثُل ، فترنوَ بأبصارها إلى معالي الأمور ، وتتجنبَ سَفْسافها .

* * *

ولد السيد محسن الأمين في حدود سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) بقرية شقرا التابعة لناحية هونين من أعمال مرجعيون ، وهي من قرى جبل عامل . وبدأ تعلمه في مسقط رأسه لينتقلَ من بعدُ إلى مدارس جبل عامل ، ويقرأ على علمائها ، وقد جدَّ في التحصيل حتى لان له عَصيُّ العلوم . وكان يتكئُ على نفسه في قراءة العلوم حين لا يجدُ المدرسَ المسعفَ المساعد . ومما قرأه بنفسه في أواخر هذه المرحلة من التعليم شرحُ نهج

(١) أعيان الشيعة ١ : ٨٦ – ٨٧ (نصيحة مهمة) .

البـلاغة لابن أبي الحديد . وبدأ التـأليفَ في تلك المرحلة المبكرة من حياته ، وقال الشعر . ولما ملأ عِيابَه مما أخذ عن العلماء العامليين وجَّه همَّه إلى الرحلة في طلب العلم ، شأن السلف الصالح ، فقصد النجف الأشرف سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م) ، وقرأ على علمائه الفضلاء ، فلما بلغ مراده ، ونال بغيته ، غادر النجف إلى دمشق سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) ليتخذها منزلاً ومقاماً . ونصب نفسه للتعليم والتأليف والهداية ، وأنشأ المدرستين المحسنية واليوسفية ، إلى جانب جميعة الإحسان ، وجمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام .

وكان ، رحمه الله ، منهوماً بالعلم ، مشغوفاً بالمطالعة ، يصف أيام مقامه بالنجف فيقول : « كنتُ فيها مكباً على المطالعة والمراجعة والقراءة والتدريس والإفادة ، والتصنيف والتأليف ، ليلي ونهاري ، معرضاً عما سوى ذلك إلا بقدر الضرورة .... موجهاً إلى تحصيل العلم همةً أعلى من الضُّراح ، وعزمةً أمضى من بيض الصفاح »[2] وظلَّ ذلك دأبه وديدنه طَوال حياته ، وقد تحدَّث عن حبه للعلم وتبتُّله في محرابه في غير موضع من كتبه[3] . وقال في صفة الكتاب :

رضيتُ بالوحدة في منزل   ليس جليسي فيه غيرَ الكتابْ[4]
أَكْرِمْ به من صاحبٍ صادقٍ   يَهْدي إلى نهج الهدى والصوابْ
بصحبتي إياه في غربتي   وموطني قد لذَّ عيشي وطابْ

---

(٢) الرحيق المختوم ١ : ٣٤٨ ، والضُّراح ، بضم الضاد : بيت في السماء حيال الكعبة .

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٢٧ : ٦٢١ -٦٢٣ ، الرحيق المختوم ١ : ٣٥١ ، ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ، أعيان الشيعة ١ : ١٤/ع٢ ، ١٠ : ٣٣٤/ع١ ، ٣٣٨/ع١ ، ٣٦٩/ع٢ .

(٤) الرحيق المختوم ١ : ٢٤١ .

وجعل مطلع كتابه : (معادن الجواهر) بيانَ فضل العلم والتأليف والكتابة . ووصف نفسه فقال :

أنا الذي في طلاب الـ ـعلوم أفنيتُ عمري[٥]
وليس لي من جليسٍ إلا دواتي وسِفْري
وفي يميني يَراعٌ في الطِرْس ما زال يجري

وكان ، رحمه الله ، كما وصف نفسه ، يواصل الكتابة والتأليف ، فغزر نتاجه ، وكثرت كتبه ومصنفاته . يقول عن نفسه : « له مؤلفات كثيرة ، وبعضها قد طبع مرتين أو مراراً ، وبعضها قد ترجم إلى غير العربية وطبع ، وأكثرُها يزيد على ٥٠٠ صفحة إلى ٨٠٠ صفحة . وحسبك أن يكون أعيان الشيعة يبلغ مئة مجلد .... ولو قُسِم ما كتبناه تسويداً وتبييضاً ونسخاً وغيرها على عمرنا لما نقص كل يوم عن كراس ، مع عدم المساعد والمعين غيرَ اللهِ تعالى »[٦] .

وكان يتحمل الشدائدَ والمشاقَّ ، ليبلغ مشتهاه في التحقيق والتدقيق ، ويكفي أن نشير إلى رحلاته ، ولا سيما الرحلة العراقية الإيرانية ، لنتبين مدى ما قدّم وما بذل ليصل إلى طَلِبته[٧] .

وتتجلى في مؤلفاته روحُ النَّصَفَةِ والنزاهة وحب الحقيقة . وكان حريصاً على توثيق نقوله ، وذكر مصادره ، ليكون القارئُ على بيّنة مما بين يديه . وقد بلغ عددُ المصادر التي رجع إليها في تأليف كتابه (أعيان

(٥) معادن الجواهر (دمشق ــ ١٣٥١هـ) ٣ : ٤٠٣ .

(٦) أعيان الشيعة ١٠ : ٣٧١ ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ج٢٧ : ٦٢٣ .

(٧) الرحلة العراقية الإيرانية (بيروت ــ ١٩٥٤م) ، رحلات السيد محسن الأمين (بيروت ــ دار الغدير) ، معادن الجواهر ٢ : ٢٨٩ ــ ٣٤٣ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٣٦٩ ــ ٣٧٠ ، ٣٧٣ .

الشيعة) ثلاثةً وتسعين وثلاثَ مئة مصدر[٨] .

وتقديراً لمكانته العلمية السامية ، وما قام به من جليل الأعمال والمآثر فقد اختاره أعضاءُ المجمع العلمي العربي بدمشق زميلاً لهم ، فانضمّ إلى مجمع الخالدين سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) ، وشارك زملاءه في أعمال المجمع ، وآزرهم في مهمتهم ، وكان نعم العونُ والعضد ، حتى اختاره اللهُ إلى جواره سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م)[٩] .

لقد كان ، رحمه الله ، من أولئك العلماء الأعلام الذين لا يقصرون جهودهم على علم واحد ، بل يمدون من آفاق معرفتهم لتشمل أنواعاً شتى من العلوم ، فبرع ، رحمه الله ، في العلوم الدينية ، واتسع في قراءة التاريخ وعلم الرجال والأدب ، وعُني باللغة وأتقن علوم العربية ، ورُزق حافظة قوية ، أسعفته في حفظ الكثير من مختار الشعر ، وبليغ النثر . وألَّف فأكثر ونوَّع . ويكفي أن نشير إلى كتاب أعيان الشيعة ليدرك القارئُ دائرة المعارف الواسعة التي كان ، رحمه الله ، يجول في رحابها ، ويجني من ثمارها[١٠] .

* * *

ليس من همي أن أتقصَّى جوانب نشاط السيد الأمين ، فذلك فوق الوسع والطاقة . وإنما أنا قاصر كلمتي على الجانب الأدبي .

كان طالبُ العلم ، كما قصّ علينا السيد الأمين في سيرة حياته ، يبدأ بختم القرآن الكريم ، وتعلُّم الكتابة ، ثم يجوّد الخط ، ويقرأ كتب

(٨) أعيان الشيعة ١ : ٢٠٩ ـ ٢١٨ .

(٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج١٧ : ٥٥٠ ـ ٥٥١ ، مج٢٩ : ٤٤٢ ـ ٤٥٨ .

(١٠) انظر ما كتبه الأستاذ سليان ظاهر في أعيان الشيعة ٧ : ١٨٧ ، وفي مقدمة الرحلة العراقية الإيرانية (بيروت ـ ١٩٥٤م) : ٥ ـ ١٥ .

النحو متدرجاً من الآجرومية إلى شرح قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام ، إلى شرح ابن الناظم على ألفيه ابن مالك ، إلى ما فوقها من كتب ، مثل شرح الرضي على الكافية ، والتصريح على التوضيح للشيخ خالد ، ثم يضم إلى ذلك دراسة علوم أخرى مثل قراءة المعالم في أصول الفقه ، والمطول في البلاغة ، وما يختاره المدرس من كتب الفقه والمنطق والأدب وسواها . وعمادُ الدراسة في ذلك الحفظُ غيباً في المتون خاصة .

ويحدثنا السيد الأمين أن أول ديوان شعر قرأه كان ديوان أبي فراس الحمداني ، وأنه حفظ كثيراً منه . وتدلُّنا آثار السيد الأمين على تمكنه من ناصية اللغة ، ومقدرته المبكرة على فهم أساليب العربية ، قد أوتي الحافظة القوية ، والموهبة المسعفة ، والذكاء اللمّاح . وظهر تفوقُه على أقرانه وأنداده ، وكان يتفطّن إلى ما لا يتفطن له سواه : مرّ ببيروت سنة ١٣٠٨هـ في طريقه إلى النجف ، وكان في الرابعة والعشرين من عمره ، فاطلع في مكتبة الشيخ أحمد عباس على كراسة من ديوان الشريف الرضي الذي كان يُطبع آنذاك ، فنبه على الخطأ الذي وقع في تفسير بيت الشريف :

ومَوقفٍ صافحت أيدي الرجال به طلى الرجال على الخرصان من كَثَبِ

ودلّ على الصواب[11] . وطالما فعل ذلك .

ومكّنه تفوقه من التأليف المبكر ، وقول الشعر ، فكتب حاشية على المطول ، وحاشية على المعالم ، وكتاباً في النحو[12] . وقد ضمَّ ديوانُ الرحيق المختوم بجزأيه جُلَّ شعر السيد الأمين ، وكثيرٌ منه مما نظمه في أيام الشباب . وفيه قصائدُ قالها سنتي ١٣٠٣هـ و١٣٠٤هـ يرثي بها أقرباء وعلماء فجع بهم[13] .

(١١) أعيان الشيعة ١٠ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

(١٢) أعيان الشيعة : ١٠ : ٣٤٣/ع١٤ .

(١٣) الرحيق المختوم ١ : ١٨٥ ـ ١٩٠ ، ٢٠١ ـ ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، ٢١٢ .

وهو يمضي في شعره على سنن السابقين من الشعراء، يجاريهم في أغراضهم ومعانيهم وصورهم وأساليبهم. وقد نهج نهجهم فيما سلكوه من التشطير، والتخميس، والتوشيح، والتذييل، وقول القصائد المحبوكات، والمعميات والألغاز، وفن التأريخ، والملح، والمعارضة.

وتعدّدت الأغراض التي طرقها، وقد نسقها في الجزء الأول من ديوان: الرحيق المختوم في ثمانية عشر باباً منها المديح والغزل والرثاء والحماسة والصفات والحنين إلى الأهل والأوطان.

وجلُّ مدائح السيد الأمين قالها في مدح النبي ﷺ والإمام علي رضوان الله عليه، والعترة الطاهرين. وإذا كان السيد محسن الأمين قد أفرد قصائد للغزل والنسيب فانه قد افتتح جملة من قصائده الأخرى ولا سيما المديح بالغزل على غرار الشعراء السابقين.

ويطالعك في غزله أحياناً شيء من نفحات حجازيات الشريف الرضي. يقول:

يا سائرين تيمموا نجدا	تخِدُ المطيُّ بظعنهم وَخْدا(١٤)
حَطُّوا الرحالَ على مرابعها	واستنشقوا من تربها الندّا
يا ساكني نجدٍ سألتكمُ	بالعهد أن ترعَوْا لنا العهدا
سَقْياً لأيام مضين بها	قد كان عيشي ناعماً رغدا
وبأيمن العلمين ريمُ فلاً	قد واصل الهجرانَ والصدّا

وساير السيد الأمين شعراء العصر، فوصف في شعره المخترعات الحديثة. يقول في مطلع قصيدة له في مدح نبيّ الرحمة محمد ﷺ يصف القطار الذي امتطاه لزيارة الرسول في المدينة، وتخلّص من الوصف إلى المديح، وهو ما يسمّى عند علماء البديع حسن التخلص:

(١٤) الرحيق المختوم ١ : ٩٧ .

سرت بنا تقطع الغيطان والأُكَما تسابق الريح مهما هبّ أو نسما[١٥]
بزلاء ليس لها رحل ولا قتب ولا زمام ولا شدُّوا لها حزما
من السوابق في المضمار ما حملت سرجاً ولا مضغت في دهرها اللجما
تخبُّ طوراً وطوراً سيرها رَمَلٌ وتارة تسبق السيل الذي دهما

وزاره الشيب مبكراً ، وظهر في مفرقه ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، فهاجه للقول ، فقال :

دهى مفرقي بالشيب صرفُ زماني وما تمَّ لي عشر مضت وثماني[١٦]
وأسرع فيَّ الشيبُ قبل أوانه ومن ذا الذي يبقى على الحدثانِ

وقال :

أرى نوب الزمان تعاورتني ونالت قصدها بالرغم مني
وشيّب مفرقي صرفُ الليالي وما أوفت على العشرين سني

والشطر الأخير مستعار من قول أبي تمام وقد دهاه ما دهى السيد الأمين فقال :

وما أوفت على العشرين سني فما عذرُ المشيب إلى عذاري

وحافظةُ السيد الأمين القوية كانت ترفده وتمده دائماً . وقد ألف أن يضمن شعره ونثره قطوفاً من أشعار السابقين ونثرهم ، ومأثور الحكم والأمثال . بله آيات الذكر الحكيم ، وأقوال الرسول الكريم .

ومما قاله في الحنين إلى دمشق :

خان الزمان وقدماً كان خوانا فشطَّ منزل من نهوى ويهوانا[١٧]
أحبابنا بدمشق لا أَغَبَّكم فيضُ السحائب هطّالاً وهتّانا

---

(١٥) الرحيق المختوم ١ : ٤ ــ ٥ ، وانظر أيضاً ١ : ٢٤١ ــ ٢٤٢ .

(١٦) الرحيق المختوم : ١ : ١٠٥ .

(١٧) معادن الجواهر ٣ : ٤٣٠ .

إنْ يَنْأَ ربعُكم عن ربعنا فلكم   في القلب ربعٌ غدوتم فيه سُكّانا
ذكراكُمُ في محاني القلب ثابتةٌ   فهل نسيتم لبعد العهد ذكرانا

وكان السيد الأمين يباهي بأشعاره ويفاخر ، فعل الشعراء المتقدمين ، فيقول :

إليك من غرر الأقوال قافيةً   كالتبر منسبكاً والدرُّ منتظما(١٨)
تُعيي فصاحتها قُسّاً وتتركُ مِنْ   ورائها كلَّ ذي نثرٍ ومن نظما

ويقول أيضاً :

في الشعر كم لي قوافٍ   من كلّ غرّاء بِكْرِ(١٩)
شواردٍ سائراتٍ   في كل سهل ووعر
يشدو بها الركبُ حدواً   في كل بيداء قَفْر
تسري مسير الدراري   في كل برّ وبحر

لقد كانت صور السيد الأمين وأخيلته ومعانيه تجول في رياض الشعر الموروث . أما أسلوبه فكان أقرب إلى الجزالة في أغراض الفخر والحماسة والمديح ، ويرقّ في غرض النسيب . وقد طاوعته العبارة ، وأسلست له قيادها ، وواتته الألفاظ لسعة محفوظه واقتداره ، تنثال عليه الكلمات يختار منها ما يروقه . وقد رضي عن مذهبه في الشعر ، وكأنما كان يردّد لنفسه :

أتيتُ بمنطق العرب الأصيلِ   وكان بقدر ما عاينتُ قيلي

أما نثره فكان السهل القريب المتناول ، تقرأ سيرته التي حبّرها فتحسّ أنه قريب منك يقصّ عليك بأسلوب سلس ، لا تعمّل فيه ولا تكلف . لقد كانت غايته الأولى في كتبه ورسائله التعليم والإفهام ، فاختار العبارة الواضحة السهلة . وقد هيّأ له هذا الأسلوب انتشار كتبه وتداولها بين فئات

(١٨) الرحيق المختوم ١ : ٦ .
(١٩) معادن الجواهر ٣ : ٤٠٢ .

مختلفة ، كل فئة منها تجد فيها طلبتها ومرادها .

ويضطرنا ضيق المقام إلى إيجاز القول في منظوم السيد الأمين ومنثوره ، ومجال القول ذو سعة ، لننتقل إلى الحديث عن مؤلفاته الأدبية .

لقد بدأ السيد الأمين الكتابة في الأدب وعلومه في مطلع شبابه ، وكان حريصاً على اقتناص الفوائد يختارها ويجمعها . وقد أشار إلى ذلك في مطلع كتابه : معادن الجواهر ونزهة الخواطر الذي حشاه فوائد مصطفاة ، ولآلئ نفيسة تدل على الميدان الرحب من الثقافات المنوعة التي طوّف السيد في جنباتها ، يجتبي ويجني الخيار منها .

وقد قصر الجزء الثالث من كتابه على الشعر والأدب ، فدل ما جمعه واختاره في هذا الجزء على ما يتمتع به من مقدرة فائقة في تذوق الكلام ونقده ، ومن اطلاع واسع ومعرفة عميقة بتراثنا الأدبي .

وتبدت طاقات السيد الأمين الأدبية ، وذوقه الناقد ، وحسه المرهف في كتابه أعيان الشيعة حين تصدى لترجمة كبار الأدباء من الشعراء والكتاب .

كان يرى فرضاً واجباً أن يحيط بأخبار الشاعر أو الكاتب الإحاطة البالغة ، فيبحث وينقّر في الكتب المطبوعة والمخطوطة ليعود بزاد وفير . ثم يعرض ما جمع على محك النقد ، فيوازن بين الأخبار ليدلّ على المتناقض منها ، وينفي المتهافت الضعيف . ويعودُ إلى ديوان الشاعر وآثار الكاتب يستعين بها في التحقق من صحة الأخبار . وينتقي بعد ذلك مختارات من رائع شعره أو بليغ قوله ، ويذكر ما أخذه النقاد عليه ، ملتزماً النَّصَفَةَ والنزاهة . وهو في كل ذلك لا يتوقف عن تصحيح المحرف وتقويم المصحّف من النصوص التي مسخها النساخ .

كان رحمه الله يطيل في تراجم الأدباء من الشعراء والكتاب منساقاً

بفطرته الأدبية ، وذوقه الناقد ، وانك لتستطيع ان تجتزئ كل ترجمة من تلك التراجم لتفردها بكتاب مستقل ، كترجمة المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي تمام وأبي نواس ودعبل بن علي الخزاعي والصاحب بن عباد .

كانت تلك طريقته في عمله ، يقول في مقدمة ترجمة أبي فراس : « ... وبعد فإني ذاكر في هذه الأوراق ترجمة أحوال الأمير أبي فراس الحمداني .... مما استفدته من أقوال المؤرخين ، وما استنبطته من مجرى الحوادث وقرائن الأحوال ، ومن التأمل وإعمال الفكر في أشعاره وما يستفاد من جملة منها من صفاته ومختلف حالاته ، حسبما أدى إليه بحثي وتنقيبي ، ووصل إليه فهمي ومعرفتي مما أرجو أن أكون أصبت فيه شاكلة الصواب ، مع إيراد نبذ صالحة من شعره المستحسن .... ولا سيما ما عثرت عليه زيادة على ما في ديوانه المطبوع وهو شيءٌ كثير » .

وكان يدرك أنه بذلك قد قدم ما لم يقدم سواه ، وأنه تفرد بما لم يشركه فيه غيره . يقول في مقدمة ترجمة أبي نواس : « ... وبعد فهذه سيرة الشاعر الشهير أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي .... تامة مستوفاة مستقصاة من جميع نواحيها بما لم يُسبق إليه . » .

وبعد ، فلقد كنت وأنا أقرأ سيرة السيد محسن الأمين ، تطالعني صورته المحببة بعلمه الغزير ، وسعة أفقه ، وتسامحه ، ومناقبه ، وتواضعه الجم يستقبل قاصديه لا فرق بين كبير وصغير ، ويزودهم بنصحه وإرشاده ، قد نذر نفسه لخدمة مجتمعه ، وهدايته ، ورَفَعَ منارةَ العلم يبدد بها ظلمات الجهل وغشاوة التخلف ، ودعا إلى الوحدة ونبذ الخلاف ، لم يبخل بتضحية ، وعزف عن المغريات ، ولم تغرّه مظاهر الدنيا البراقة ، فكان المؤمن المتمسك بالمبدأ والقيم والمثل ، وكان القدوة الحسنة الطيبة في خلقه ومسلكه وعلمه ونزاهته .

لقد كنت وأنا أقرأ أردّد لنفسي قول رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجالسَ يوم القيامة ؟ أحاسنُكم أخلاقاً ، الموطّؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويُؤلفون » .

رحمه الله الرحمة الواسعة ، وأسكنه فسيح جنانه ، فلقد كان الحسن الأخلاق ، الموطأ الأكناف ، يألف ويُؤلف ، فعل المؤمنين الأبرار .

(التعريف والنقد)

الشرق والغرب رفيقا الدرب
عند رِنْفْرُوْ

(مؤلف معروض)(*) الدكتور عبد الرزاق قدورة

نرمز بالدرب إلى البقعة التي انطلق منها أجداد الناطقين اليوم باللغات الهندية الأوروبية أي الأوروبيين والهنود والفرس وأخوانهم . وهذه البقعة هي ديار بكر أو تكاد تكون . وهذا رأي كولن رنفرو ، أستاذ علم الآثار في جامعة كمبردج ، وعميد كلية يسوع فيها .

منذ اكتشاف القرابة بين لغات فارس والهند وأوروبا ، والناس يتساءلون عن أصلها . والرأي الشائع هو أن أم هذه اللغات جميعاً لغة كان يتكلمها بدو خيَّالة كانوا يسكنون في شمال البحر الأسود في مطلع عصر البرنز . وغزا هؤلاء الفرسان جيرانهم شرقاً وغرباً ، وفرضوا لغتهم التي تشعبت ، على مر السنين ، إلى اللغات الهندية الأوروبية المعروفة اليوم . هذا الرأي الشائع يخالفه عدد من العلماء يستند بعضهم إلى علم الآثار (ومنهم رِنْفرو) ، وآخرون إلى علم اللسان ، وغيرهم إلى علم الحياة . والمُؤَلَّف المعروض ، وهو : « علم الآثار واللسان : معضلة الأصول الهندية الأوروبية » يدافع عن هذا الرأي الجديد . وهناك مُؤَلَّف آخر ينظر في الأمر نفسه ، هو : « البحث عن الهنود الأوروبيين : اللسان وعلم الآثار والأساطير » ، بقلم مَالُوْرِيْ . وسوف نستعين به في هذا العرض ، كما

(*) Archaeology and Language. By Colin Renfrew. Penguin Book, 1989.

نستعين بمقالات نشرها رِنْفرو وآخرون في مجلة الأمريكي العلمي « سَيَنْتِفِيكْ أَمِرِيكَانْ » . ٢/٥٦

رأي رنفرو يعارضه كثيرون . ونشرت مجلة « نِيْتْشَرْ » حديثاً بحثاً دَرَسَ أَسْنانَ جِيادٍ عاشت في شمال البحر الأسود قبل بضعة آلاف من السنين . وقد تبين أَنَّ على الأسنان أَثَرَ حَكٍّ اللجام بها ، أي أن هذه الجياد كانت مُرَوَّضَةً مركوبة ، وأن أصحابها كانوا فرساناً يمكن أن يكونوا الغزاة أجداد الأوروبيين الذين يفترضهم الرأي الشائع الذي يسعى رنفرو إلى نقضه .

رنفرو يقول إن هؤلاء الأقدمين أتوا من بلاد الأناضول التي كانت قد انتشرت فيها الزراعة قادمة من الهلال الخصيب . وانهم لم يغزوا البلاد الجديدة التي انتقلوا إليها ، أي أوروبا وفارس والهند ، بل انتقلوا إليها تدريجياً كلما دعتهم الحاجة إلى أراضٍ زراعية جديدة بسبب ازدياد أعدادهم .

القرابة بين اللغات الهندية الأوروبية واضحة من تشابه كلماتها ، ومنها الأعداد . فالواحد هو « أَنْ » بالفرنسية ، و« وَنْ » بالانكليزية ، و« آيْنْسْ » بالألمانية ، و« اونوس » في اللاتينية ، و« هيس » في اليونانية ، و« ايكاس » في السنسكريتية . ويصح مثل ذلك في الأعداد الأخرى . ولا شبه بين هذه الكلمات وبين الكلمة العربية المقابلة أي « واحد » . وليست القرابة مقتصرة على الكلمات بل هي أيضاً ظاهرة في القواعد واللفظ . وتدل الدراسة على أن اللغات الهندية الأوروبية تنقسم إلى أسر منها الرومانسية التي انحدرت من اللاتينية وتحوي الفرنسية ، والايطالية ، والاسبانية ، والبرتغالية ، والرومانية ، ومنها الجرمانية وتحوي الألمانية ، والنزوجية ، والدنماركية ، والسويدية ، ومنها السلافية ، وتحوي الروسية ، والبولونية ، والتشيكية ، والسلوفاكية ، والصربية الكرواتية ، والبلغارية .

وكل اللغات الأوروبية الحالية تنتمي إلى مجموعة اللغات الهندية الأوروبية إلا الهنغارية ، والفنلندية ، والاستونية ، والباسكية ، وأشباهها .

الاعتقاد بان الناطقين اليوم باللغات الهندية الأوروبية انحدروا من أصل واحد هو اعتقاد منبعه التشابه بين لغاتهم . ولكن لا بد لاختبار صحته من الرجوع إلى علم الآثار وعلم الحياة . وتحديدُ الأرض التي كانت موطن أجدادهم يستند إلى دراسة هذه العلوم الثلاثة معاً (أي اللسان ، والآثار ، والحياة) ، ومقارنة نتائجها بعضها ببعض . فالرجوع إلى الأصول بدراسة علم اللسان سبيله اكتشاف الكلمات المشتركة اليوم بين اللغات الهندية الأوروبية ، لأن هذه الكلمات منحدرة من اللغة الأم ، فمجموعها يؤلف اللب الذي حفظته الأيام . وبدراسة كلمات هذا اللب يمكن استنتاج الوسط الذي كان يعيش فيه الأجداد الذين كانوا ينطقون باللغة الأم . فكلمات اللب التي تسمي حيوانات أو نباتات تدل على أن هذه الحيوانات والنباتات كانت موجودة في الوسط الأصلي . فمن كلمات اللب مثلاً كلمة حصان . وهذا دليل على أن الأجداد ، والوسط الذي عاشوا فيه ، كانوا يعرفون الحصان . ولا تفيد كلمات اللب في التعرف على الوسط الأصلي فحسب ، بل إنها تدل أيضاً على الزمان . فمن كلمات اللب مثلاً كلمة عجلة مما يدل على أن الأجداد عرفوها . ولكن ليس من بينها كلمة حديد ولا كلمة برنز ، فهم اذن ما عرفوها . وهكذا يمكن استنتاج معلومات عن مكان سكنى الأجداد ، وعن زمان انتقالهم منه ، من دراسة كلمات اللب . فهم مثلاً بدؤوا بالتفرق بعد زمان ترويض الحصان وبناء العربات ولكن قبل اكتشاف الحديد والبرنز .

جاءت اللغة الأم من مسكنها الأصلي وانتشرت شرقاً وغرباً . فكيف تم هذا الانتشار ؟ إن دراسته تعطي أيضاً دلائل عن المسكن الأصلي .

هناك عدة أشكال من الانتشار اللغوي . فأولها هو أن يأتي الناطقون باللغة إلى أرض غير مسكونة فيستعمروها ، وتستقر لغتهم فيها . وطبعاً هذا الشكل لا يصح في حالة اللغات الهندية الأوروبية لأن الأراضي التي انتقل إليها أجداد الناطقين بها كانت حتماً مسكونة قبل دخولهم إليها ، وما تزال بقايا من هذه الشعوب ، واللغات ، الأصلية فيها .

الذي حدث في حال الهنديين الأوروبيين هو أن لغتهم حلت محل لغات الأقوام التي انتقلوا إلى بلادها . وهذا الحلول يمكن أن يتم بأشكال مختلفة . منها أن يكون عند القادمين وسائل جديدة لتحصيل الرزق تسمح لهم بالتعايش مع السكان الأصليين ، الذين يتكسبون من وسائلهم الخاصة بهم ، دون أن يكون بين هؤلاء وأولئك تنافس على الموارد نفسها يؤدي إلى النزاع والصدام . وهناك شكل آخر تحل به لغة محل لغة ، غير شكل النجاح الاقتصادي للجدد الذي أشرنا إليه الآن ، هو الهيمنة عندما يكون عند القادمين نظام وسلاح أقوى من اللَّذَيْن عند السكان الأصليين . فعندئذ يحكم أولئك هؤلاء وتحل اللغة الجديدة تدريجياً محل اللغة الأصلية . ولكن لا بد لكي يتم ذلك من تحقق شرطين : أولهما ، كما قلنا ، هو أن يكون القادمون أقوى من القاطنين ، بالنظام والسلاح ، وثانيهما هو أن يكون للفئتين نظام اجتماعي كافٍ ليجعل أولئك حكاماً وهؤلاء محكومين . فقيام الحكم لا يفترض فقط أن يكون لدى الحكام ما يكفي من العزم للقيام بأعبائه ، بل أن يكون لدى المحكومين أيضاً ما يكفي من الرضا لتحمل أوزاره . وهذا وذاك لا يكونان إلا إذا كانت كل فئة من الفئتين منظمة تنظيماً كافياً يمكن هذه من أن تَحْكُم وتلك من أن تُحْكَم . وطبعاً هذه الطريقة في الحلول هي التي يظنها من يقولون إن أجداد الأوروبيين أتوا غازين راكبين ، وفتحوا الأرض التي يسكنونها اليوم ، وحكموا سكانها

الأصـليـين ، وحلت لغتهم محل لغاتهم . غير أن رنفرو ينكر ذلك ، فلا القـادمون كان عندهـم سـلاح ونظام أقوى ، ولا القاطنون كانوا مُنَظَّمين ليُحْكَمـوا فقـد كانوا صـيـادين جامعين للقوت ، متسـاوين في المراتب والدرجـات . ويقـول رنفـرو ان الطبقـات في أوروبا لم تبدأ إلا في عصر البرنز . وهنـاك طبعاً شكلان آخران تحل بهما لغة محل لغة . أحدهما أن تضعف دولة ما وتنهار ، فيغزوها الذين كانوا يعيشون وراء حدودها وكانت تدفعهـم عنهـا أثناء سـلطانها ، فتحل لغاتهم محل لغاتها ، وهذا ما حدث للرومان عند انحلالهم . والشكل الثاني هو عندما تحمل التجارة لغة واحدة عـبر أقوام كثر ، فيعتمـدونهـا في تجارتهم وتواصـلهـم بعضهـم ببعض ، ويَصْبِغُونَهـا بخصـائصهـم ، فتتولد لغة جديدة تنتشر على نطاق واسع ، وتتعـايش مع اللغـات الأصـليـة حينـاً ثم تحل محلهـا ، ومثال ذلك اللغة السواحلية التي ولدت من اللغة العربية في أفريقيا الشرقية والوسطى .

يرى رنفرو ، بعد أن ينظر في أشكال حلول لغة محل أخرى ، أن الشكل الذي يصح في حالة اللغة الهندية الأوروبية هو الشكل الأول الذي ذكرناه ، أي الشكل المستند إلى عوامل اقتصـادية وتكاثرية عندما يكون لدى القـادمين وسـائل أفضـل لاكتسـاب الرزق من وسـائل القاطنين ، فيدخلون بلادهـم سلماً ، ويستثمرون موارد غير التي يستثمرها القاطنون ، فـلا يتنـازعون ولا يتصـادمون ، ولكن يتكـاثرون بسـرعة أكبر ، فتزيد أعدادهم على أعداد القـاطنين ، ولا يلبثون ، بعد انقضـاء زمن كافٍ أن يغمروهم بأعدادهم ، وتحل لغتهـم محل لغة الأصـليين . ويقول رنفرو إن الأسـلوب الجديد في كسب العيش الذي جلبـه معهـم أجداد الهنود الأوروبيين إلى البلاد التي هاجروا إليها هو الزراعة .

قبل تسعة آلاف سنة بدأت الزراعة تنتشر في أوروبا ، فصار يزرع

فيها القمح والشعير ويُرَبَّى فيها الغنم والماعز . وكل هذه النباتات والحيوانات من أصل غير أوروبي . وكلها أتت من البلاد التي ولدت فيها الزراعة وتربية المواشي أي بلاد الشام والرافدين . وقد انتشرت أساليب الحياة الجديدة عندئذ هذه كما تنتشر الأمواج على سطح الماء ، أي ان الفلاحين كانوا كلما تكاثروا ، وضاقت عليهم الأرض المزروعة ، هاجروا منها واستعمروا أرضاً سواها . ذلك أن الزراعة تغذي أهلها أفضل بكثير مما يغذيهم الصيد وجمع الطعام ، فيتكاثرون أكثر من الصيادين والجامعين ، ولا تلبث الأرض أن تضيق بهم . والذين يهاجرون ، عندما يحتاجون إلى ذلك ، هم الشباب . فإذا افترضنا أن الفلاح الشاب المهاجر ينتقل من أرض والديه في أي اتجاه يرجو أن يجد فيه أرضاً خالية صالحة للزراعة ، وأن معدل انتقاله الوسطي بضعة عشر كيلو متراً ، فان حساب الاحتمال يدل على أن أمواج المهاجرين هذه تغطي أوروبا بكاملها بسرعة وسطى قدرها كيلو متر واحد في السنة . وإذا صح ذلك فإن الذين انطلقوا من ديار بكر يصل أحفادهم إلى أوروبا الشمالية بعد نحو ستين جيلاً أي الف وخمس مائة عام .

هذا طبعاً نموذج مفرط في التبسيط . والواقع أعقد منه بكثير . فالأرض التي كان ينتقل إليها المهاجرون ، إن كانت خالية من الزراعة ، فانها لم تكن خالية من الناس ، بل كان فيها الصيادون والجامعون ، وان كان هؤلاء موزعين عليها بكثافة أقل بكثير من كثافة المزارعين . ذلك ان كسب الرزق بالصيد والجمع أقل جدوى من كسبه بالزراعة ، ويتطلب من صاحبه الانتقال الدائم . فالكيلو متر المربع الواحد لا يستطيع أن يغذي وسطيًّا بالصيد والجمع أكثر من عشرة أشخاص ، بينما تستطيع الزراعة أن تغذي ، في الكيلو متر المربع الواحد ، خمس مائة شخص . ونموذج رنفرو ، كما قلنا ، يفترض أن القادمين والأقدمين يتعايشون بسلام ، لأن مواردهم

مختلفة لا يتنازعون عليها ، فهؤلاء يصيدون وأولئك يزرعون ، وموجتاهم تتقدمان شيئاً فشيئاً إلى الشمال والغرب ، فيكون الصيادون هم السابقين ، والزراع هم اللاحقين . ولكن رنفرو يقبل أيضاً بأن بعض الصيادين قد يكون أدرك أن أسلوب الزراع في كسب الرزق أقل مشقة وأعظم جدوى من الصيد والجمع ، فاعتمده واستقر على أرض زراعية . وإذا صح هذا فإنه يعني أن بعض الأوروبيين الحاليين هم من سلالة سكان أوروبا الأصليين هؤلاء الذين كانوا صيادين وانقلبوا زُرّاعاً ، وليسوا من سلالة القادمين من ديار بكر . وعندئذ تكون لغات الذين ينحدرون من الأوروبيين الأصليين غير اللغات الهندية التي هي لغات سلالة القادمين . وفعلاً يجد الباحث بين اللغات الأوروبية الحالية ، أو التي لم تندثر إلا قبل ألفي سنة ، لغات ليست هندية أوروبية منها لغة الباسك التي ما تزال اليوم حية ، ولغة الاترسك الذين عاشوا حتى أيام الرومان .

نظرية رنفرو هذه ، التي تجعل نسب سكان أوروبا الحاليين ، إلاّ جَزائر قليلة ، وفارس والهند ، يرقى إلى أجداد بعيدين في ديار بكر بدؤوا انتقالهم قبل تسعة آلاف سنة تقريباً ، يُوَسِّعها رنفرو ليجعلها تصح في المنطقتين الأخريين اللتين نشأت فيهما الزراعة ، في وقت واحد تقريباً مع نشوئها في ديار بكر وهما بلاد الشام وبلاد العراقين . ذلك أنه لما كانت الفكرة الأساسية في الموضوع هي أن الزراعة أقدر من وسائل العيش التي سبقتها على إطعام أهلها ، فإنها إذن لا بد من أن تزيد أعدادهم ، فتضيق بهم الأرض ، ويضطرون إلى الهجرة باحثين عن أرض جديدة يزرعونها ، فكل منطقة تبدأ فيها الزراعة تصبح إذن بعد حين منبعاً لموجة من الناس المهاجرين . فإذا صح ذلك نتج منه . أن بلاد الشام أصبحت ، بعد أن نشأت فيها الزراعة ، وزاد أهلها عما كانوا ، منطلق هجرة إلى شبه جزيرة

العرب وشمال إفريقيا . وكذلك أن بلاد العراقين أصبحت منطلق هجرة إلى جنوب شرق آسيا وشرقها . وهذا أمر يفرضه الواقع الجغرافي والبحث عن بلاد جديدة ليس فيها زراع . ويؤيد هذا الرأي ان علم الآثار يبين أن الزراعة وصلت إلى شمال إفريقيا بعد بدء وصولها إلى أوروبا بقليل . ويؤيده أيضاً أن لغات شمال إفريقيا هي لغات أخوات من الزمرة الإفريقية الآسيوية ومنها لغة قدماء المصريين ، واللغة البربرية ، واللغة العربية وأخواتها ، ولعل هذه اللغات جميعاً بنات لغة أم كان يتكلمها الذين بدؤوا الزراعة في بلاد الشام . وإذا نظرنا في موجة الهجرة الثالثة المنطلقة من بلاد العراقين ، وجدنا أنها انطلقت شرقاً لتغطي جنوب فارس وتمتد حتى الباكستان . ويؤيد هذا الرأي أن اللغة العيلامية التي كان يتكلمها سكان عربستان الأقدمون قريبة من اللغة الدراڤيدية التي تفرعت منها لغات جنوب الهند الحالية . فنظرية رنفرو تقول إذن إن أصحاب موجة الهجرة الثالثة حملوا معهم أم اللغات العيلامية والدراڤيدية حتى بلغوا بها الهند والباكستان . وفي وقت لاحق وصلت الموجة الأولى ، الآتية من ديار بكر ، وحاملة اللغات الهندية الأوروبية ، إلى الهند فازاحت المتكلمين باللغات الدراڤيدية ودفعتهم إلى الجنوب .

نظرية رنفرو هذه ترد إذن أصول بني الإنسان جميعاً ، إلا القلائل ، إلى ثلاث بقع من الأرض ، قريب بعضها من بعض ، هي ديار بكر ، بلاد الشام ، وبلاد العراقين ، التي انطلق منها الأجداد قبل نحو عشرة الآف سنة . ويؤيد هذا القول علماء من العاملين في علم اللسان ، وآخرون من العاملين في علم الحياة . فالأوائل يقولون إن أسرة اللغات الهندية الأوروبية ، وأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية ، وأسرة اللغات الدراڤيدية ، تنتمي كلها إلى أسرة كبيرة يسمونها النُسْتراتية . وبعضُ علماء الحياة الذين درسوا

مورثات البشر الحاليين ، بطرائق احصائية ، وجدوا تقارباً عظيماً بين مورثات الذين يتكـلمـون اليـوم اللغـات الهندية الأوروبيـة ، واللغـات الإفريقيـة الآسيوية ، واللغات الدراڤيدية ، واستنتجوا من ذلك أن أجداد هؤلاء وأؤلاء وأولئك أقرباء لصيقون .

إن نظرية رنفرو هذه تذكرنا بما توصل إليه علماء الحياة حديثاً من أن الإنسان الحالي ، المسمى بالإنسان الحكيم الحكيم ، بكل أعراقه وأجناسه وألوانه ، هو من سلالة امرأة واحدة عاشت في شرق افريقيا قبل مائتي ألف عام . وقد رجع الباحثون إلى الأصول بالأمهات لأنهم درسوا مورثات تنتقل من الأم فقط إلى من تلدهم . وذلك أن الدراسـة تكون عندئذ أسهل ، وكشف شجرة الأسرة أهون ، لأن هذه المورثات تنتقل إلى المولود دون أن تكون قد اختلطت فيها مورثات الوالد بمورثات الوالدة بالتزاوج كما هو شأن المورثات الأخرى . وهكذا يكون الباحثون قد اكتشفوا أم الإنسان ، أو حواء كما سمتها الصحف السيارة . وبعض العاملين يعتقدون أنهم قد وجدوا أيضاً آدم ، ولكن قولهم غير مقبول حتى الآن .

إذا صحت هذه النظريات دلت على شيئين : شيء خاص ، وشيء عام . فأما الأول فهو أن كتلتي الأرض اللتين تحملان بلاد العرب ، واللتين تتباعدان منذ آلاف الآف السنين ، فيتسع من ابتعادهما البحر الأحمر الذي مافتئ ينشق منذئذ ، هما مهد الإنسان ، فعليهما ولد الإنسان القديم منذ ألف ألف عام ، وعليهما ولد الإنسان الجديد ، الإنسان الحكيم الحكيم ، منـذ مائتي ألف عام ، ومنهمـا انطـلق ، قبـل عشـرة آلاف عام ، أجداد الإنسان الذين يملؤون اليوم أكثر بقاع الأرض .

أما الشيء العام فهو أننا ، بني الإنسـان جميعاً ، أخوة : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [سورة الحجرات ، الآية ١٣] .

أبو الحسين الرازي وآثاره

للدكتور غيرهارد كونراد

الدكتور ستيفن ليدر

إن تأريخ مدينة دمشق للإمام أبي القاسم علي المعروف بابن عساكر من أهم المصادر لتأريخ بلاد الشام . وقد نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ثلاثة عشر مجلداً من هذا الكتاب العظيم ، الذي جمع فيه مؤلفه روايات نادرة لصحف وكتب عديدة ، من بينها أقدم المؤلفات في تأريخ بلاد الشام .

صنف ابن عساكر تراجم علماء دمشق وفضلائها وأمرائها على ترتيب حروف الهجاء . وكان يورد الأسانيد الكاملة لكل خبر أو قول . ويعدّ هذا الكتاب موسوعة للمكتبة العربية القديمة ، ولا سيما في مجال التأريخ والتراجم .

ومع شهرة تأريخ مدينة دمشقَ شرقاً وغرباً فإن البحث فيه ما زال في مراحله الأولى . ولعل ما يعرقل جماعة الباحثين من تعميق النظر فيه أن أغلب مجلداته ما زالت مخطوطة ، ولن تتسع معرفتنا لمنهج ابن عساكر والمصادر التي اعتمد عليها إلا بعد أن يتمّ نشر الكتاب ، ويزداد الرجوع إليه في المباحث التاريخية .

لقد صدرت دراسة جديدة عن مصادر تأريخ مدينة دمشق قام بها الدكتور غيرهارد كونراد (Gerhard Conrad) خريج جامعة بون بألمانيا ، وتناول فيها آثار أبي الحسين الرازي (ت ٣٤٧هـ) التي وردت في كتاب

ابن عساكر (شتوتغارد ١٩٩١ ، ١٥١ صفحة) . وقد عثر د. كونراد على رواية مؤلفات أبي الحسين الرازي واكتشف أهميته مؤرخاً لبلاد الشام حين اطلاعه بدمشق في سنتي ١٩٨٢ – ١٩٨٣م على مخطوطات تاريخ ابن عساكر . وهيأت له بحوثه التي قام بها دراسة ثانية أيضاً عن قضاة الشام ومذهب الأوزاعي ، ستنشر في سلسلة المعهد الألماني ببيروت .

يتضمن كتابه المؤلّف في آثار أبي الحسين الرازي قوائم النصوص التي اقتبسها ابن عساكر عنه . ويسعى د. كونراد إلى إلحاق هذه النصوص بمؤلفات أبي الحسين التي يحتمل أن يكون ابن عساكر أخذ منها . ولا تشمل دراسته كل النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين عند ابن عساكر ، لأن كتاب تأريخ مدينة دمشق يحتوي ، حسب تقدير الباحث ، على مقتبسات أخرى في المجلدات التي لم يحلّلها .

يستعرض المؤلف في مقدمته الدراسات الغربية في تاريخ بلاد الشام لأربعة القرون الأولى الهجرية ، ويكشف عن قلة استخدامها تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، وإغفالها الرجوع إلى المعلومات التي نقلها ابن عساكر عن الكتب الأصول . ويقصد د. كونراد بدراسته المشاركة في استخراج كتب التأريخ القديمة .

أما أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الجنيد الرازي فقد أشير إلى أهميته في مقدمة الجزء الثاني من تأريخ مدينة دمشق ، وفي مقدمة كتاب « أمراء دمشق في الإسلام » الذي يتضمن كتاب « ذكر من ولي إمرة دمشق في الإسلام » للصفدي . وقد اختصر فيهما الأستاذ صلاح الدين المنجد ترجمة أبي الحسين من تأريخ ابن عساكر ، ولكنه لم يقارن بين عناوين مؤلفات أبي الحسين المذكورة عند ابن عساكر والمرويات عنه التي

وردت في كتابي ابن عساكر والصفدي .

لا تتوفر المعلومات عن أبي الحسين الرازي في كتب التراجم ، ويذكره لأول مرة الكتّاني في ذيله لكتاب « مولد العلماء ووفياتهم » لأبي سليمان محمد بن زبر الربعي . أما ابن عساكر فيسمّي في ترجمته القيمة اثنين وخمسين رجلاً من شيوخ أبي الحسين والرواة عنه . وقد كمّل د. كونراد هذه القائمة بأسماء (٣١) شيخاً ورد ذكرهم في النصوص التي يرويها ابن عساكر عن أبي الحسين . ثم ثبّت هذه الأسماء كلها ورتّبها حسب بلدانهم ووفياتهم . تدلّ هذه المعلومات على رحلات أبي الحسين في طلب العلم ، ويستنتج د. كونراد منها تأريخ نزوله دمشق (في السنة ٣١٧هـ) ، وسكنه فيها حتى توفي بها في السنة ٣٤٧هـ .

قسم د. كونراد دراسته إلى ستة فصول :

تناول في الفصل الأول النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين في تسمية أمراء دمشق ما بين سنتي ١٣٢ و٣٣٧هـ . وقد جمعها د. كونراد (وعددها ١٠٨) مما ورد في كتاب « ذكر من ولي دمشق » للصفدي ، الذي أخذها عن ابن عساكر ، وكشف جزءاً كبيراً منها في تأريخ مدينة دمشق ، يرويها ابن عساكر عن أبي الحسين .

يضاف إلى هذه المجموعة عشرون نصاً من تأريخ ابن عساكر لا تخص المترجمين عند الصفدي ، بل تخبر عن حوادث متعلقة بنشاط ولاة دمشق ، لكن ابن عساكر لا يذكر لكل هذه النصوص عنوان كتاب لأبي الحسين ، ويكتفي بقوله : « قرأتُ بخط ، أو كتاب أبي الحسين » .

إن تحليل أسانيد هذه النصوص يوضح بعضاً من مصادرها . من بينها مجموعة لإسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي

الذي كان والي حمص حتى السنة ١٩٤هـ ، ونصوصٌ ترجع إلى أحمد بن المعلَّى بن يزيد الأسدي (ت ٢٨٦هـ) ، الذي ألف كتاباً مشهوراً « في جامع دمشق وبنائه » . يعرض د. كونراد أخيراً نصوصاً تتضمن تفصيلات تاريخية تزيد من معرفتنا للعصر الأموي ، والقرن الأول العباسي في بلاد الشام .

أما الفصل الثاني فيعالج نصوصاً يقدّمها ابن عساكر بقوله : « ذكر أبو الحسين الرازي في تسمية كُتّاب أمراء دمشق » ، ولا يمكن أن نقطع إن كان أصل هذه النصوص كتاباً مستقلاً لأبي الحسين ، وهي تكوّن موضوعاً مهماً يتضمن خمسين نصاً . وقد قام د. كونراد بمقارنة بينها وبين المصادر الأخرى التي تسمّي كُتّاب دمشق ، مثل « تاريخ خليفة بن خياط » و« كتاب الوزراء » للجهشياري ، وأثبت عدم تطابق هذه المواد ، وذلك بسبب النقص في الرواية عن أبي الحسين عند ابن عساكر .

ويناقش المؤلف في الفصل الثالث (٢٧) نصاً تتحدث عن فضائل دمشق ، قدمها ابن عساكر بقوله : « قرأتُ بخط ، أو كتاب أبي الحسين » . وضمّ إليها سبعة نصوص تخبر عن محبة الخليفتين المأمون والمتوكِّل لدمشق . وذكر ابن عساكر كذلك من كتاب لشيخه عبد الرحمان بن أحمد بن علي بن صابر السلمي (ت ٥١١هـ) بعض القصص التي تتحدث عن الأنبياء الذين خطوا أو بنوا دمشق ، وهي منسوبة إلى أبي الحسين . ونجد ضمن هذه المجموعة ذكر عنوان : « في معرفة الآثارات بمدينة دمشق وغوطتها مما تُرجى إجابة الدعاء فيها » ، وثَمَّ عدد النصوص تطابق هذا العنوان .

يسند أبو الحسين الرازي كثيراً إلى محمد بن أبي طيفور الجرجاني

(ت ٢٤٧هـ) الذي قال ابن عساكر فيه : « صنَّف جزءاً يشتمل على فضل دمشق وصحة هوائها وعذوبة مائها يحض به المتوكل على الخروج إليها ، حين عزم على قصدها » . وكشف د. كونراد عن مصدر ثان في مجموعة ليحيى بن حمزة الحضرمي البلخي (ت ١٨٣هـ) الذي ينسب أبو الحسين إليه أحد عشر نصاً .

وموضوع الفصل الرابع مجموعة من الأخبار في « دور دمشق » حفظها ابن عساكر في المجلد الأول لتأريخه ، مع مقدّمة لأبي الحسين الذي يسمّي فيها مصادره . وصحّح د. كونراد النص المطبوع (تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد) ، واستدرك عليه مما وجد في المخطوطات (ولا سيما مخطوطة أحمد الثالث) ، وبيّن ما زاد ابن عساكر على الأصل في تعلقياته . كما درس مسألة قرينة النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين جميعاً ، ويبدو كتاب (دور دمشق) في هذا الضوء باباً من كتاب شامل للرازي . ثم يوجه النظر ، كما فعل فيما سبق ، إلى المصادر وهي مذكورة في مقدمة المجموعة ، ويظهر فيها محمد بن عائذ القرشي (مولاهم ، ت ٢٣٣هـ) الذي يروي أخباراً في نزول الصحابة دمشق .

يحوي الفصل الخامس عدداً كبيراً (١٢١ نص) من معلومات مهمّة فيمن كتب أبو الحسين عنه بدمشق . إن هذه المواد التي تشتَّتْ في تأريخ ابن عساكر تمثل تطور تسمية الشيوخ ما قبل المشيخات ومعجمات الشيوخ . فهي لا تحتوي على أحاديث الشيوخ أو آثارهم ، ولكن نجد فيها تأريخ وفيات الشيوخ ، وملاحظات تلقي ضوءاً على « معلمي حارات دمشق » ، وعلى الحلقات في جامعها . وجد ابن عساكر هذه التسمية بخط نجى بن أحمد العطار (ت ٤٦٩هـ) الذي نقلها من خطِّ أبي الحسين .

ينهي المؤلف دراسته القيمة المفيدة بالفصل السادس ، يذكر فيه بكلمة « كتاب مناقب الشافعي » المنسوب إلى أبي الحسين . ولا يوجد منه حتى الآن إلا خبران يجيزان التقدير أنهما تابعان لهذا الكتاب المفقود .

وقد زود المؤلف كتابه أخيراً بفهرس شامل للأعلام يسهّل للقارئ الاطلاع على مساهمة جيدة في البحث عن تأريخ دمشق ومؤرخيها .

(آراء وأنباء)

حفل تأبين فقيد المجمع
الأستاذ أحمد راتب النفاخ

أقام مجمع اللغة العربية بدمشق حفلاً تأبينياً بمناسبة انقضاء أربعين يوماً على وفاة عضو المجمع الفقيد الأستاذ أحمد راتب النفاخ رحمه الله ، وذلك في تمام الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء السادس من شوال ١٤١٢هـ/٨ نيسان ١٩٩٢ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد بدمشق .

وقد حضر الحفل ثلة من كبار العلماء والأدباء والمثقفين ومن محبي الأستاذ النفاخ وطلابه وذويه .

افتتح الحفل بتلاوة من آي الذكر الحكيم ، ثم تلاها كلمة المجمع ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع ، ثم كلمة الزملاء الجامعيين (جامعة دمشق) ألقاها الأستاذ الدكتور عادل العوّا ، ثم كلمة أصدقاء الفقيد للأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر ، ثم كلمة طلاب الفقيد للدكتور محمد الدالي ، وفي الختام كلمة آل الفقيد ألقاها الأستاذ نزار النفاخ شقيق الفقيد .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل :

كلمة مجمع اللغة العربية

فقيد المجمع
الأستاذ أحمد راتب النفاخ

(١٩٢٧ - ١٩٩٢م)

الدكتور شاكر الفحام

شاءت إرادةُ الله العلي القدير أن يفارقنا الأخ الصديق الأستاذ أحمد راتب النفـاخ إلى جوار ربه الكريم أوفرَ ما كان نشـاطاً ، وأكثرَ ما كان عطاء .

ما زلتُ أتمثل صورته في جلسات المجمع الأخيرة ، وهو يناقش معنا بكـل الجد والحيوية مشـروع خطة جديدة ترسم وجوه نشـاط المجمع في المستقبل ، لتفسحَ له أن يكون أقدر على تأدية أغراضه وتحقيق مقاصده في ميادين اللغة والأدب وإحياء التراث وإقرار المصطلح ووضع المعجمات ، ولتتيحَ له المشـاركة الواسعـة في الحركة الثقـافيـة بإلقاء المحاضرات وعقد الندوات وإقامة المؤتمرات وتوثيق الصـلات بالمجامع والمؤسسـات اللغوية والثقافية .

وكان أشدَّ ما كان تفاؤلاً بما توفره الخطة المقترحة من افتتاح صفحة جديدة في العمل المجمعي المثمر .

وشهد معنا جلسة يوم الأربعاء في ١٢/٢/١٩٩٢م ، واتعدنا على اللقاء صباح الأحد في لجنة المجلة والمطبوعات ، ولكن القدر لم يمهله ، لقد نهض صبـاح يوم الجمعـة (١١/٨/١٤١٢هـ - ١٤/٢/١٩٩٢م) كعادته ، فأدَّى صلاته أحسن أداء ، ثم بدأ التلاوة ، فقرأ ما شاء الله له أن يقرأ من سورة البقرة ، ولكن الصوت المرتّل لم يلبث أن خفت وسكت ،

وهُرع الأهلُ إلى الطبيب . وبذل الأطباء ما بذلوا فما أنجحوا ، وكان أمرُ الله قَدَراً مَقْدُورا ، فأسلم الروح إلى بارئها ، راضياً مرضيا . رحمه الله الرحمة الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

لقد ترك بوفاته ثلمة لا تسدّ ، وإن الخسارة بفقده جسيمة لا تُعوَّض .

فما كان قيسٌ هلكُه هُلْكَ واحدٍ ولكنه بُنْيانُ قومٍ تهدَّما

* * *

ولد رحمه الله عام ١٩٢٧م في أسرة كانت قد وفدت على دمشق من بعلبك في أوائل القرن الماضي ، وعرفت بالصلاح والتقوى .

وبدأ التعلم في سنٍّ مبكرة ، وكان المجلّي في دراسته الإبتدائية والثانوية ، فأحبه مدرسوه ، وأشادوا به . وقد مَهَر بالعربية ، وبرّز في معرفتها تبريزاً أفرده بين لِداته ، وطالما فاخر به أستاذه محمد البزم وأثنى عليه .

ولما التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب (جامعة دمشق) وجد المجالَ رحباً لتفتُّح مواهبه ، والتفوق على أقرانه . وشهد له أساتذته بالمقدرة والفضل ، وأحلّوه المحلّ الأرفع ، وتخرّج من كلية الآداب عام ١٩٥٠م ، ونال من بعدُ شهادة أهلية التعليم الثانوي من كلية التربية عام ١٩٥١م . وقضى سنتين يدرّس العربية في المدارس الثانوية بحوران .

واستقبلته كلية الآداب بجامعة دمشق معيداً (١٩٥٣ – ١٩٥٥م) لتوفده إلى جامعة القاهرة ، فنال درجة الماجستير (عام ١٩٥٨م) وكان موضوع رسالته : دراسة حياة الشاعر ابن الدمينة وشعره وتحقيق ديوانه .

ثم اختار موضوعاً في القراءات لشهادة الدكتوراه . وبعد أن أنجز القسم الأكبر من رسالته ، وقدّمه إلى الأستاذ الدكتور شوقي ضيف المشرف

على الرسالة بدا له أن يتوقف عن إنجاز ما بدأ ، وزهد في الألقاب ، وعزف عنها ، وعاد إلى دمشق ليستأنف التدريس في الجامعة .

وما زلتُ أذكر أن الدكتور شوقي ضيف ، وكان المشرف على رسالتي أيضاً ، حدثني عن رسالة الأستاذ راتب في القراءات حديث المعجَب ، وذكر لي أن الجزء الذي قدّمه كافٍ لنيل درجة الدكتوراه ، وطلب إليّ أن أبلغه ذلك ، وأحثّه على الحضور إلى القاهرة للمناقشة ، وأبلغتُ الصديق الرسالة ، فما زاد على أن تبسم .

وأمضى الأستاذ النفاخ على منبر التدريس في جامعة دمشق بعد عودته من القاهرة سبعة عشر عاماً (١٩٦٢ - ١٩٧٩م) ، وتخرَّجت به أجيال من الطلاب ما زالت تذكر له ما بذل من جهد ، وما قدّم من عون ، ليبصّرهم ويرشدهم ويدلّهم على أصول البحث ، ويضعَ بين أيديهم مفاتيح المعرفة يتهدَّون بها إلى فهم كلام الأقدمين .

واختار أعضاءُ مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ أحمد راتب النفاخ عضواً عاملاً في المجمع عام ١٩٧٦م ، فكان هذا الاختيار تتويجاً للصلات الوطيدة بينه وبين المجمع . وشارك الأستاذ النفاخ في أعمال المجمع المشاركة الطيبة ، وقام بجهد جاهد في لجانه ، وكان له القِدْحُ المعلَّى في أعمال لجنة الأصول ولجنة المجلة والمطبوعات .

وسعد المجمع من بعدُ بتسميته رئيس المقررين فيه (١٩٧٩ - ١٩٩٢م) .

* *

كان رحمه الله جبلاً راسخاً من جبال العلم ، قد جعل الكتاب خدينه وأنيسه ، فلا تراه إلا قارئاً أو مقرئاً ، « وقد أتقن كثيراً من العلوم التي عرفها السلف ، أو استحدثها الخلف ، وبذّ الأقران في فنون منها ، انتهت

إليه الرياسة فيها في عصرنا هذا في بلدنا هذا ، كالقراءات والنحو والبلاغة والعروض واللغة فقهِها وعلمِها ، وأصبح حجة فيها لا ينازعه منازع . هذا إلى أسلوب جزل متميز في الكتابة تفرّد به واشتهر »[١] .

وقد أَلِف طلابُه وأصدقاؤه أن ينعتوه بلقب (علامة الشام) إيذاناً بما يُكنّون له من الإجلال والتقدير .

عرفته في أواخر الخمسينات ، وأنست بصحبته ، وامتدت صداقتنا حتى قضى الله قضاءه ، فعرفتُ فيه الصديق المخلص ، الكريم الخلق ، الطيب القلب ، الصادق الودّ ، يسارع في الخيرات ، قد نصب نفسه لتلبية قاصديه ، ومساعدة طلابه ، فلا يبخل بعلم ، ولا يضنّ بعون ، مهما يكلفه ذلك من مشقة وجهد .

وكنتُ كثيراً ما أستشيره وأسائله في قضايا لغوية ونحوية شَمَسَتْ واستعصت ، فيلينُ أَبيُّها ، ويستدني قاصيَها ، فأُحسّ أنه البحرُ علماً ومعرفة .

من أبرز صفاته أنه كان معلماً ، بالمعنى الرفيع للكلمة . فُطر على القراءة والمطالعة ، وأحب العربية وعلومها الحب الجمّ . وكان طُلَعة لا يريد أن يفوته شيء في الباب الذي ندب نفسه للقراءة والإقراء فيه ، فأَكبَّ على الكتب المصادر التي أَلّفها علماء العربية الأقدمون ، وما زال يدارسها حتى كشفت له أسرارها ، وتبيَّن أصولَها ومراميَها . ثم ضمَّ إلى ذلك مطالعة ما أُلف في عصرنا من علوم اللغة المستحدثة ليستبين خطأها من صوابها ، على هدي ما عرف من منطق العربية الصحيح . ولقد تعشق العربية وشغفه حبها ، إنها له لسان وهوية وحياة ، وقد عبّر عما يحسّه من ذلك بقوله :

(١) من كلمة للأستاذ عبد الهادي هاشم في حفل استقباله (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٥٣ ، ج١ ، ص٢١٤) .

« آليتُ على نفسي ألا أعيش إلا لها ، ولكتابها العربي المبين »[٢] . ولقد وقف حياته حقاً لدرس العربية وتدريسها .

وكان شديد الحرص أن يذيع بين تلامذته وإخوانه ومريديه أطرافاً من عبقرية هذا اللسان العربي المبين ليحبّبه إليهم ، فكان لا يكتفي بالمحاضرات التي يلقيها على منبر الجامعة ، ولا بالحلقات التي تعقد في غرفته بالجامعة ، بل كان يستقبل طلابه وزائريه في منزله المعمور دائماً ، حيث كان يلتقي العالِمُ قد جاء يستفتي في مُشْكلٍ صادفه ، والطالبُ قد أقبل يريد العون في موضوع تصدى لمعالجته ، والأصدقاءُ الذين ألفوا مجلس الأستاذ يلتقطون الفوائد النفيسة .

وكان الأستاذ جمُّ النشاط ، يتدفق في حديثه لا يملّ ولا يتوقف ، يحيط بجوانب المسألة المطروحة ، ويعدّد الآراء والأقوال ، ويحيل على المصادر ليقدم لسائله وسامعه ما ينير الطريق ، ويهدي إلى سواء السبيل .

وكان يفد إلى مجلسه كبار العلماء الذين يزورون دمشق ، يأتونه قاصدين ، حباً في لقائه ، وتطلعاً إلى فوائده .

كان شعاره الأول في حياته نشر العلم وبثه ، وكان يرى في نهج علماء السلف الصالح قدوة طيبة . ففتح بابه ، وأقبل إليه الطلاب والمريدون والأصدقاء . وطالما تطلع إلى أن يكون مجلسه بأحاديثه ، وما يتفرع إليه من حوار ، النواة الصالحة ، والوسيلة الناجعة لتخريج طلاب يحملون عنه العلم ، لينشروه في الملأ .

وكان من تمام إيمانه بنشر العلم وبثه أنه وضع مكتبته المترعة بنفائس الكتب ، وصور المخطوطات بين أيدي طلابه وزائريه ، يبحثون فيها عن

---

(٢) من كلمة له في حفل استقباله (مجلة المجمع ، مج٥٣ ، ج١ ، ص٢٢١) .

طَلِباتهم ، فإذا شاؤوا الاستعارة أعارهم من الكتب النادرة ما يريدون ، خَلَّة نبيلة كريمة جُبل عليها ، ولم يعدل عن عادته تلك ، على ما رُزئَ به من ضياع كثيرٍ من كتبه النفائس .

وحفلت كتبه بالتعليقات الثمينة القيّمة ، فقد كان ، رحمه الله ، إذا لاح له ، وهو يقرأ كتاباً ، موضعٌ يحتاج إلى تعليق لإيضاح مبهم ، أو إصلاح غلط ، يسارع إلى إثباته في حاشية الكتاب . وكانت هذه الفوائد التي لا يقوى عليها إلا عالم ثَبت متمكن كالأستاذ راتب ، معروضةً لكل واردٍ أحبَّ أن ينتفع بها .

وكان رحمه الله يسارع أحياناً فيرسل بتلك التعليقات إلى محقق الكتاب ، يضعها بين يديه ، لأن غايته ومطلبه أن يُنْشر الكتاب محققاً صحيحاً بريئاً من الآفات .

وما أكثر ما كتب وصحح للآخرين ، يبذل ذلك دون منّ ، ولولا أن أشار عدة مؤلفين في كتبهم إلى ما قدّم لهم ، وشكروا له جميل ما صَنَعَ من أجلهم ، لما علمنا علم ذلك .

وإذا كانت مكتبة الأستاذ أحمد راتب تغصُّ بالكتب النوادر والنفائس ، فإن أغلى ما فيها وأنفسَه تلك التعليقاتُ التي حفلت بها حواشي كتبه . وطالما رجوتُ الصديق الكريم أن ينشر تلك التعليقات ليفيد منها الباحثون وطلاب العلم .

وكان رحمه الله على خلق كريم ، وفياً لأصدقائه ، محباً لإخوانه ، وكان شديد التعلق بالمُثُل العليا ، والقيم الخلقية ، قد أخذ نفسه بها أخذاً شديداً . وكان صريحاً صُلْباً في الحق ، لم يعرف الهوادة ، ولم يرض عن المصانعة .

وفي هذا وحده تفسيرٌ لمسلكه وصلاته بالناس . وكان هذا المسلك

الصارم سبب تنكّبه حيناً بعد حين عن أصدقاء خُيّل إليه أنهم دون ما كان يأمله فيهم . وكانت هذه الصدمات تزيده تشبثاً بموقفه ، وإصراراً على نهجه ، وابتعاداً عن دنيا الناس وواقعهم ، وزهداً فيما يرغبون فيه .

فقصر نفســه على عمـله المجمعي ، ووقف عليه كثيراً من جهده ووقته : كان رئيس لجنة الأصول ، وكان عضواً في لجنة المجلة والمطبوعات ، فكان ينفق الساعات الطوال في النظر في مقالات المجلة وتصحيح ما زاغ عن الصواب ، فإذا ما انتهى من عمله المجمعي انقلب إلى منزله ليستأنف العمل والقراءة ، وليستقبل الطلاب والمريدين والعلماء من أصدقائه . وكان يرى في ابنه الصغير عبد الله – سلّمه الله – قُرّةَ عينه ، وأنسـه الأنيس ، يستروح به من أثقال الهموم التي يكابد . وهكذا قضى سنواته الأخيرة بين المجمع والمنزل ، متزهداً مترفعاً ، لا همَّ له إلا القراءة والتعليم ومعونة أصدقائه وقاصديه في بحوثهم .

وبدا له أنه لم يحقق ما كان يصبو إليه . لقد دَأَبَ وعمل ، وجَهَد وجاهد ليل نهار لتخريج جيل يضطلع بعبء درس العربية وتدريسها ، قد وعى منطقها ، واستبانت له أسرارها ، وأوتي القدرة على نشر كنوزها الثمينة فلم يبلغ مأموله .

كان يحسّ أنه غريب في دنياه ، فهو يحمل همومه ، وتبهظه أحزانه ، ولا يكاد يرى من يبوح له بها . لقد أفردته أخلاقه ومُثُله ، وباعدت بينه وبين ما حوله . وكنتُ حين أراه ، وأحسّ ما يعتلج في نفسه أردّد هامساً قول رسول الله ﷺ : « طوبى للغرباء » .

لم أجد في صفته أبلغَ من قوله يصف صديقه الأستاذ عبد الكريم زهور وكأنما كان يصف نفسه : « كان – رحمه الله – لا يتعلق من الحياة إلا بمعـانيها السـامية ، لا تزدهيه المناصب ، ولا تغرّه الألقاب ، ولا تستغرقه همومُ نفسه . وإنما كان همُّه الأكبرُ الذي ظلّ أبداً يعتلج في فكره وضميره ،

ويصرّفه في كل ما زاول من عمل على حكمه همَّ أمته ومطامحها ومستقبلَها ، يسدّده في مساعيه فكرٌ نيّر لا تعمى عليه معه السبل ، وخُلُقٌ قويم يرتفع به فوق ما ينحطُّ فيه ضعافُ النفوس من سفاسف ، وإلى ذلك عزمٌ صادق لا يلين أمام الصعاب . ولم تزده – أكرم الله مثواه – تجاربُه وما قاسى من محن إلا مضاءً في عزمه ، وتسامياً في فكره ، واستبصاراً في طريقه ، كالذهب الإبريز لا يزداد على امتحانه بالنار إلا خلوصاً وتوهجاً .

كان الصدق في القول والعمل طبيعةً راسخة فيه . يتوخى الحق ويتبعه حيثما لاح له ، ثم يثبتُ عليه لا يفتنه عنه هوى ، ولا تنحرف به عنه رهبة ، ولا تحمله على الترخّص فيه مصانعة .... »[٣] .

* * *

وأداه حبُّه للعربية وحرصُه على إظهار تراثها المكنون ، محقَّقاً ، محرّراً ، أن يشقّ على نفسه حين يتصدى للتأليف أو التحقيق أو النقد ، فهو يروّي في عمله ويتأنّى في خطواته ، لا يقبل أول خاطر يهجم عليه ، بل يقلّب وجوه النظر ، ويأخذ نفسه بالتثبت ، ويتشوف إلى بلوغ الكمال .

لقد هيّأ وكتب الكثير ، ولكنه لم ينشر إلا القليل القليل .

ولهذه الخصلة التي تملكته كان يضيق ذرعاً بأولئك الذين يتعجلون في تحقيق التراث ، ولا يوفّونه حقه من الجهد والتمحيص ، ولا يرعَوْن ما يجب في مثله من الدقة والأمانة ، فيقعون في الغلط تلو الغلط ، فكان يرى من واجبه أن ينهض للتصحيح والتقويم ، ذياداً عن التراث ، يقول : « ومن ثَمَّ رأيت من حقّ العلم عليّ ، ومن الوفاء لهذا التراث ، وللأئمة الذين أورثونا إياه ، ألا أدع بيان ما وقفت عليه »[٤] .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٠ ، ج٣ ، ص٦٢٥ – ٦٢٦ .

(٤) كتاب القوافي للأخفش : 6 .

ولكنه كان رحمه الله يقسو أحياناً في النقد ، مأخوذاً بغيرته على تراث الأجداد .

أول ما نشر كلمةٌ في نقد رسالة الغفران التي ظهرت في مصر عام ١٩٥٠م ، وقد أرسل كلمته إلى مجلة الكتاب المصرية فنشرتها بعد أن تصرفت بها تصرفاً أفسدها .

فلما ظهرت الطبعة الثانية لرسالة الغفران عام ١٩٥٧م علق عليها في مقالٍ له في مجلة المجمع . وكان رائده في كل ما صنع هو الوصول إلى وجه الصواب . يقول : « .... فأحببتُ أن أعرض وجهة نظري فيما توقفتُ [أي الدكتورة بنت الشاطئ] فيه ، على العاملين في هذا المضمار ليدلي بوجهة نظره من عنَّ له رأي فيه ، عسى أن نصل إلى وجه الصواب في هذا كله ... » . ثم يختم تعليقاته بقوله : « هذا ما عنّ لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران ، وإني لأشكر من رأى فيما أبديتُ خطأً فردني إلى الصواب .... »[٥] .

وأصدر الأستاذ راتب ديوان ابن الدمينة عام ١٩٥٩م ، وهو جزء من رسالة الماجستير فدل على تمكنه في باب التحقيق ، وسعة اطلاعه على مصادر التراث ، ومقدرته الفذة في البحث والتقصي والتهدي إلى حل المشكلات المعضلات .

وكتب مقالة جليلة في نقد الجزء الأول من طبعة المحتسب لابن جني ، وعرض جملة ما استدركه حتى ختام الكلام في سورة البقرة ، ثم رغب إلى القائمين بالكتاب أن يعيدوا معارضته بالأصل ثانية ، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقه بأصول أخرى[٦] .

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٣٢ ، ج٤ ، ص٦٨٦ ، مج٣٣ ، ج١ ، ص١٥٤ .

(٦) مجلة المجمع ، مج٤٢ ، ج٤ ، مج٤٣ ، ج١ ، ج٢ .

ومن كتبه القيمة : فهرس شواهد سيبويه (عام ١٩٧٠م) .

وقد نسق فيه شواهد القرآن فشواهد الحديث (وهي قليلة لا تتجاوز خمسة/ص٥٧ – ٥٨) ، فشواهد الشعر (وقد بلغت ١٠٤٧ بيت ، بإلغاء المكرر/ص٩) . فقرب بفهرسه الممتع كتاب سيبويه إلى الناس ، ودلّهم على مواضع كثيرة من مسائله ، ومهّد لهم بتعليقاته الإفادة منه .

وأصدر كتاب القوافي للأخفش عام ١٩٧٤م ، إثر طبعة للكتاب لم تكن عنده بالمرضية . وكان هو قد هيأ الكتاب وأعده للنشر ، فنقد الكتاب المطبوع ، وأظهر عثراته(٧) ، ثم نشر كتابه محققاً محرراً . وإنك لتحس الجهد البالغ الذي بذله المحقق والعلم الغزير في تلك التعليقات التي شفت قارئها ، ووضعت يده على مصادر المعرفة .

ووُكل إليه مراجعة كتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) لأبي أحمد العسكري وقد قام بتحقيقه الدكتور السيد محمد يوسف ، فأضاف الأستاذ النفاخ بتعليقاته فوائد جمة . ثم دعت الضرورة أن تزيد تعليقاته في الأبواب الأخيرة زيادة كبيرة طال بها الكتاب ، مما دعا إلى جعله في قسمين : وقد صدر القسم الأول من الكتاب عام ١٩٨١م ، ومما يؤسف له أن الأسباب لم تتهيأ لصدور القسم الثاني منه ، ففاتنا بذلك علم غزير .

وللأستاذ مقالات شتى صحح بها جملة من كتب التراث المحققة وهي تمور بالفوائد النفيسة .

وقد رأيتُ من المفيد أن أجعل في ختام كلمتي لحقاً يضم كل ما عثرت عليه من آثار الأستاذ الكريم .

اللهم ارحمه الرحمة الواسعة ، وأنزله منازل الأبرار في عليين ، وارزق

(٧) مجلة المجمع ، مج٤٧ ، ج١ ، ص٩٢ – ١٣٠ .

آله وأصدقاءه وعارفيه الصبر الجميل .

ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمةٌ ثم هاطلُ

* * *

لحق
آثار الأستاذ أحمد راتب النفاخ

أولاً – الكتب

١ – النصوص الأدبية : (منهاج شهادة الثقافة العامة في كلية الآداب) بإشراف أحمد راتب النفاخ ، مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .

٢ – ديوان ابن الدمينة : صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، تح. أحمد راتب النفاخ ، مكتبة دار العروبة – القاهرة ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م .

٣ – مختارات من الشعر الجاهلي : اختارها وعلق عليها أحمد راتب النفاخ ، مكتبة دار الفتح – دمشق ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

٤ – فهرس شواهد سيبويه : صنعة أحمد راتب النفاخ ، دار الإرشاد – دار الأمانة/بيروت ١٣٨٩هـ – ١٩٧٠م .

٥ – كتاب القوافي : لأبي الحسن الأخفش ، تح. أحمد راتب النفاخ ، دار الأمانة – بيروت ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

٦ – شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : لأبي أحمد العسكري ج١ ، تح. الدكتور السيد محمد يوسف مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

ثانياً – المقالات

١ – رسالة الغفران : مجلة الكتاب المصرية ، مج١٠ ، ج٦ حزيران/يونيه ١٩٥١ .

٢ – القصيدة الصورية : مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٢ ، ج١/١٩٥٦م .
٣ – رسالة الغفران : مجلة المجمع بدمشق ، مج٣٢ ، ج٤/١٩٥٧م مج٣٣ ، ج١/١٩٥٨م .
٤ – المحتسب : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٢ ، ج٤/١٩٦٧م مج٤٣ ، ج١ ، ج٢/١٩٦٨م .
٥ – المعيار في أوزان الأشعار : مجلة معهد المخطوطات العربية مج١٥ ، ج١ – ٢/١٩٦٩م .
٦ – نظرات في كتاب اللامات : مجلة العرب ، س٥ ، ج١/١٩٧٠م .
٧ – كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٧ ، ج١/١٩٧٢م .
٨ – تعقيب على أرجوزة في العروض : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٧ ، ج٤/١٩٧٢م .
٩ – كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٨ ، ج٤/١٩٧٣م ، مج٤٩ ، ج١/١٩٧٤م .
١٠ – كلمة في حفل استقباله يتحدث فيها عن سلفه الشيخ محمد بهجة البيطار : مجلة المجمع بدمشق ، مج٥٣ ، ج١/١٩٧٨م .
١١ – حركة عين المضارع من (فَعَل) : مجلة المجمع بدمشق ، مج٥٧ ، ج٣/١٩٨٢م .
١٢ – كتاب المحبة لله سبحانه : تح. الأستاذ عبد الكريم زهور مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، مجلة المجمع بدمشق مج٥٨ ، ج٤/١٩٨٣م ، مج٥٩ ، ج١ ، ج٢ ، ج٣/١٩٨٤م .
١٣ – نظرات في نظرات : مجلة المجمع بدمشق ، مج٥٩ ، ج٣/١٩٨٤م ، مج٦٠ ، ج٢ ، ج٣/١٩٨٥م .

١٤ – فقيد المجمع الأستاذ عبد الكريم زهور : مجلة المجمع بدمشق ، مج٦٠ ، ج٣/١٩٨٥م .
١٥ – استفتاء وجوابه : مجلة المجمع بدمشق ، مج٦٠ ، ج٤/١٩٨٥م .
١٦ – أشعار اللصوص وأخبارهم : التعليقات الأستاذان أحمد راتب النفاخ وشاكر الفحام ، مجلة المجمع بدمشق ، مج٦٦ ، ج٤/١٩٩١م .

كلمة الزملاء الجامعيين

الدكتور عادل العوا

في الومضة الأولى من فجر استقلالنا السياسي الراهن ، ومنذ جلاء كَرْب الغزو الأجنبي بالجلاء ، أنشأت الجامعة السورية المعهد العالي للمعلمين بجناحين هما كليتا الآداب والعلوم .

وقد جمعتني منذ السنة الأولى من تاريخ هذا الحدث العظيم قاعة تدريس عرفتُ فيها الفقيد الغالي المرحوم الأستاذ (راتب) ، طالباً متميزاً بأفكاره ، وسلوكه ، وشخصيته ، ومزاجه . وقد بان ولعه ، بل شغفه باللغة العربية أجلى بيان حين كاد يعزِف عن النطق بلغة أجنبية ، وكأن لغة الإنسان الحق هي اللغة القرآنية ، لغة الصدق واللسان المبين .

وقد حَرَص أعضاء الهيئة التدريسية في المعهد المذكور ، وفي كلية الآداب ، على رعاية الطالب (راتب) رعاية محبة وإعجاب ، وما لبثت الجامعة أن احتضنته مدرِّساً واعداً للغة العربية وعلومها ، وأوفدته لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة ، فأصاب نجاحاً موفوراً في الأولى ، واعترض سبيلَه شيء ما حال دون بلوغه المَرام في نيل الدرجة الأخيرة . وهذا الشيء القاهر العنيد لم يكن في الحق امراً طارئاً جديداً ، ولا أمراً خارجياً غريباً ، بل إنه لم يكن مانعاً عضوياً ، ولا حائلاً اجتماعياً ولا جامعياً . بل كان عائقاً ذاتياً حميداً . وهل سمعتم بعائق نفسي يقف عثرة في درب نجاح صاحبه فيغدو دافعاً ورادعاً معاً ؟

أجل ، إنني أشير هنا إلى خصلة جلّى ، خصلة واحدة ذاتِ دلالة

إيضاحية شاملة ، ألا وهي مطلب الاتقان الذي تحلى به عزيزنا (راتب) الطالب الموفد ، وزميلنا الأستاذ في الجامعة ، والفقيد الغالي لمجمع الخالدين . إنه إتقانٌ مبتغًى في كل ما ابتغى هو ذاته من شؤون الحياة .

اختـار المرحوم القراءات القرآنيـة موضـوعاً لدراستـه لنيـل درجة الدكتوراه في الآداب . وعمل من أجل ذلك وأجاد . وإنما إجادته تلك هي الاتقان الذي أعاقه بعضُ نقصٍ في المصادر ، على نحو ما سمعتُ منه غير مرة ، فكان أن أحجم من ذاته ، وبذاته ، عن طماح اللقب ، ولم يستجب لالحاح معلميه في القاهرة ، وهم ما برحوا سنين كثيرةً ، ومراتٍ متعاقبة ، يدعونه للحضور إليهم ، مجرد الحضور ، لمناقشـة ما كتب ، والاستمتاع باللقب ، ولكنه أبى ، وأصرّ على موقفه حرصاً مخلصاً منه على تلبية حافز الإتقـان . وهذا الحافز هو الذي عرفنـاه في حيـاة زميلنا الجامعي الأستاذ (راتب) طوال سني تدريسه في كلية الآداب .

أنفق الفقيد في هذه الكلية ما وسِعه الجهد والإخلاص في تدريس علوم اللغـة العربية ، وفي نشر نصوص مختارة من تراثها المجيد . ومثلاً من كتاب « الكامل » أو من كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » . وقد نقّب في كل مرة عن الصواب التائه بين علماء الكوفة والبصرة .وحكى رأيه مؤيَّداً بالدليـل . والدليـل معيار . وهذا المعيار عنده هو تواتر الرواية عن إنسان عربي صريح من صميم العرب . فكلام هذا الإنسان العربي الصريح هو إذن كلام صحيح ، وحجة دامغة ، وبرهان قاطع . ومثل هذا التدقيق البصـير يطالعنا به الأستاذ (راتب) في سـائر أعماله العلمية ، ومختلف إسـهاماته ، ومثـلاً عندما نشـر كتـاب « القوافي » للأخفش ، و« فِهرس كتاب سيبويه » ...

ومن العرفان بالحق أن نلمع هنا إلى نضـاله الحميد في فترة عمله الجامعي . ذلك أن طريقه لم تكن آنذاك مفروشة بالورد والرياحين . بل كان

تدريسه جهاداً ضد الجهل والمروق . وكان الدافعَ إلى هذا العناء حبُّه ، بل هيامه ، بالاتقان . فما برح ينافح في سبيل نصرة اللغة العربية وحمايتها ، وصونها وإعلاء شأنها بإحيائها والذود عن سلامتها وصحتها ، مؤمناً صادقاً صريحاً ، مغرقاً في صراحتـه ، غير هيّـاب ، وقد أخذ عليه بعض صحبه جرأته في الافصاح عما يرى . ولكن ذلك لم يكن ليوهن عزيمته ، لإيمانه بالدفاع عن أمته وقومه ، وشعوره بتقاعس فريق من المَعنيين الجامعيين في صفوف الزملاء والطلاب عن هذه الرسالة . فخاض معركة حقيقية ظلّ فيها البطل الصامد المؤمن بواجب الإخلاص والإتقان . بمثل ما أوجب هو على نفسه . وهلاّ نرى في جامعتنا اليوم من يتقن مثل (راتب) العربية ويمارسُها لغةَ علم وعمل ، حتى في حياته اليومية ، سواء بسواء ؟

وهذا الاتقـان في العلم والبحث العلمي يواكبه ، ويلازمه ، إتقان عِشْـرة وسـلوك . لم يكن الأستـاذ (راتب) « يضنّ بعلمه ، ولا يبخل بعونه ، ولا يتمسك بكتبه ، وهي كثيرة غزيرة ، وبعضها نادر أو مفقود ، يبذل هذا وذاك خدمة للعلْم ، وبثاً للحكمة ولعل كتبَه التي في خزانته ، على كثرتها ، أقلُّ من كتبه التي استعارها رفاقه وأصدقاؤه منه » .

زد على ذلك أن المرحوم (راتب) كان قِبلة القاصدين ، من العلماء والطالبين ، يجتذبهم للقائه نِشدانُ الحكم السليم ، والرأي السديد ، والبصر النافذ الناقد ، وكأنه يتمّ في داره تعليمَه الجامعي وغير الجامعي ، جواداً ، كريماً ، محتسباً ، مجيباً كل طامح في تعمق العربية وأسرارها ، وكل راغب في جَني ثمارها والفوز بكنوزها ولآلئها . وهو يقوم بذلك بنفس العارف السمح السعيد المسهِم في دفع الجهل ، والمجالد المنافح في حرب التزييف والرياء والتخليط .

لقد تحدثتُ قليلاً عن صعاب دربه الجامعي ، بل عن بعض تلك الصعاب ، وفيها من صنع الأغبياء أو الحاسدين القَدْر الكبير . وما هي إلا

لحظة حانت نقل فيها فقيدنا الغالي من دنيا التعليم الجامعي إلى عالَم البحث المجمعي . ولئن كانت خسارة لا تُعوَّض من ناحية ، فقد قابلها ، لحسن الحظ ، نفع جسيم من ناحية أخرى . ولكن مآثر الأستاذ (النفاخ) التعليمية ظلت هي الأفضلَ والأبقى . إنها ، بلا ريب ، المآثر الحية النامية باطراد في نفوس طلابه ومريديه ، والباقيةُ في أعمالهم المشهودة إلى اليوم ، وهم مئون .

جاء في الحديث النبوي : « إن الله يحب إذا عمِل أحدُكم عملاً أن يتقنه » . وقد عاش فقيدنا الأستاذ (راتب) دلالة هذا الحديث في دقائق حياته جميعها . وقد قيل في إحدى الفلسفات المعاصرة : إن الحياة مشروع وجود ناقص لا يتمّ إلا بالموت . فالموت ينفي العبث ، ويحدّد معنى الحياة . وبالموت تتضح رسالة كل مَن عاش ، إذ ينجلي شأوها بانقضائها المحتوم .

ولنا أن نفطن إلى أن الحياة التي تمامها الموت هي حياة الجسد . ويكون الموت نهايتها . والنهاية تمامٌ يباين الكمال . إن تمام الأمر انغلاق . وذاكم هو الموت بالجسد . أما الكمال فإنه قيمة بقاء ، لا فناء . وقد تميز المرحوم الأستاذ (راتب) في حياته الدنيا بمطلب الاتقان نِشدانا للكمال . ولئن غاب عنا جسداً محقِّقاً ما استطاع من إتقان ، فإن له حياةً باقية هي الأكمل ، لأنها خالدة بإسهامه المحمود في خدمة اللغة العربية ، وببنائه نفوساً وفيّة تحمل رسالته باتصال ونماء . وليت حبَّ العربية ، والعمل في سبيل رفعتها ، وتطويرها ، وإغنائها ، داءٌ تمتد عدواه إلى كل ناطق بالضاد .

رَحمك المولى يا (أبا عبد الله) . فقد صدقتَ ، وأجدت ، وأتقنت ، فخَلَدت . وإنّا بفراقك لمحزونون .

حزنٌ كطول الدهر، باقٍ، إذا مضت
أوائله ، عادت إلينا أواخره

كلمة أصدقاء الفقيد

الدكتور عبد الكريم الأشتر

أيها السادة !

لو جاز أن نمثل لبعض الناس بالكتاب ، لكان صديقي الأستاذ أحمد راتب النفاخ يكون واحدة من المخطوطات النادرة التي جار عليها الزمان ، فوقعت فيها خروم ، وانطمست كلمات ، وانقصفت أوراق ، ولكنها ظلت حية تحتفظ بقيمتها ، وتنفرد بحقائقها ، فما نجده فيها قد لا نجده في كتاب آخر .

تكوينه تكوين أصحاب العواطف المستبدة من المثاليين الذين يقفون دائماً في نهايات الخطوط . مملكتهم ليست في هذا العالم . يسبحون أبداً ضد التيار . يسخطهم الواقع القائم ويأنسون فيه بالضعفاء والمقهورين .

وربما انسحب ذلك على موقفهم من التاريخ ودوله وأحداثه . فقد كان الأستاذ النفاخ يقف في صف المغلوبين فيه . ولعلهم لو انتصروا فارقهم ، ووجد سبباً للوقوف في صف معارضيهم .

كانت البطولة تستثيره ، فإذا اغتيلت أو أُكرهت بدت له أشدّ استثارة .

من هنا يبلغ عطفه على الفقراء والبائسين وأصحاب الحاجات حداً يغفل فيه ، كما يفعل المثاليون غالباً ، عن حقائق الواقع . فإذا انكشفت لهم ازدادوا إحساساً بالخيبة وبغرابة الواقع من حولهم .

خرجت في صحبته يوماً من باب الجامعة الكبير في البرامكة .

واجتزنا الشارع إلى الرصيف المقابل . فلم ألحظ صبياً مستلقياً عليه ، يسأل الناس ، وقد مدّ رجلاً تكسوها بقع الدم . كانت مظاهر الحياة المتجددة ، في مقدم الربيع ، تجتذب حواس الناس إليها . ولكن الأستاذ النفاخ لم يشغله عن الصبي شيء . رأيته يندفع إليه ، وينحني يسأله عن حاله ، فشكا إليه الصبي ، بلهجة منكسرة ذاب لها قلبه ، الفقر والعجز عن دخول المشفى ، فما أسرع ما ضرب بيده إلى جيبه فأعطاه . ثم لم يكتف ، فاستوقف سيارة أوصى سائقها بحمل الصبي إلى المشفى ، ودفع له أجره .

كنت أتتبع المشهد وأنا مبهور . وفي نفسي إحساس عميق بالخديعة والكذب ، يخالطه إعجاب بالغ بصفاء النية ونبل المشاركة وسطوع النزعة الإنسانية .

في اليوم التالي خرجنا من باب الجامعة ، فرأينا الصبي نفسه مستلقياً على الرصيف ، يسأل الناس ، وقد مد أمامه رجله التي يكسوها الدم الكذب !

كنت أنظر في وجه الأستاذ راتب وهو ينظر في الصبي . فرأيته يلوي وجهه عنه كأنه لا يريد أن يراه . كان يحاول أن يداري إحساسه بعجزه عن تقبل هذا العالم المخادع من حوله .

لعله بمثل هذا الإحساس كان يواجه دائماً خيبته في الحياة والناس ، وهو يحاول عبثاً أن يشد المثال على خشبة الواقع . ولهذا يكثر كلامه في تقويم الناس ، ويغلو فيه أحياناً غلوّ من يريد أن يستنفد قوة الإحساس بالفجيعة . ولهذا أيضاً كان يغلو في الرضا أحياناً غلوّ من يرجو أن يأمنها في نفسه ، فما يزيد في آخر الأمر عن أن يهيئ لنفسه خيبة جديدة .

ويظن الذين لا يعرفونه ، كما كنا نظن قبل أن نعرفه ، ونحن طلاب في الجامعة ، أنه خشن الملمس ، جافي الطباع ، ليس في حياته موضع للإحساس بجمال التواصل الإنساني ، على إطلاق معانيه . فإذا اقتربوا منه

وعرفوه وجدوه لا يؤرقه شيء كما يؤرقه الحب ، بمعناه العميق الشامل ، ووجدوه ندياً رقراقاً يحسن فهم هذه العاطفة النبيلة ، ويستجيب لها أعمق الإستجابة . وقد قضيت إلى جانبه زمناً لا أكتشف ، في هذا الجانب من حياته ، معنى محدداً ، وإن كنت أستذكر اليوم مظاهر كثيرة من رقة الشعور وحرارة الروح ، إلى أن كان يوم جاوزنا فيه منتصف الليل ونحن نمشي في أطراف دمشق ، قريباً من كيوان ، حتى كللنا . كنا في الصيف ، وكانت الليلة مقمرة . فاسترحنا إلى جوار شجرة ضخمة من شجر الصفصاف ، يجري قريباً منها نهر يزيد . فما أدري كيف تصرف بنا الحديث ، فجاشت به نفسه جيشاناً شديداً ، هيأ له ، فيما يبدو ، ما كان يفيض في الجو ، من حولنا ، من رقة الطبيعة وحدة إغرائها بالبوح والاستسلام . رأيته فجأة يضطرب كورق الصفصاف ، ويبدأ فيحدثني عنها ، وكنت أعرفها ، ويصفها كما كان يراها . كان قريباً منها زمناً طويلاً ، قريباً من أهلها . ولكن ذنبها أنها لم تكن تفكر فيه على النحو الذي كان يظن . فقد انغلق عليها القلب إذن ، وظلت ذكراها تنزف فيه ، كما قال يومها . وتعيّن عليه أن يواجه ، في هذا الوقت المبكر ، كبرى خيباته وأثبتها في النفس . ثم إنه لما تهيأ له ، من بعد ، أن يكتب رسالة الماجستير ، اختار ابن الدمينة ، الشاعر الوجداني الرقيق ، موضوعاً لها !

ثم طال الزمان بعدها على الناسك المتبتل الذي يحتضن القرآن ، فتعرض لمحنة قاسية ، لعلها أدلّ محنه على انحدار مثاله في مواجهة الواقع ، وعلى عجزه ، وهو في ارتفاعه عنه ، عن فهم حقائق النفوس المتردية . فهذا الذي كان يجعل منه هدفاً سهلاً للطامعين فيه . كانت أبواب بيته مفتوحة لكل طارق ، حتى كان ربما سلّم بعضهم مفاتيحها ليدخلوه إذا غاب عنه . رغبة مستبدة لا تنكسر في تحدي الواقع والانتصار عليه !

لقد كان ، من الجانب الحي ، أقرب من عرفت من الناس ، إلى

المثال الذي صوروه لأنفسهم . فما خسره في الناس إذن ربحه في نفسه ، باستثناء ما كانت حرارة التكوين تغري به أحياناً ، من حدة الخصومة أو الإمعان في النقد . ولهذا نراه يكثر محبوه ويكثر ناقدوه معاً . ولهذا أيضاً يخلص محبوه في محبتهم إياه إخلاصاً قلّ نظيره في المحبين . لقد كان هو نفسه المثل الحي في الصدق والإخلاص والوفاء لمن يحب . ولو شئت أن أستذكر بعض صورها في حياتي وحياة من أحبهم وأحبوه لما انتهيت .

وكلتُ إليه يوماً ، وكنت مقبلاً على سفر ، أن يتفقد أهلي في غيبتي . فما تخلف عنهم يوماً . يسير إليهم في بيتهم ، فيطرق الباب ويدير إليه ظهره ، ويسألهم عن حاجاتهم . ويكل إليه آخرون الإشراف على طبع بعض كتبهم والنظر فيها ، فينظر فيها ، ويصحح ما يستدعي التصحيح ، ويتمم نقصها ، ويضيف إليها الحواشي والتعليقات . ويقصده الطلبة في بيته ، فيجلس إليهم ساعات يرشدهم ويحقق لهم بعض النصوص ، أو يعيد قراءتها معهم ، لا يضجر ولا يملّ ولا يشكو . وقد قارب بيته ، من هذه الناحية ، أن يكون مدرسة صغيرة لطلاب العلم ، وقارب أن يكون له ، في بعض الرسائل الجامعية ، من أصالة الرأي ، مثل ما لأصحابها فيها ، أو أكثر كثيراً في بعض الأحيان !

* * *

والآن ، ما الذي يبقى من الأستاذ النفاخ لنا وللأجيال المقبلة ؟

يبقى منه النموذج الإنساني الساطع الذي وفق بين قوله وفعله ، وحقق في نفسه مثله : أعرض عن مغريات الدنيا وارتفع عنها : لم يخلبه المال فعاش في بيت بسيط جداً ، في حدود الكفاية التي تصون ماء الوجه . لم يخلف لأهله إلا هذا البيت الذي كان أبوه خلف له ثمنه ، وإلا الكتب التي صحبها ونذر حياته لها . لم يسع إلى منصب ولم تفتنه المظاهر . ولم يقف بباب أحد . وربما جاءه أصحاب الحاجات فقضاها لهم ونسي حاجة نفسه

وأهله !

أنفة أكاد لا أعرف لها مثيلاً في من عرفت من الناس ، وترفع عن كل ما يطمع الناس فيه . ولعل عزوفه عن السعي في مناقشة رسالة الدكتوراه ، بعد أن تأخر فيها (لغلبة نزوعه إلى التحرز والتدقيق) وبلغ من كتابتها حداً فاق ظن مناقشيه ، يقع في هذا الجانب من تكوينه . فقد أنف ، بعد أن تأخر فيها ، من أن يقف مع فلان وفلان ، ممن هم في سن طلبته ، أو في مستواهم أحياناً ، في موقف واحد !

وقد أربكه ذلك في عمله من بعد . ولكنه ، على نحو ما ، كان يستشعر فيه نشوة الانتصار على النفس !

ويبقى من الأستاذ النفاخ ، لنا وللأجيال المقبلة ، مثل شاخص في الانقطاع إلى العلم وإتقانه يبلغان حد التصوف . وقد كنت أقف إلى مكتبته أحياناً وأقلب بعض كتبها ، فتطل عليّ من حواشيها التعليقات والتصحيحات والإحالات ، يكتبها بخطه الدقيق ، ويشير إلى مواضعها ، في المتون ، من فوق السطور ، على طريقة السلف .

كان يجد عزاءه في القراءة . وكان ربما استوفى قراءة الكتاب في ساعات . وكان من أقدر الناس على قوة التمثل والوقوف على مفاصل الكلام ، كما كان يسميها (يعني محاورها الفكرية) . وكان يبلغ من العمق ، في تحليل الكتب أحياناً ، ما يصلح ، لو كتب ، أن يكون درساً يقرأ .

ويبقى من الأستاذ النفاخ ، لنا وللأجيال المقبلة ، كتب وفهارس ثمينة ومقالات ومختارات ونقول ورسائل وشروح وتعليقات ، إضافة إلى ما لم يطبع منها ، وفيها أثره الكبير في القراءات . وهي ، في جملتها ، ثروة أدبية ولغوية تبلغ الغاية في الإتقان . ولو كان انصرف إلى تنميتها عن كل ما شغله من أمور الدنيا والناس ، مع التخفف من المبالغة في التحرز والتدقيق

والتجويد ، لبلغت ، على يده ، أضعاف ما خلف منها . على أنها ، لو جمعت ونسقت موادها ونشرت ، لخففت قليلاً من فداحة الخسارة فيه .

* * *

وبعد

فقد لا يحق لنا ، في هذه المرحلة الحزينة من حياة الوطن وواقع قضيته الكبرى ، أن نبكي أفراد الناس . ولكن « الشجا يبعث الشجا » ، والألم موصول بعضه ببعض . والأوطان ، في نهاية الأمر ، تكبر بأفذاذها . ومن حقهم عليها أن تكرمهم وترفع من ذكرهم . وهي ، إذ تفعل ، تكرم نفسها ، وترفع من ذكرها .

لقد كان الأستاذ النفاخ واحداً من علماء العربية الكبار ، يكاد يكون لا مثيل له في أوطان العربية الممتدة إلى حيث يقرأ القرآن ويؤذن للصلاة . ولئن ضاقت به جدران الجامعة يوماً ، إنها قد تضيق بمثله في هذا الوطن الكريم الذي نرجو أن يبلغ يوماً من مرتبة الإنصاف ما بلغنا نحن من مرتبة الحب .

أنت تعرف أيها الصديق ، وقد مضيت اليوم إلى المجهول الكبير ، وتخطيت تخوم هذا العالم الذي عشت حياتك تضيق به ، أنّ ما أقوله فيك لا تمليه المحبة وحدها ، ولكن يمليه معها الإخلاص للحق الذي أخلصت له حياتك . وربما أملته معهما الحسرة : فمن أين يجود الزمان بمثل هذه الصداقات المبنية على معانيها في الصدق والإخلاص ، وعلى حلاوة المؤانسة التي ترتفع عن كل غرض ، وعلى غنى المعرفة التي تجمّل العقل ! من أين يتأتى للمرء ، في هذا العالم المتحجر ، أن ينعم بصحبة مثل هذه العقول المتفتحة والقلوب الغنية والأرواح الحارة !

رحمك الله قدر ما علمت وعلّمت ! رحمك الله قدر ما أحببت !

رحمك الله قدر ما عانيت! لم يقدّر لك أن تعرف السكينة بيننا ، فلعلك تعرفها بعيداً عنا . على أن مثلك لا يموت ولو انتزعه الموت من القلوب .

أشكركم

كلمة طلاب الفقيد

فقيد العلم
العلامة أحمد راتب النفاخ

الدكتور محمد الدالي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ ولَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فيها ما تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ . ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وما يُلَقَّاها إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [سورة فصلت : ٣٠ – ٣٥] .

والحمد لله الذي استأثر بالبقاء وكتب على عباده الفناء ، فـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٥] و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص : ٨٨] ﴿ ولِلهِ مِيرَاثُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٠] .

... وهي بعدُ يا أستاذ كُليمة سئلتها ، أقولها بلسان من علَّمته – وهم أجيال لا يحصون – وبلسان من اختص بك من طلابك ، وهم فئة غير قليلة . وأنت تراني كلما كتبت حرفاً محوته ، وكلما خطرت خاطرة أردت تقييدها تأبَّت ومضت ، وكلما عنَّ معنى حاولت الإبانة عنه تفتحت

معان وصور ما من سبيل إلى حصرها والعبارة عنها . ومثلي فيما أنا فيه وله يحتاج منك العطف والرضا لا الإعراض ، وإن كنتَ غير راض عن كل هذا زاهداً فيه راغباً عنه . فانظر إليّ نظرة أقوى بها ، فأنت وأنا بل كنتَ وكنتُ أباً وولداً . وهي كليمة في موضعها ، لا تعدوه ، ولا ترتفع عنه ، ولا تخرج عما أُريدَ منها ، لا بد منها ، وإن كانت لا تبلغ مما في نفسي شيئاً ، وأنّى لها بذلك ؟!

لو كان الأستاذ لنا واحداً أي واحد ممن درسنا ، وكنتُ أو كنا له طلاباً أي طلاب ممن درسهم لسهل علي العسير ولان العصيّ فقلت فيما سئلت .

وما كان الأستاذ مدرساً أيّ مدرس تتلقى عليه مادته التي يحاضر فيها ، وما كنتُ وبعض من معي ومن تقدّمني طلاباً له أي طلاب درسهم سُنيات حفظوا له فيها صورة عمودها عندهم واحد ، وتختلف في أشياء بين طالب وآخر باختلاف نفوسهم وعقولهم .

فالأستاذ رجل من عباد الله المؤمنين الصالحين الصادقين الذين شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ، ظاهره خير كباطنه ، كريم ، مضياف ، مفضال ، أريحي طيب النفس ، وفيّ ، عازف عن الدنيا وزخرفها ، منقطع للعبادة والعلم ، راغب عن الشهرة ساعية إليه ، كان أُمة ورجل أمة . وهو بعدُ بقية السلف والحبر البحر وريحانة الشام وخزانة علمها ، لم ير الراؤون في هذا العصر مثله ، حقّاً لا يجحدونه .

خُلق ليكون ما كان ، وترفّع عما عفّرت فيه وجوه ، ونزّه نفسه عما خاضوا فيه ، وتواضع لله فرفعه . فيه عزة المعتز بالله ، وقوة المستعين به ، ذو خلق وخلاق ، جبل على الوفاء والإخلاص والرحمة بالناس وحب الخير

لهم . وكان شديداً في الحق ، للقسوة واللين مواضع يضعُهما فيها ، صريح صراحة ، يجهر بقوله ، لا يجامل ولا يورّي ، يسمي الأشياء بأسمائها .

الإحسان عادته ، والتواضع سجيته ، والحياء حليته ، والخير فطرته ، والتقوى جبلته .

وفي الصدر مني معه حديث سبعة عشر عاماً لازمته فيها ، والحديث ذو شجون ، منه ما يدون ومنه ما لا يدون .

ولو تكلفت تدوين ما عرفته خلالها من أحواله وصلته بمن اتصل به بسبب ، وآرائه فيمن حوله وفيما حوله ، وتبحره في فنون من العلم هو آية فيها – ومنها العربية واللغة والعروض والأدب وعلوم القرآن – ونظراته فيها ، وشؤون غيرها ، لو تكلفت ذلك لم أفرغ منه على وجه مرضي في سنين ذات عدد ، ولأتى ذلك في مجلدات ولبقي في النفس أشياء ، ولم يحط لفظي بنعته .

فماذا أقول في كليمتي التي سئلت ولمّا يزل الأستاذ أمام ناظري ، وأجالسه ، ويكون حديث ، فما بيننا لا يقدر رحيله عنا – وهو بنيان قوم تهدم – أن يذهب به .

عرفته حين درست اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمشق سنة ١٩٧٤ . وكان في قسم اللغة العربية إذ ذاك أساتذة كبار علت منزلتهم في علومهم . وكان الأستاذ عينهم وزينتهم وعلامة العربية في بلاد الشام ، وهو من مفاخرها ومحاسنها ، وكان جبلاً في العلم لا نظير له في علومه ، وكان وحيد أوانه ونسيج وحده ، وكان أشهر من نار على علم .

تولى الأستاذ في السنة الأولى تدريسنا مادتي علم العروض والمكتبة العربية والأدب القديم . وكان يلتزم في حديثه العربية المبينة ، وكان حريصاً على نشر العلم ، متواضعاً تواضع العلماء الأئمة ، قدوة لطلابه في علمه وخلقه وسلوكه . ظهر لنا خلال محاضراته علم غزير ورواية واسعة وذهن

وقاد وحافظة واعية . ورأى غير واحد منا أن الأستاذ من أولئك الأئمة الأثبات الأعلام المتقدمين في المائة الرابعة أو دونها تأخّر به زمانه فعاش بيننا ، وعلّمنا ما لم يعلّمنا أحد .

ودرّسنا في السنة الثانية نصوصاً من كتاب الكامل لأبي العباس المبرد . ولم يكن في محاضراته فيه دون صاحبه المبرد علماً باللغة والعربية والأخبار وغيرها ، بل إنه استدرك عليه في مواضع من كتابه . ولم تكن مادة النصوص عنده غاية في ذاتها بل كانت وسيلة إلى بيان أصول النظر في كلام المتقدمين وأمهات مصادر التراث العربي الإسلامي .

ثم لّما تولى تدريسنا مادة علوم اللغة العربية في السنة الثالثة في كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري عرفنا أنه فارس هذا الميدان غير مدافع . وقد شرح مسائل من كتاب المغني شرحاً لم يقاربه أحد ممن شرحه ممن نعرف .

وما كانت مادة المغني وحدها هي ما عني به الأستاذ ، بل كان أَعْنَى ببيان منهج فهم كلام المتقدمين والقراءة الناقدة البصيرة بكلامهم ، وعدم الاطمئنان إلى النظرة العجلى فيه ولا إلى الرأي الذي يبدو لك من قراءته أول مرة .

ووجد المجال أرحب ليقول شيئاً مما في صدره من العلوم يوم تولى تدريسنا الموضوع اللغوي من موضوعات دبلوم الدراسات العليا اللغوية ، وهو من كبار أعلام الدراسات العربية الإسلامية اللغوية والأدبية . فشرح لنا أبواباً من الخصائص لابن جني ، وأملى علينا أشياء مما انتهى إليه في القراءات القرآنية . وبسط خلال ذلك أصولاً من أصول علم العربية وعلم القراءات . وهو كلَّ حين على ذُكر من كلام الأئمة المتقدمين في مسألة مسألة ، يملي كلامهم بلفظهم أو يكاد . وبسط لنا أصول تحقيق نصوص التراث العربي الإسلامي ، وهو في هذا الباب لا نظير له في علمه وخلقه ومنهجه ، كان

غاية فيه .

كانت الجامعة مكاناً تتلقى فيه المحاضرات المقررة ، ولم يكن ما يتلقاه الطالب فيها ليكفي طائفة عطشى إلى العلم آنست في نفسها القدرة على الاستزادة منه . وكان بيت الأستاذ محلاً للعلم ومثابة لطلابه . فلما فرغنا من الدبلوم انتقلت الجامعة إلى بيته ، فحيث يكون تكون .

وكنت وبعض زملائي وكثيرون ممن عرفت نختلف إلى الأستاذ في بيته ، كلٌّ يحمل عنه ما كان مهيئاً لحمله من علمه وخلقه العلمي الأصيل وأمانته ودقته . واختار بعضنا بتوجيه منه رسالة الماجستير والدكتوراه . كان يوجهنا ويرعانا ويشجعنا ويبذل علمه ومكتبته ووقته في سبيل طلاب يرى أن لهم عليه حقّاً لأنهم طلابه ، ولأنه يحب الخير للناس ويجري بين يديه .

لازمته أي ملازمة من سنة ١٩٧٩ إلى يوم اختاره الله لجواره . عرفته أستاذاً فذّاً وأخاً ناصحاً وأباً عطوفاً وصديقاً كريماً . وعرفت أي عالم كان ، كان من أوعية العلم ، كان كنيفاً مليءٌ علماً ، وكان إذا سألته فجرت به ثبج بحر .

إليه انتهى علم العربية في عصرنا ، ونظر بذهنه نظر مؤثلي هذا العلم وناقشهم في بعض جوانبه ، ورأى في بعضه غير ما رأوا . وفي المشتغلين بعلوم العربية في عصرنا بلا ريب غير واحد ممن برعوا فيها وحفظوا كثيراً من مسائلها ومذاهب المتقدمين والمتأخرين فيها وعرفوا حل ما اعتاص منها ، لكنك لا تجد فيهم مثل الأستاذ ممن أداه علمه بالجزئيات إلى تصور شامل للغة وقوانينها الوضعية والعقلية . فقد أداه فكرُه في الكتاب – أعني كتاب سيبويه – وطولُ مدارستهِ له والنظرِ فيه لا إلى فهم كلام صاحب الكتاب فهماً دقيقاً – وهو أقصى ما يبلغه المتبصر بكلامه – بل إلى الوقوف على حكمة العرب في كلامها وعلى أغراض الخليل فيما نقله وفسره من كلام العرب ، وفيه ما خفي غرض الخليل فيه حتى على صاحبه سيبويه ، وفي

الكتاب مواضع شمست حتى على أبي عليّ . كان الأستاذ عالماً بمقاييس العربية بصيراً بها محققاً مدققاً لو رآه الخليل لسرّ به وقال له : مرحباً بزائر لا يمل . ولا يزال في الناس علم ما بقي فيهم مثل الأستاذ .

برع في علم العربية براعة ، وحذق علم القراءات حذقاً ، فهو وهذان العلمان سواء . وله فيهما مذاهب ونظرات لا تجدها في كتاب . ووقف في علم القراءات على أصول هذا العلم عند أئمته المتقدمين ، وقد خفي أكثرها على من بعدهم . ولو كان لأحد أن يؤخذ بقوله كله في علم من العلوم لكان للأستاذ أن يؤخذ بقوله كله في غير علم ولا سيما العربية والقراءات .

ولو أراد الأستاذ نفسه أن يضع كتاباً يفرغ فيه ما في صدره من العلم لجاء الكتاب دون ما قدر لسعة علمه بفنون من العلم وبعد غوره فيها ولتشعب مسالك القول فيها وتفرق مسائلها وانتشارها .

في بيته جرت مجالس العلم كل يوم ، وبذل لمعتفيه بذل من لا يرجو منهم جزاء .

عرفت عنده كثيراً من الباحثين من أصدقائه وزملائه ومن قدماء تلامذته وأصحابه ، طلبوا عنده الفائدة فأطلبهم ، وكثير غيرهم ممن لم ألق كتبوا إليه من شتى البلدان العربية فيما علموا أنه مفيدهم فيما استبهم منه وأشكل واستغلق وأعضل ، وكانت الكتب والرسائل تأتيه من كل مكان .

وعرفت في بيته كثيراً من المختلفة إليه من طلاب العلم ، وهم جم غفير من مواضع شتى في سورية وغيرها من البلاد العربية والإسلامية . فطائفة منهم أشكلت عليها مواضع في نصوص تحققها ، وفئة احتاجت إلى مخطوطات أو كتب نادرة في مكتبته ، وجماعة تسأله اختيار موضوع رسالة جامعية ، وثلة لم تتهد إلى تصور مرضي في دراسة علمية ، وطوائف أخرى تستفتيه في مسائل من علم اللغة والعربية والأدب والقراءات والتفسير

والحديث وغيرها . قصدوه فأكرمهم ، وسألوه فأجابهم ، وبذل لهم علمه ومكتبته ووقته . وغير واحد من تلامذته تولّى مناصبَ علميةً في الجامعات وغيرها من مراكز العلم في سورية وغيرها من البلدان العربية .

وعرفت فيما عرفت أنه كان منكوباً في غير قليل ممن أحسن إليهم ، ما فعل لهم إلا الخير ، وضنوا عليه بالوفاء ، بل إن فيهم من أساء إليه وتنكر له ، ومنهم من أصاب به اليوم علاج ذات نفسه .

عرفت منهم من عرفت ، وحدثني بحديث كثير . كان وفيّاً يحسن الظن بالناس فيخلفه ظنه في كثير ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] .

وأقامت طائفة على الوفاء له ، تلقوا عنه ، وكسبوا بعلمه ومعرفته ما كسبوا .

وما زال الأستاذ يَنبوع علم عِدّ ، ينشر العلم ، وزكاة العلم نشره . فمنه ما وعته صدور الخاصة من أصحابه وتلامذته ، ومنه ما بثه فيما نشره وفيما لم ينشره من النصوص وفيما كتبه من مقالات ، ومنه ما قيده على الكتب التي حوتها مكتبته ، وذهب بموته علم كثير .

والموت حق على كل العباد فما حيٌّ بـاق ويبقى الواحد الأحد

و « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

فعمل الأستاذ باق إلى يوم القيامة ، لا ينقطع حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

رحمك الله يا أستاذ أبا عبد الله رحمة واسعة وجزاك الجزاء الأوفى ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [سورة الشعراء : ٨٩] ولا زال لسانك رطباً بذكر الله وتلاوة الزهراوين كلَّ صباح . سلامٌ عليك ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [سورة يس : ٥٨] .

كلمة آل الفقيد

الأستاذ نزار النفاخ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الكرام

لم أكن أتصــور في يوم من الأيـام أن أقف هذا الموقف الصعب والمهيب أمام علماء أجلاء ، وأصدقاء ، وزملاء لأتكلم عن شقيقي أحمد راتب رحمه الله في الذكرى الأربعين لرحيله في حدود رؤيتي له كشقيق كان إلى جانبه في كافة الأوقات ، ولعل السمة المميزة له هو أنه لم يكن يأبه لعرض الدنيا ومباهجها ، ولم يقم لها وزناً ، شـأنه في ذلك شأن السلف الصالح من علماء أمتنا ، وانسحبت هذه الصفة على سلوكه وتصرفاته ، فكان يتعامل مع الآخرين ضمن هذا الاعتبار ، وهذا ما دعاه إلى التفاني في بذل العلم لطالبيه على اختلاف مشاربهم وأهوائهم ، لأنه كان على يقين من أنه يؤدي بذلك عبادة ، فالعلم عنده عبادة ، ولم يكن يسخط على أحد إلا بمقدار انتهاكه لحرمة هذه العبادة في أداء ما لم يحسن أداءه .

أما داره فكـانت دار علم يؤمها العلماء ، وطالبو العلم من شتى أصقاع العالم ، ومن كل حدب وصوب على اختلاف اختصاصاتهم وهذا ما شاهدته على مدى ثلاثين عاماً ، وكثيراً ما كنت انتظر عدة أيام لأظفر بفرصة أخلو بها إليه للتحدث في أمر من الأمور العائلية التي تخصه مباشرة ، وهذا لم يكن ليتيسـر لي في حضور رواد علمه ، ولاأذكر أنني استطعت حمله على إغلاق بابه يوماً واحداً في أمرِّ أيام مرضه وأقساها ، وكنت ألحظ

أنـه كان يستعيد قوته ونشـاطه عندما كان يقوم بشـرح مسـألة علميـة لقـاصـديه ، إذ يجدون عنده حلاً لكـل معضـلة ، وشرحاً مفصـلاً لكل مشكلة ، إضافة إلى توجيهاته العلمية سواءٌ أكانت باختيار مواضيع بحوثهم ، أو وضع خطة منهجية لها ، أو تقويمها ، أو الإشارة إلى مصادر دراستها ، لقد كان يركز على أصـول البحث العـلمي ، وطرائق استخدام المصـادر والصلات الأساسية بين مختلف أنواع العلوم الأساسية ، فضلاً عن التكوين الفكـري والعقلي ، وأصـول المحاكمـة عند الإنسـان ، أما مرحلة الحفظ والاطـلاع فستكون المرحلة اللاحقـة والمتممـة للوصـول إلى بداية المعرفة العلمية ، وفوق ذلك فإنه لم يكن ليضن بعلمه ومكتبته على كل طالب علم ولو لم يكن أهلاً لذلك لقد كان راتب خبيراً بالرجال ومبصراً)لمواقفهم ، وكان وفياً لأساتذته وأصدقائه .

إنني لم أقصد الحديث عن علمه ، فلست أهلاً للحديث في هذا الجانب الذي أفاض فيه زملاؤه ، وأصدقاؤه وطلابه في كلماتهم عنه ، فهم أقدر مني بمعرفة مقدرته ومكانته العلمية ، ولكنني صورت واقعاً عايشته مدة طويلة ، فالعلم ملأ عليه حياته دون أي غرض سوى الثواب وقناعته في أنه يؤدي رسالة العلم كما يأمره بذلك دينه وخلقه ، ولولا ما آل إليه من إرثه من أبيه لغادر الدنيا كما جاء إليها .

وأخيراً لا يسـعـني والألم يعتصر قـلبي ويمزقه إلا أن أبدي جزيل شكري وامتناني للسادة المشاركين في هذه المناسبة ، وهذا ما خفف من المصاب الذي ألم بنا ، فلئن مضى راتب إلى لقاء ربه ، فإن لنا في صفوة أصدقائه ومحبيه خير عزاء وشكراً لكم .

حوليات الجامعة التونسية

مأمون الصاغرجي

من المجلات التي ترد خزانة المجمع وتعنى بلغة العرب وتاريخهم وثقافتهم مجلة « حوليات الجامعة التونسية » ، وفيما يلي نقدِّم إلى قراء مجلتنا الزاهرة في هذه السطور إطلالة على ما يهتم به الكتَّاب والعلماء في المغرب العربي .

لقد ضم العدد ٢٢ من عام ١٩٩١ من المجلة المذكورة بحوثاً قيمة اخترنا منها : بحث الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي الذي افتتح به العدد « في مفهوم الإيقاع » (ص٧ – ٢٢) وقد استهلّه بتحقيق في وضعية مفهوم الإيقاع في اللغة العربية ، وكونه من مسائل علم الشعر ، ممهِّداً لذلك بمناقشةٍ لآراء تحدِّد معنى اللفظ والمفهوم في اللغة ، وينتهي من ذلك إلى أنه من الممكن التحدُّث عن « الثروة المفهومية » على أنها ظاهرة تعيشها اللغات في بعض ميادينها دون أن يقابلها ثروة لفظية ، ويضرب على ذلك مثلاً كتاب سيبويه الذي يفيض بالرصيد المفهومي على الرصيد المصطلحي ، بمعنى أن فيه من المفاهيم المجردة ما عبرت عنه الجمل الطويلة ، والتعابير الغامضة دون أن يكون قد أفرغ جميعه في مصطلحات فنية .

ولفظ الإيقاع من مصطلحات علم الموسيقى لا من مصطلحات علوم اللغة ولا من مصطلحات علم العروض ، وأنه ظاهرة صوتية ، وهذا

ما يفسر غياب مصطلح الإيقاع من علم العروض ونيابة مصطلح الوزن عند الدلالة على موسيقى الشعر فيه .

ويتحدث الكاتب عن صلة الوزن بالإيقاع وما سبَّبه من إشكال عند بعض الدارسين وما التبس عليهم في مفهومه وعلاقته بالظاهرة الصوتية ، وينتهي الكاتب إلى « أن الإيقاع توظيف خاص للمادة الصوتية في الكلام . يظهر في تردد وحدات صوتية في السياق على مسافات متقايسة بالتساوي أو بالتناسب لإحداث الانسجام وعلى مسافات غير متقايسة أحياناً لتجنب الرتابة » .

وكتب في هذا العدد أيضاً الأستاذ حسن حمزة مقالة بعنوان « ألف الفصل » (ص٢٣ – ٥٢) ، تحدَّث فيها عن ألف الفصل أو الألف الفارقة ، وهي التي تزاد في الخط بعد « واو الجماعة » في آخر الفعل الماضي والمضارع والأمر ، وذلك للفصل بينها وبين الواو التي هي من أصل الفعل مثل « كتبوا » و« يدعو » . ويشير الكاتب في مستهل بحثه إلى أن هذه القاعدة المأخوذ بها في الإملاء الحديث لا تمثل إلا المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الكتابة ، وقد دعاه ذلك إلى استعراض تاريخي لمراحل تطور هذه الظاهرة في التراث النحوي العربي ، فأماط اللثام عن سبب كتابتها ، وأن الأصل هو إثباتها دائماً انطلاقاً من أن الخط هو تصوير للفظ ، وأن هذه الألف في زعم الخليل هي صورة الهمزة التي ينقطع حرف المدّ عندها ، وكتبت الهمزة ألفاً لأن الهمزة لم يكن لها صورة خطية مستقلة كصور غيرها من الحروف ، وربما كتبها العرب ألفاً في كل حال ثم تخففوا منها تدريجياً فأسقطوها من الضمائر والأسماء وبعض الأفعال .

وهذا البحث جدير بالقراءة للوقوف على مذاهب القدماء في هذا

الباب .

ومن الدراسات اللغوية في هذا العدد مقالة للأستاذ أحمد طلعت سليمان بعنوان « العنصر العربي في لغة قبائل اليوربا » (ص٧٥ – ١٣٠) ، وقبائل اليوربا هذه تقطن في جنوب غرب نيجيرية المعاصرة ؛ وهدف هذا البحث هو دراسة العنصر العربي في لغة هذه القبائل صوتيّاً وصرفيّاً ودلاليّاً .

قدم الكاتب لبحثه معرِّفاً بقبائل اليوربا وتاريخ اتصالها بالإسلام ، واعتمد على أقوال المؤرخين الذين حدَّدوا دخول الإسلام إلى أرض اليوربا ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ، وأن الإسلام يحرز التقدم تلو الآخر في أجزاء متفرقة من أرض اليوربا حتى بلغ عدد المسلمين منهم في الربع الأول من القرن العشرين خمسين ألفاً .

وقد عرض الكاتب في بحثه للتغيرات المختلفة التي تطرأ على الكلمات الدخيلة في لغة اليوربا مقدِّماً الرموز الصوتية المستعملة . وعرض أيضاً لما يتعلق بصرف المفردات فتبين له أن الكلمات العربية في لغة اليوربا غير متصرفة ، بمعنى أنها تلزم حالة واحدة ، فالأسماء المفردة لا تثنى ولا تجمع حسب قواعد الصرف العربي ، فمثنى (إبرة) في العربية (إبرتان) ، بينما تثنيتهما في اللغة اليوربية : (Abare Meji) أي (إبرة – اثنان) و(كافران = Kefer Meji) ؛ والأسماء التي دخلت بصيغة الجمع لا تأتي مفردة ولا تثنى حسب تلك القواعد (فصحابيان = Sabe Meji) على حين (صحابة = Awon Sabe) كما لا تتغير صورة المصادر أبداً ولا يشتق منها كما هو متبع في العربية ، فللتوصل إلى معنى (اعتكف) من المصدر (اعتكاف) يوظفون فعلاً من لغتهم بمعنى (فَعَلَ) ويجعلونه قبل المصدر فيقولون (Ose Itikafu) أي فعل الاعتكاف ، وكلمة (عِلْم Ilimi) تحدد

معناها عندهم بالعلم بالدين ، فللتوصل إلى الفعل الماضي منها يؤتى بالفعل (OKe) أي قرأ فيقولون : (OKe Ilimi) أي قرأ العلم . وهكذا .

واختص المبحث الثاني من المقال بدراسة الأصوات ، إذ تعرض الكاتب للصوامت التي حذفت من النطق مثل حذف الهمزة المتطرفة والمتوسطة في النطق (الدعاء = Adua) ، (القرآن = Alukurani) .

وتوصَّل الكاتب إلى نتائج قيمة في مجال الصوتيات منها :

– « أن النظام الصوتي للغة اليوربا قد فعل فعله في الألفاظ العربية من ناحية الأصوات ، فلم يكن إسقاط الأصوات الحلقية وتحويل أصوات ما بين الأسنان إلى أصوات أخرى ، وفك الإدعام وكسر التجمعات الصوتية ، وإلحاق صوائت بأواخر الكلمات ، إلا تطبيقاً لقواعد ذلك النظام .

– أصبحت الألفاظ العربية غير متصرفة في لغة اليوربا وأصبحت تعامل معاملة الجوامد إذ إن التوصل إلى التثنية والجمع والمشتقات منها يتم بواسطة السوابق واللواحق » .

ومن الدراسات البلاغية في هذا العدد : « الالتفات في القرآن » (ص١٣١ – ١٧٢) كتبه الشاذلي الهيشري ، والالتفات كما هو معروف في علم البلاغة أسلوب يعدِل فيه المتكلم عن ضمير أصلي إلى ضمير آخر يشترك وإياه في العودة على مفسَّر واحد .

استهلَّ الكاتب مقالته بالتعريف بهذا الفن ، وأن العرب القدماء استكثروا منه حتى عدُّوه ضرباً من الشجاعة ، لما فيه من مخالفة مقصودة يتوصل بها القائل إلى غرضه .

وقد اختار الكاتب القرآن لهذه الدارسة لكثرة الالتفات فيه كثرة

تفوق النصوص الشعرية والنثرية ، وأشار إلى الصعوبات التي اعترضته من جرّاء القراءات المختلفة ، إذ يتحقق الالتفات في قراءة وينعدم في أخرى .

وجعل الكاتب الدارسة في قسمين : الأول نظري والثاني تطبيقي ، وتبين له في القسم التطبيقي أن أكثر الطرق استعمالاً للالتفات هو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، وذلك لارتباطه الشديد بموضوع الكفر والكفار الذين بلغت عداوتهم للإسلام حد الضراوة ، لذلك شُهِّرَ بهم في القرآن بأسلوب الغيبة المناسب للحكاية والاخبار والسرد ، من مثل قوله تعالى : ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ، وَلَدَ اللهُ وإنهم لكاذبون ، أصْطَفَى البناتِ على البنين ، ما لكم كيف تحكمون ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدّاً ﴾ ، وقوله أيضاً : ﴿ فمن تبعكَ منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً ﴾ .

وقد أغنى الكاتب بحثه بالنصوص القرآنية المتنوعة التي أحصاها وبيَّن بها هذا الأسلوب البلاغي على نحو واضح .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية
خلال الربع الثاني من عام ١٩٩٢

أ ــ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان ــ محمد بن شريفة ــ جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٩١ .

أبو المطرِّف أحمد بن عَمِيرة المخزومي حياته وآثاره ــ محمد بن شريفة ــ جامعة محمد الخامس ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٦م .

الاتصالات بالألياف البصرية ــ ترجمة الأستاذ الدكتور المهندس جورج صنيج ، تدقيق ومراجعة المهندس أحمد مرسي نفاخ ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢ .

الأدب المريد في مؤلفات المسعدي ، يليه الأدب الأبيض ، بين الرافعي وطه حسين ــ محمود طرشونة ــ الطبعة الرابعة ١٩٨٩ .

أرمينية ، بلاد الروم (من سلسلة : فتوح البلدان الإسلامية) ــ اللواء الركن محمود شيث خطاب ــ دار قتيبة .

الأسس الفيزيائية لليزرات التقانية – ترجمة الأستاذ الدكتور المهندس محمد غانم – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢ .

الأسس الهندسية لإنشاء الليزرات التقانية – ترجمة الأستاذ الدكتور المهندس محمد غانم ، تدقيق ومراجعة الدكتور المهندس محمد علي سلامة – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢ .

أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي – الدكتور عبد الكريم شحادة – من أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، حلب ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .

أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة مناهج ترقية اللغة تنظيراً ومصطلحاً ومعجماً – الأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي – دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٨ .

أقباس روحانية – اللواء الركن المتقاعد محمود شيث خطاب – دار قتيبة.

بحوث في النص الأدبي – د. محمد الهادي الطرابلسي – الدار العربية للكتاب ١٩٨٨ .

بلاد ما وراء النهر (من سلسلة : فتوح البلدان الإسلامية) – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب – لمؤلف مجهول ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور عضو أكاديمية المملكة المغربية – المطبعة الملكية ، الرباط ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ، مدونة : المسعدي ، الفارسي ، المدني – المنصف عاشور – منشورات كلية الآداب بمنوبة ١٩٩١ .

تاج التراجم في من صنف من الحنفية – زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي ، عني بتحقيقه إبراهيم صالح – دار المأمون للتراث دمشق ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

التحفة السنية بالرحلة الملكية الحسنية إلى العاصمة الجزائرية (٦ – ١١ يونيو ١٩٨٨) – عبد الوهاب بن منصور – المطبعة الملكية ، الرباط ١٤١١هـ ١٩٩١م .

تدابير القدر قصص واقعية هادفة – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

تراثنا والمعاصرة – يوسف عز الدين – دار الإبداع الحديث للنشر ١٩٨٧ .

تسع ليال مع كاليبسو – الطاهر قيقة – دار التركي للنشر ١٩٨٥ .

التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث – الدكتور الطيب البكوش ، تقديم صالح القرمادي – نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله تونس ١٩٨٧ .

تعريب المصطلحات العسكرية وتوحيدها – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات – تأليف أبي المطرف أحمد بن عميرة ، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة – الطبعة الأولى ١٤١٢ ، ١٩٩١ .

جامعة تونس الأولى (من أعمال الندوة المتعددة الاختصاصات حول الزمانية) السفر الثاني ــ علي الغيضاوي ، جليلة بلحاج يحيى ، عبد المجيد الشرفي ، رشيدة التريكي .

جذور الفكر الإنساني ــ إبراهيم فاضل ــ مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر .

جيش الرسول ــ اللواء الركن محمود شيث خطاب ــ دار قتيبة .

حول تحسين العمل الصحي وتقويته أكثر فأكثر ــ كيم جونغ ايل ــ بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢ .

الخروج من الجنة في عصفور السطح ــ نور الدين كريديس ــ الدار التونسية للنشر ١٩٩١ .

دليل التنمية المائية في الوطن العربي ــ إعداد الدكتور المهندس محمد شفيق الصفدي ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢ .

ديوان ابن فركون ــ تقديم وتعليق محمد بن شريفة ــ مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .

الرحلة الملكية إلى المملكة المتحدة البريطانية (١٣ ــ ١٨ يوليو ١٩٨٧) ــ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة ــ المطبعة الملكية ١٩٨٧م ١٤٠٧هـ .

سليمان القانوني غازي الغزاة ــ تأليف أندري كلو ، تعريب محمد الزرفي ــ دار التركي للنشر ، تونس ١٩٩١ .

طب الجلد عند العرب بحث علمي تاريخي يجمع بعض ما قدمه أطباؤنا

العرب القدامى في طب الجلد – أعد البحث د. حنا توفيق بشور ، قدم له أحمد يوسف داود – دمشق ١٩٩٠ .

عدالة السماء قصص هادفة من الواقع – محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

قادة النبي : القادة الشهداء في مؤتة زيد بن حارثة الكلبي ، جعفر بن أبي طالب ، عبد الله بن رواحة – محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

قادة النبي : مروان بن الحكم – محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

القول الأصيل فيما في العربية من الدخيل – الدكتور ف. عبد الرحيم – مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور ، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

كتاب المعاني والمغاني (أغنية وقصيد) – جعفر ماجد – دار التركي للنشر ، تونس ١٩٩٠ .

كيم إيل سونغ (المؤلفات ٣٧) – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

مباحث في الأدب التونسي المعاصر دراسات نقدية في مؤلفات المسعدي والمدني والفارسي وخريّف ... – د. محمود طرشونة – تونس ١٩٨٩ .

المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب – د. حسين الواد – تونس ١٩٩١ .

مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة – د. محمود طرشونة – تونس ١٩٨٦ .

مراجع اللسانيات – الدكتور عبد السلام المسدي – الدار العربية

للكتاب ١٩٨٩ .

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، قانون إحداث المركز ، النظام الأساسي ، النظام الداخلي ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دمشق ١٩٩٠ .

المسائل الفقهية لأبي علي عمر بن علي بن قداح الهواري التونسي المتوفى سنة ٧٣٤هـ ـ دراسة وتحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان ـ مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ١٩٩٢م ١٤١٣هـ .

مظهر النور ـ جمع أبي الحسين بن فركون ، إعداد محمد بن شريفة ١٤١١ ، ١٩٩١ .

مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان ـ عبد الوهاب بن منصور ـ المطبعة الملكية ، الرباط ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

مع وفد المملكة المغربية في مؤتمر القمة الخامس للدول الإسلامية المجتمع بالعاصمة الكويتية ـ عبد الوهاب بن منصور ـ المطبعة الملكية ، الرباط ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، المجلد الأول ، القسم العام ـ مركز الدراسات العسكرية بإشراف العماد مصطفى طلاس ـ الطبعة الأولى ١٩٩٠ .

المعجم العسكري الموسوعي ، المجلد الأول (أ ـ س) والمجلد الثاني (ش ـ ي) ـ مركز الدراسات العسكرية بإشراف العماد مصطفى طلاس ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧ .

المعلم ومرغريتا ـ ميخائيل بولغاكوف ، ترجمة يوسف حلاق ، مراجعة عبد الله حبة ـ دار رادوغار موسكو ١٩٩٠ .

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف – تأليف عبد الحق بن إسماعيل البادسي ، تحقيق سعيد أحمد أعراب – المطبعة الملكية ، الرباط ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص – د. عبد القادر المهيري ، د. حمادي صمود ، د. عبد السلام المسدي – الدار التونسية للنشر ١٩٨٨ .

النقد والحداثة – الدكتور عبد السلام المسدي – دار أمية ، الطبعة الثانية ١٩٨٩ .

الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه (من سلسلة : فتوح البلدان الإسلامية) – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة.

هندسة الفيزياء النووية – تأليف الدكتور المهندس مطاوع الأشهب – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩١ .

هندسة المفاعلات النووية (جزءان) – الدكتور المهندس مطاوع الأشهب – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩١ .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٣٠٣ ـ ٣١٥	١٩٩٢	سورية
البطريركية	١١٣	١٩٩٢	سورية
بحوث جامعة حلب	١٧	١٩٩٠	سورية
التراث العربي	٤٦	١٩٩٢	سورية
التعريب	٢	١٩٩٢	سورية
الثقافة	نيسان ، أيار	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ١٠ ـ ٢٠	١٩٩٢	سورية
جامعة البعث	٩	١٩٩٠	سورية
صوت فلسطين	٢٩٠ ـ ٢٩٢	١٩٩٢	سورية
الضاد	١ ، ٢ ، ٣	١٩٩٢	سورية
عالم الذرة	١٧ ، ١٨	١٩٩٢	سورية
مآب	١	١٩٩٢	سورية
المعرفة	٣٤٣ ، ٣٤٤	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٨ ، ٢٤٩	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	١	١٩٩٢	سورية
نهج الإسلام	٤٧	١٩٩٢	سورية
الأنباء	١١ ، ١٢	١٩٩١	الأردن
دراسات	١٨/١ ، ١٨/٣	١٩٩١	الأردن
العلم والتكنلوجيا	٣	١٩٩١	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	٢ ، ٣	١٩٩١	الأردن
المنتدى	١٠٥	١٩٩٢	الإمارات المتحدة
مجلة المعجمية	٥ ، ٦	١٩٩٠	تونس
الدارة	٤	١٩٩٢	السعودية

اسم المجلة	الأعداد الورادة	سنة الاصدار	المصدر
الغرب الإسلامي	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨	٨٩ – ١٩٩٠	السعودية
التربية	٩٩	١٩٩١	قطر
حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية	١٤	١٩٩٢	قطر
حولية كلية الآداب	٧٣ ، ٧٤	١٩٩٢	الكويت
تاريخ العرب والعالم	١٣٧	١٩٩٢	لبنان
الدراسات الفلسطينية	٩	١٩٩٢	لبنان
الشراع	من ٥١٧ – ٥٢١	١٩٩٢	لبنان
الشراع	٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٧ ، ٦٨	١٩٩٢	لبنان
المختار الدوائي لاقليم المتوسط	١	١٩٩١	مصر
الخدمات الصحية لاقليم المتوسط	٩ ، ١٠	١٩٩١	مصر
حولية الأمم المتحدة	٩ ، ١٠	١٩٩١	مصر
التحويل والتنمية	٤	١٩٩١	مصر
منبر الصحة العالمي	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤	١٩٩١	مصر
نشرة منظمة الصحة العالمية	١ ، ٢	١٩٨٩	مصر
أخبار التراث العربي	٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨	١٩٩٠	مصر
الأكادمية	٦	١٩٨٩	المغرب
الوثائق	٤ ، ٥ ، ٧	١٩٨٩	المغرب
الدراسات الإسلامية	١ ، ٢ ، ٤	١٩٩١	الباكستان
التعاون الاقتصادي	٤	١٩٨٩	تركيا
فرص التدريب في منظمة المؤتمر الإسلامي		١٩٩٢	تركيا
نشرة أخبار منظمة المؤتمر الإسلامي	٢٧	١٩٩١	تركيا

جـ - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء محاسني

1– Books:

1– Sciences et Techniques en Islam, une Histoire illustreé Par Ahmad Y. al – Hassan et Donald R.Hill . – Paris: Unesco, 1991.
translated from English.

2– Japan International Cooperation Agency, Annual Report, 1991. – Tokyo, 1991.

3– Muslim Social Scientists of the Subcontinent, A bibliographic Survey/by Mohammad Ataur – Rahim . – Pakistan, 1990.

4– Handbook of the Oromo language/by Mohammed Ali and Andrzej Zaborski . – Warszawa, 1990 (published by: Polska Akademia Nauk).

5– World list of Social Science Periodicals, 1991/by Unesco . – Paris: Unesco, 1991.

6– World Directory of Peace Research and Training Institutions, 1991/by Unesco . – Paris, 1991.

7– Ninteenth Research report, with Theses and publications of American University of Beirut 1988 – 1990 . – Beirut, 1990.

8– Classical Islamic Philosophy/by Taufic Ibrahim and Arthur Sagadeev translated from Russian by H.Campbell Creighton . – Moscow, 1990.

9– De Ajusqu'a Tou Reflets Changeants Sur Méditerranée, Roman/Par Anouar Attia . – Paris, (1991).

10– littérature d'idées/Par A.M.Chenoufi . – Tunis, 1989. (collection Sources).

11– Adolescence et Identite/Sons la direction de Noureddine Kridis . – Marseille, 1990. (collection «Psychologie et Societé».)

12– Méthodes innovatrices dans l'enseignement technologique/Par Unesco . – Paris, 1992 . – (Études sur la formation des ingénieurs)

13– Monumenti Antichi De Roma Nei Disegni De Alberto Alberti/Par Giovanna Maria Forni . – published by Accademia Nazionale Dei Lincei, Anno ccc LXXXVI, 1989 . – Roma, 1991. Serie VIII – volume XXXIII.

14- Compte Rendu De la Soixante-Cinquième session Annuèlle Du Comité, Paris, Du 9 Au 15 Juin, 1991/Par Union Académique Internationale.- Bruxelles, 1991.

وكتب باللغة الفارسية :

١ - رياض السياحة/ تأليف حاجي زين العابدين شيرواني.- موسكو : شعبة أدبيات خاور، ١٩٧٤، المجلدات ١ -٣ .

٢ - حقيقة الحقايق، شاهيّه في التلويح إلى ترجيح المسالك النعمة اللهيّه/ تأليف حاجي زين العابدين شيرواني .- موسكو : شعبة أدبيات خاور، ١٩٨١ .- المجلدان ١، ٢ .

ثانياً : المجلات :

1- Folia Orientalia, published by: Polska Akademia Nauk .- Warszawa, 1991.- Vol. XXVII, 1990, Vol. XXVI 1989.

2- Coree, publ. by: la Republique populair Democratiqu De Coree, No. 386, April, 1992.

3- Hamdard Islamicus, publ. by: Hamdard Foundation Pakistan, Vol. XIV No.2, Summer 1991.

4- Muslim education quarterly, spring issue, vol.8, No.3, 1991, and Summer Issue, No.4, 1991.

5- Names, Journal of the American Name Society, publ. by University of South Dakota, vol.39, No.3, September 1991.

6- Sources, publ. by: Unesco, Nos. 34, 37, Fevrier & Mai, 1992.

7- ABN Correspondence, Bulletin of the Anti-Bolshevic Bloc of Nations, vol. XLIII, Nos. 1-2, January-April, 1992.

8- Islamic Studies, quarterly Journal, publ. by Islamic Research Institute, Pakistan, vol. 30, Winter and Autumn 1991, Nos. 3, 4.

9- Jama, Middel East, the Journal of the American Medical Association, vol. II, No. 6, June, 1992.

10- Espana, 1992, Revue d'information de L'O.I.D, Nos. 218, 220, 221, Fevrier et Avril et Mai 1992.

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٧

ــ فهارس مجلة المقتبس ، وضع رياض عبد الحميد مراد .
ــ إعراب الحديث النبوي ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق عبد الإله نبهان .
ــ شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي، (ج٢)، تحقيق د. محمد علي سلطاني.
ــ معجم المصطلحات الحديثية ، للدكتور نور الدين العتر .
ــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عاصم ــ عائذ) تحقيق د. شكري فيصل .
ــ محمد كرد علي مؤسس المجمع (الكلمات التي ألقيت في الاحتفال بمرور مئة عام على مولده).
ــ نص مستدرك من كتاب العبر ، تحقيق رياض مراد .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٨

ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج١ ، وضع محمد رياض مراد .
ــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن عمران ــ عبد الله بن قيس) ، طبعة مصورة عن مخطوطة .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٩

ــ تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور يوسف العش ، مراجعة سماء المحاسني .
ــ تاريخ الخلفاء لمحمد بن يزيد ، تحقيق محمد مطيع الحافظ .
ــ عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ، لمحمد خليل المرادي ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد .
ــ محمد أسعد الحكيم ، للدكتور عدنان الخطيب .
ــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج١ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٠

ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة) ، وضع مصطفى سعيد الصباغ .
ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٢ ، وضع محمد رياض المالح .
ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج١ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج٢ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري ، (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .
ــ شعر أبي هلال العسكري ، جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع .

ــ تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١ ــ ٢) ، تحقيق نعمة الله القوجاني .
ــ تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (طبعة ثانية) ، تحقيق محمد بهجة الأثري .
ــ المعاصرون للأستاذ محمد كرد علي ، تعليق محمد المصري .
ــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج١ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .
ــ القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ، لعبد اللطيف الطيباوي .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ــ شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول) ،
تحقيق د. محمد يوسف . مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
ــ شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش .
ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢ ، وضع صلاح الخيمي .
ــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر ــ عبد الله بن زيد) ،
تحقيق د. شكري فيصل ، شهابي ، طرابيشي .
ــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

ــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى ــ عبد الله بن ثوب)
تحقيق د. فيصل ، نحاس ، مراد .
ــ كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢) ، تحقيق عبد المعين الملوحي .
ــ التاريخ المنصوري ، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي ،
تحقيق د. أبو العيد دودو ، مراجعة د. عدنان درويش .
ــ شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، مراجعة قدري الحكيم .
ــ كتاب الأفضليات ، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي ،
تحقيق د. وليد قصاب ، د. عبد العزيز المانع .
ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١ ، وضع رياض مراد وياسين السواس .
ــ زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري ، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

ـ مشيخة ابن طهمان	تح د. محمد طاهر ملك
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ج١	تح محمد أحمد الدالي
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢)	صنعة د. عبد الكريم الأشتر
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢)	لعبد الحي الحسني
ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د. نسيب النشاوي
ـ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح د. طيان وميرعلم
ـ نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح إبراهيم صالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣	وضع محمد رياض المالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢	وضع مراد وسواس
ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١	وضع ياسين السواس
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
ـ نوح العندليب	لشفيق جبري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١	تح نشاط غزاوي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

ـ شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١	تح محمد كامل القصار
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢	تح حافظ وبدير
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١	تح عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

ـ تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة) .
ـ رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية) .
ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية) .
ـ البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية) .
ـ الإتباع لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ) .
ـ عمر فروخ ، كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام ، للدكتور عدنان الخطيب .
ـ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب .
ـ الدكتور صبحي المحمصاني ، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب .
ـ الأستاذ عبد الهادي هاشم فقيد المجمع (فصلة) ، للدكتور شاكر الفحام .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

ـ ديوان أبي الفتح البُسْتي ، تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال .
ـ الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي .
تحقيق محمد صغير حسن المعصومي .
ـ فصول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز .
تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع ، الدكتور فهد أبو خضرة .

NO. 3 VOL.LXVII

REVUE
DE L'ACADEMIE ARABE DE DAMAS
B.P (327)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)
تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش ، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٤١ تح سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، السيرة النبوية (القسم الثاني) تح نشاط غزاوي
- عبد الله كنون : سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية ، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تح وفاء تقي الدين

السعر : ١٠ ل . س داخل القطر

مطبعة الصباح

الجزء الرابع　　　　　　　　　　　　　　　　المجلد السابع والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ربيع الآخر ١٤١٣هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٢م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٣م		
	١٠٠	ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	٨	دولارات أميركية في البلدان العربية
	١٠	دولارات أميركية في البلدان الأجنبية

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

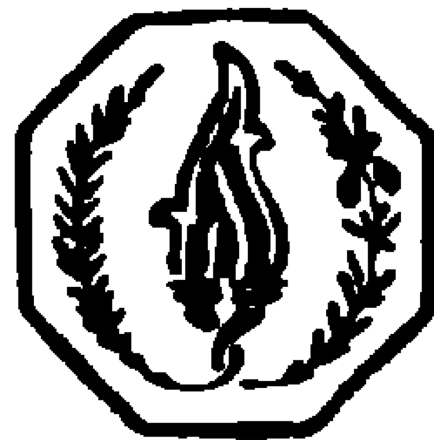
- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الْكُتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية .
- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابها المقالات الأُصيلة التي يخصونها بها ويقصرونها عليها . وإن للكتّاب الحق في إعادة نشر مقالاتهم بعد ذلك أينما شاؤوا شريطة أن يشيروا إلى النشر الأول في مجلة المجمع .
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح ، أو مضروبة على الآلة الراقنة .
- المقالات التي لاتنشر لاترد إلى أصحابها .

الجزء الرابع المجلد السابع والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ربيع الآخر ١٤١٣هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٢م

الاحتفاء بمرور خمس مئة سنة

على وفاة الامام السيوطي

الدكتور شاكر الفحام

كان الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ) من أشهر علماء عصره ، وأبعدهم أثراً في خالفيه .

نشأ في القاهرة ، مستودع الحضارة العربية الإسلامية ومستقرها ، وأعلى مناراتها الهاديات ، فأقبل على التعلم إقبال منهوم مشغوف ، وقد رُزق الموهبة ، وأُوتي الجلد والصبر والمثابرة ، فما عرف الكلال سبيلاً إلى نفسه . وكان متوقد الذهن ، حيَّ الذاكرة : حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين . ثم حفظ جملة صالحة من المتون ، وشرع من بعدُ في الاشتغال بالعلم ، في مستهل سنة ٨٦٤هـ ، فقرأ على أكابر علماء عصره . وبدأ التأليف في سنٍّ مبكرة ، فألف شرح الاستعاذة والبسملة ، وشرح الحيعلة والحوقلة في زمن الطلب سنة ٨٦٥هـ ، وهو ابن ست عشرة سنة . وحظي بتشجيع أستاذه البلقيني فزاده ذلك ثقة بنفسه ، وأجيز بتدريس العربية سنة ٨٦٦هـ[1] ، وقد انتصب للتدريس في سنة ٨٧٠هـ ، وتصدى للإفتاء في سنة ٨٧١هـ ، وأملى الحديث سنة ٨٧٢هـ ، وتولى تدريس الحديث بالمدرسة الشيخونية سنة ٨٧٧هـ[2] .

---

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧ ، ٢٣٩ ، حسن المحاضرة ١ : ١٥٦ - ١٥٧

(٢) التحدث بنعمة الله : ٨٨ - ٩١ ، حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، مقامات السيوطي ١ : ٥٥٤

وكان السيوطي واسع الثقافة ، طُلَعة ، امتدت لديه آفاق المعرفة ، وبرع في علوم شتى . ولكنه ، كما يذكر عن نفسه ، قد رزق التبحر في سبعة علوم هي : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع[٣] . وقد أكبَّ على التأليف حتى بلغت مؤلفاته حين ألف كتابه حسن المحاضرة نحو (٣٠٠) كتاب ، سوى ما غسله ورجع عنه[٤] . وعدّد السيوطي كتبه في أحد فهارسه ، فبلغ بها (٤٦٠) كتاب[٥] . ثم تجاوز مترجموه هذا العدد ، فبلغ بها بعضهم نحو ست مئة كتاب .

وتتجلى في مؤلفاته هذه الثقافة العريضة المتنوعة ، وقد نالت القبول والحظوة ، فانتشرت في البلاد ، وسارت بها الركبان ، وعلا صيتُ صاحبها ، وتألق نجمه ، ولقي ما لقي من التجلة والإكبار[٦] . وملأه الإعجاب بما كتب : « ... كتبي التي أصوغها صوغ الذهب ... ثم تطبّق الدنيا بعداً وقرباً ، وتسير إلى الآفاق شرقاً وغرباً ... وما في المشرق والمغرب الآن أحد إلا وهو داخل في العلم تحت لوائي ، ... فليس في الإسلام قطر إلا وقد وصلت تصانيفي إليه ، ولا مصر إلا وتجد شيئاً من كتبي لديه ، ووصلت إليّ من علماء الأمصار المطالعاتُ والرسائل .... »[٧] . وقد بلغ به الاعتداد بما كتب أن قسم مؤلفاته سبعة أقسام جعل قسمها الأول ما تفرد به من الكتب مما لم يؤلف له نظير في الدنيا ، وسرد في هذا القسم ثمانية

---

(٣) التحدثُ بنعمة الله : ١٣٨ ، ٢٠٣ ، حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

(٤) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

(٥) مجلة عالم الكتب ، مج١٢ ، ع٢ ، ص ٢٣٥ — ٢٤٢

(٦) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، التحدث بنعمة الله : ١٥٥ — ١٥٩ ، مقامات السيوطي ١ : ٥٩٩ — ٥٦٣

(٧) مقامات السيوطي ١ : ٣٩٧ ، ٤١٩ ، ٢ : ٦٨٧

عشر مؤلفاً[٨]

وكان السيوطي يحرص في كتبه على ذكر موارده ومناهله ، لا يُغفل ذلك إلا قليلاً : « وقد علم اللهُ والناسُ من عادتي في التأليف أني لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله ، ونسبته إلى ناقله ، أداء لشكر نعمته ، وبراءة من دركه وعهدته »[٩] .

وإذا كان السيوطي في مسلكه هذا إنما يؤدي حق العلم ، ويلتزم الجادة التي سلكها السلف الصالح ، فقد أتاح له ذلك أيضاً أن يُطلع الآخرين على ما رُزقه من بسطة في العلم ، وإحاطة بما لم يحط به سواه ، وقدرةٍ لا تبارى في الكشف عن نوادر المصادر وأعلاقها النفيسة .

ورأى السيوطي ، وهو من هو علماً ومعرفة ، أن قد كملت له آلات الاجتهاد ، وأنه بلغ رتبة الاجتهاد المطلق[١٠] . وخال أنه المبعوث على رأس المئة التاسعة ليجدّد لهذه الأمة دينها[١١] . « وقد ترجّى الفقيرُ من فضل الله أن ينعم عليه بكونه هو المجدّد على رأس المئة . وما ذلك على الله بعزيز »[١٢] .

---

(٨) التحدث بنعمة الله : ١٠٥ ــ ١٠٦

(٩) مقامات السيوطي ١ : ٥٦٢ ــ ٥٦٣

(١٠) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، التحدث بنعمة الله : ١٩٩ ــ ٢٠٠ ، ٢٠٥ ــ ٢١٤ ، مقامات السيوطي ١ : ٣٨٨ ــ ٣٨٩ ، ٢ : ١٠٥٢ ــ ١٠٥٤ ، فيض القدير ١ : ١١ ، ومما قاله الشهاب ابن حجر الهيتمي : « لما ادعى الجلال ذلك قام عليه معاصروه ، ورموه عن قوس واحدة ، وكتبوا له سؤالاً فيه مسائل ... » (فيض القدير ١ : ١١ ــ ١٢) .

(١١) حسن المحاضرة ١ : ١٥١ ، مقامات السيوطي ٢ : ٦٧٣ ــ ٦٧٥ ، ٦٨٦ ــ ٦٨٧ ، ٩٥٨ ، فيض القدير ١ : ١١ ، ٢ : ٢٨٢

(١٢) التحدث بنعمة الله : ٢٢٧

« وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يخلف ما الهادي وَعَدْ
وقد رجوتُ أنني المجدّدُ فيها ففضلُ الله ليس يجحدُ[١٣] »

وكانت هذه الدعوى سبب الخصومة والتنازع بين السيوطي وطائفة من علماء عصره رفعت في وجهه راية الأنكار ، وسلقته بألسنة حداد ، فتصدى لها منددًا بلسان سليط لاذع ، فهجا وسخر وجهّل ، ثم فاخر بنفسه ، وباهى بعلمه ومكانته : « ... على أن لي لسانًا لو مددته لوصل إلى جبل قاف ، ولو نشرته لنسف رمال الأحقاف ، ولو أدخلته البحر المحيط لكدّره ثم سجره ، ولو أصعدته الجوّ لغبّره ثم سعره ... »[١٤] .

وخلّفت المعركةُ فيما خلفته آثارًا للسيوطي تتبين فيها حدته وسخريته وذهابه بنفسه ، منها : الدوران الفلكي على ابن الكركي ، وطرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة ، والكاوي في تاريخ السخاوي ، والمقامة الكلاجية في الأسئلة الناجية ، والمقامة المزهرية[١٥] ....

وشدّد خصوم السيوطي عليه الخناق ، وألّبوا عليه الناس والسلطان ، وأنهكته المعركة وهدّت قواه ، فآثر الانسحاب من الميدان ، وأوى إلى العزلة ، وقطع علائقه بالناس ، وترك التدريس والإفتاء ، وزهد في المناصب كلها[١٦] ، واعتذر لمريديه ومحبيه لهذا الابتعاد عن المجتمع بأن الزمان « زمان الصبر ، الصابرُ فيه كقابض على الجمر ، رأينا فيه ما أنذر به الرسول ...

(١٣) فيض القدير ٢ : ٢٨٢

(١٤) مقامات السيوطي ٢ : ٦٢٠

(١٥) مقامات السيوطي ١ : ٣٧٠ – ٤١٩ ، ٢ : ٦١٦ – ٨١٧ ، ٩٣٣ – ٩٥٧ ، ٩٥٨ – ٩٧١ ، ١٠٤١ – ١٠٥٥ ، وانظر جملة أخرى من مؤلفاته في هذا الباب في المقامات ٢ : ٩٦٠ – ٩٦١ ، وقد وردت المقامة المزهرية في كتاب التحدث بنعمة الله (ص١٩٤ – ٢٠١) بعنوان : رسالة النجح في الإجابة إلى الصلح .

(١٦) مقامات السيوطي ٢ : ١٠٠١ – ١٠٠٦ ، ١٠٣٤

من آيات وعلامات ... وما من آية منها إلا وقد أمر النبيُّ عليه الصلاة والسلام بأن يلزم العالم عندها خاصة نفسه ، ويجلس في بيته ويسكت ... »[١٧] .

وعكف السيوطي على التأليف والتصنيف ، مشيحاً بوجهه عن الدنيا ، وكأنما كان يردد لنفسه ما كان سبق أن قاله : « ... وأيّ شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ... »[١٨] .

وظل التأليف ديدنه ودأبه ، والعزلة مذهبه ، حتى وافاه اليقين ، أحبَّ ما كان إلى الناس ، وآثره عندهم . وخلّف علماً عظيماً ، وكنوزاً من العلم نفيسة ، ما تزال منهل الواردين ، يعبون منها ما يروي ظمأهم إلى المعرفة .

وقد تنادت المؤسسات العلمية والأوساط الثقافية للاحتفاء بمرور خمس مئة عام على وفاة العالم الكبير السيوطي . وإن مجلة المجمع ليسعدها أن تشارك في الاحتفاء ، فتصدر هذا الجزء الذي تناول جوانب من سيرة الإمام السيوطي العالم الفذ ، وما كان لآثاره العلمية من شأن في إغناء المكتبة العربية .

ورجاؤنا أن يؤدي هذا الاحتفاء إلى قيام هيئة علمية تتولى نشر مؤلفات السيوطي المخطوطة ، وإعادة تحقيق المطبوع منها تحقيقاً علمياً ، لتكون منهل القاصدين من العلماء والمتعلمين ، يردون منها العذب النمير ، ويوالون النظر في آثار العالم الكبير إفادة منها ، ودراسة لها .

---

(١٧) مقامات السيوطي ٢ : ٩٩٨ ، وانظر المقامات ٢ : ١٠٠٠ – ١٠٠١

(١٨) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

الإمام جلال الدين السيوطي[1]

سيرة مختصرة

(٨٤٩ - ٩١١هـ)

الدكتور عبد الإله نبهان

كانت حياة السيوطي من ولادته إلى وفاته في عصر المماليك ، ولم يكن عصرهم عصر إبداع في العلم والأدب إنما كان عصر جمع ونقل وترتيب وتأريخ ، وظهر نبوغ السيوطي في هذه المجالات ، وكانت له مشاركة ما في الحياة العامة والرسمية ، لكنه قضَى معظم أوقاته – وكان مباركاً له في وقته – في التصنيف والتأليف ، وكتب سيرة حياته بقلمه موجزةً ومطولة[2] ، وترجم له تلاميذه من المحبّين[3] ، وخصومه من المبغضين[4] ، ولو كان لنا أن نكتب سيرة حياته كما يحبّ ، لقمنا بتعداد مؤلفاته الكثيرة ، فقد كانت الحياة عنده هي التصنيف في ضروب المعرفة وجمع العلوم ، ونظم

(١) موارد ترجمته : التحدث بنعمة الله للسيوطي . وحسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ له أيضاً والضوء اللامع ٤ : ٦٥ وبدائع الزهور ٤ : ٨٣ وشذرات الذهب ٨ : ٥١ والبدر الطالع ١ : ٣٢٨ .

(٢) سيرته المطوّلة هي التحدث بنعمة الله والموجزة ما كتبه عن نفسه في حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ .

(٣) من ذلك ما كتبه تلميذه ابن إياس في بدائع الزهور ٤ : ٨٣ وكتاب تلميذه عبد القادر الشاذلي « بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين » وما يزال مخطوطاً قيد التحقيق وآمل إنجازه بعونه تعالى .

(٤) من ذلك ماكتبه السخاوي في الضوء اللامع ٤ : ٦٥ .

المتون وشرحها وكتابة التاريخ والتفسير وشرح الحديث ... فلا عجب بعد هذا أن نراه قد خصص القسم الأكثر من سيرته الموجزة وسيرته المطوّلة لتعداد مؤلفاته في علوم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وعلوم العربية ومتعلقاته والتاريخ ومايتصل به ، وكأن سيرته هي آثاره ، ولم يكن له اهتمام برواية أحداث حياته على نحو تفصيلي ، ولم يذكر زواجه ولا أولاده ولا متاعبه ، ولم يتسع في الحديث عن علاقاته مع أمراء زمانه ، ولم يذكرهم إلا لِماماً ، وألقى الشيخ كثيراً مما يهمّ كاتب سيرته وراء ظهره ، واقتصر على الحديث عن شيوخه ووالده ، مما له علاقة بالعلم والمعرفة والصلاح .

والسيوطي هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين أبي المناقب بن محمد بن سابق الدين أبي بكر الخُضيري السيوطي(٥) ، كان والده أبو بكر(٦) من أهل العلم والمعرفة ، فقد ولي القضاء بأسيوط قبل قدومه إلى القاهرة ، فلما قدمها لزم العلامة القاياتي(٧) وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والمنطق ، كما أخذ عن غيره من شيوخ زمانه كالحافظ ابن حجر(٨) وغيره ، وبلغ في صناعة التوقيع النهاية ، وهو الذي كتب نسخة العهد(٩) للخليفة المستكفي با لله أبي الربيع

---

(٥) اسمه ونسبه مختصراً عن حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ .

(٦) ترجم لوالده في حسن المحاضرة ١ : ٤٤١ وفي نظم العقيان : ٦٥ .

(٧) القاياتي محمد بن علي (٧٨٥ تقريباً – ٨٥٠هـ) قاضي القضاة العلامة النحويّ . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٠ ونظم العقيان : ١٥٤ .

(٨) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (٧٧٣ – ٨٥٢هـ) مولده ووفاته بالقاهرة كان حافظ الإسلام في عصره . البدر الطالع ١ : ٧٩ . نظم العقيان ٤٥ .

(٩) انظر صورة العهد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ٥١١ وانظر ترجمة المستكفي في الموضع نفسه .

سليمان بن المتوكل ، وكان إماماً له .

تفيدنا هذه الإشارات التي أوردها السيوطي مجتمعة أو مفترقة ، في معرفة نشأته الأولى ، فمنها عرفنا أنه نشأ في كنف والدٍ له بالعلم عناية ، وله عند ه رعاية ، وأنه كان على صلةٍ بالخليفة إماماً له ، فلا عجب بعد ذلك أن امتلأت نفس الفتى – وهو يسمع عن أبيه مايسمع – إعجاباً بوالده ، وعزماً على أن يسير على سننه ، ويبالغ في طلب العلم ، بعد أن عزّزت ذلك في نفسه دواعٍ أُخر .

ولد السيوطي في القاهرة ليلة الأحد مستهلّ رجب عام ٨٤٩هـ – ١٤٤٥م في أيام حكم السلطان الظاهر سيف الدين جُقمق[١٠] (٨٤٢ – ٨٥٧هـ) وسمّاه والده عبدَ الرحمن ، ولقبه جلالَ الدين ، ويُستفاد مما كتبه السيوطي بعد ذلك عن نفسه[١١] ، أنه دُفع في طريق العلم منذ نعومة أظفاره ، فإنه ذكر أنّ والده توفي وله من العمر خمس سنين وسبعة أشهر ، وقد وصل في حفظه القرآن إلى سورة التحريم .. وتابع السيوطي بعدئذٍ مسيرة حياته مشمولاً برعاية نفرٍ من العلماء أصحاب أبيه ، منهم العلامة كمال الدين بن الهمام[١٢] ، الذي طلب جلالَ الدين عقب وفاة والده وقرره في وظيفة الشيخونية[١٣] بعد أبيه ، وكان والد السيوطي مدرساً للفقه بالجامع الشيخوني ، وهكذا رُسم خط سير حياة اليتيم وهو مايزال صبياً لمّا يبلغ

---

(١٠) جقمق : حسن المحاضرة ٢ : ١٢١ .

(١١) حسن المحاضرة ١ : ٣٣٦ .

(١٢) ابن الهمام : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين (٧٩٠ – ٨٦١هـ) كان علاّمة محققاً جدلياً نظاراً . حسن المحاضرة ١ : ٤٧٤ .

(١٣) ذكرها السيوطي عدة مرات في حسن المحاضرة ١ : ٣٩٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٨٢ ، ٥٠٩ ، ٥٢٩ ، ٥٣٨ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

السادسة من عمره بعد .

ويبدو أن جلال الدين طبع منذ صغره على الدأب والمثابرة ، فلا سبيل للملل إلى نفسه ، ولا تصرفه صوارف الحياة التي تشغل أترابه وتملأ أوقاتهم ، وقد وهب ذاكرة قوية ، وقدرة على الحفظ سريعة ، فما كاد يبلغ الثامنة حتى ملأ بالقرآن الكريم صدره حفظاً ، وأتبع ذلك بحفظ عدة متون في علوم مختلفة كعمدة الأحكام[١٤] ومنهاج النووي[١٥] وألفية ابن مالك[١٦] ومنهاج البيضاوي[١٧] ، ويقول السيوطي إنه عرض المتون الثلاثة الأول عام ٨٦٤هـ على شيخ الإسلام علم الدين البُلْقيني[١٨] وعلى شيخ الإسلام شرف الدين المناوي[١٩] وعلى قاضي القضاة عز الدين الحنبلي[٢٠] وعلى شيخ الشيوخ أمين الدين الأقصرائي[٢١] ، وغيرهم . وتلقّى منهم

(١٤) هناك عدة كتب بهذا العنوان أحدها في الفروع لابن قدامة الحنبلي ت ٦٦٠هـ ، والثاني في الحديث لابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ وأظنه يريد هذا الأخير . كشف الظنون ١١٦٤/٢ .

(١٥) منهاج النووي هو منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الفقه الشافعي للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦ . كشف الظنون ٢ : ١٨٧٣ .

(١٦) الخلاصة الألفية ، اختصرها من مطولته الكافية الشافية .

(١٧) منهاج البيضاوي وهو : منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥هـ ، كشف الظنون ٢ : ١٨٧٨ .

(١٨) علم الدين البُلقيني : صالح بن عمر (٧٩١ – ٨٦٨هـ) . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٤ ونظم العقيان ١١٩ وشذرات الذهب ٧ : ٣٠٧ .

(١٩) شرف الدين المناوي (٧٩٨ – ٨٧١هـ) شرف الدين يحيى بن محمد ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٥ .

(٢٠) عز الدين الحنبلي : أحمد بن إبراهيم بن نصر الله ، قاضي القضاة (٨٠٠ – ٨٧٦هـ) انظر حسن المحاضرة ١ : ٤٨٤ .

(٢١) الأقصرائي أمين الدين يحيى بن محمد بن إبراهيم (٧٩٥ – ٨٨٠هـ) .

الإجازة ، وما نظنّ السيوطيّ إلا صادقاً فيما أخبر به عن نفسه ، فمن أتمّ حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة ، كان على إتمام هذه المتون في الخامسة عشرة أقدر ، ومن سار هذه السيرة المباركة في طلب العلم كان جديراً أن تتفتّح أمامه سُبُله ، وتذلّل حزونه ، وتلين صعابه ، ولا سيّما أن شيوخه ، وهم شيوخ زمانهم آنذاك ، يرعونه بعين الرأفة ، ويحوطونه بالعناية ، ويحفظون به وصية والده الصالح ... وكان جلال الدين يعتقد بعد أن أجيز بمحفوظاته أنه لم يبدأ الاشتغال بالعلم بعد ، وإنما كان في طور التأسيس . وطرائقهم في ذلك الزمان أن يحفظ الطالب المتن ، فإذا أتقن حفظه ، مدّوا له أسباب الفهم بالشرح ، لذلك رأيناه يحفظ ألفية ابن مالك ويجاز بها عام ٨٦٤هـ ، ثم يقول إنه قرأها في العام نفسه بعد ذلك على الشيخ شمس الدين محمد بن موسى الحنفي[٢٢] الإمام بخانقاه شيخو قراءةَ دراية من أولها إلى آخرها ، فأجيز بالإقراء والتدريس سنة ٨٦٦هـ . وبدأ اشتغاله بالعلم بعد إجازته بالحفظ بقراءة علم الفرائض على علامة زمانه في فنّه – كما يذكر – وهو شهاب الدين الشارمساحي[٢٣] ، وكان ذلك عام ٨٦٥هـ . وقرأ صحيح مسلم رواية على الشيخ محمد بن موسى الحنفي وسمع عليه الشفا[٢٤] ، وكانت نهاية ذلك مستهلّ سنة ٨٦٦هـ إذ أجيز كما تقدّم .

= انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره . نظم العقيان : ١٧٨ وحسن المحاضرة ١ : ٤٧٨ .

(٢٢) شمس الدين محمد بن موسى بن محمود ، إمام الشيخونية ، ورد ذكره في كتاب التحدث بنعمة الله : ٦٨ ، ٢٣٧ .

(٢٣) الشارمساحي : شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٦٥هـ) نظم العقيان : ٤٣ والتحدث بنعمة الله : ٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢٤) الشفا في تعريف حقوق المصطفى لعياض بن موسى القاضي اليحصبي ت ٥٤٤هـ .

وكان جلال الدين يحضر في هذه السنّ عدة مجالس علم ، ويقرأ في الوقت نفسه على عدة شيوخ ، ويخيّل إلى الناظر في سيرته وفي مسموعاته وفي مقروءاته وفي أسماء شيوخه ، أن الرجل كان لا يكاد ينام ، فهو ينهل من العلم قراءةً وسماعاً بنهم بالغ ، فإذا ماخلا بنفسه استظهر ماقرأ ، وأخذ يجرب التصنيف ، ففي المدة المشار إليها آنفا كان يقرأ على الشيخ شمس الدين الحنفي[٢٥] خازن الكتب بالشيخونية ، قرأ عليه متن الكافية لابن الحاجب[٢٦] ، وشرح الكافية لابن الحاجب أيضاً ، وقرأ عليه مقدّمة إيساغوجي في المنطق وشرحها للكاتي[٢٧] ، وقطعةً من كتاب سيبويه ، وسمع عليه « شافية ابن الحاجب » وشرحها للجاربردي[٢٨] .. وفي الوقت نفسه كان السيوطي يكتب مسودات تصانيف ، فكتب شرحاً منثوراً « للآجُرُّومية »[٢٩] أتبعه بشرح منظوم ، وشرح كتاب « الجمل »

(٢٥) شمس الدين الحنفي : محمد بن سعد المرزباني . خازن الكتب بالشيخونية ذكره في التحدث بنعمة الله ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ .

(٢٦) ابن الحاجب : عثمان بن عمر . ولد في الصعيد وتوفي في الإسكندرية عام ٦٤٦ . بغية الوعاة ٢ : ١٣٤ .

(٢٧) إيساغوجي : لفظ يونانيّ معناه الكليات الخمس ، أي : الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق .. وصنف فيه كثيرون منهم فرفريوس الصوري وعبد اللطيف البغدادي . وشرحه المشار إليه هنا هو شرح حسام الدين حسن الكاتي المتوفّى سنة ٧٦٠هـ (كشف الظنون ١ : ٢٠٦) .

(٢٨) الجابردي : أحمد بن الحسن فخر الدين . توفي في تبريز عام ٧٤٦هـ بغية الوعاة ١ : ٣٠٣ .

(٢٩) الآجُرّومية : متن نحوي شديد الإيجاز ، وضعها ابن آجُرُّوم (٦٧٢ — ٧٢٣هـ) محمد بن محمد بن داود الصنهاجي . مولده ووفاته بفاس . وذكر الزركلي أن آجُرُّوم معناه بلغة البربر الفقير . الأعلام ٧ : ٣٣ ط ٤ .

للزجاجي[٣٠] ، ووضع شرحاً على الكافية الكبرى لابن مالك[٣١] . وكتب غير ذلك ، ثم غسل ما كتبه كلّه .. وليس من شك في أن جلال الدين كان يجرب مقدرته في التأليف ، ويدرّب قلمه ، وقد ملأت نفسه المطامح في أن يكون مؤلفاً يذكره التاريخ في أعلام رجاله ، وتدلّ أسماء مؤلفاته التي غسلها على توجّهاته ، وعلى الطريقة التي سيتّبعها بعد ذلك في مؤلفاته ، فإنه سيكون شأنه شأن علماء عصره في اتجاههم إلى شرح المتون ووضع الحواشي وجمع ما تفرق وإعادة تصنيفه ..

ونعود إلى سيرة جلال الدين الذي انصرف في شوال عام ٨٦٥هـ إلى الفقه ، ولزم دروس شيخه قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني ، وشرع بالقراءة عليه ، فقرأ جملةً من كتب الفقه لم يتمّها ، وإنما كان يقرأ من كل كتاب قسماً ، فقد قرأ عليه قطعة من كتاب « التدريب » لسراج الدين عمر البلقيني الشافعي ، بدأ من أوّله وانتهى إلى كتاب الزكاة ، وكذلك قرأ من أوّل « التنبيه »[٣٢] إلى الزكاة ، وسمع قطعةً من « الروضة »[٣٣] من باب القضاء ، وقطعة من « التكملة »[٣٤] للزركشي من إحياء الموات إلى نحو

---

(٣٠) الزجاجي : أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحاق . عاش ببغداد ، وتوفي بطبرية ، وكتابه الجمل ، كتاب موجز في النحو ، له شروح كثيرة بعضها مطبوع . بغية الوعاة ٢ : ٧٧ .

(٣١) ابن مالك : أبو عبد الله محمد بن عبد الله . ولد بجيّان بالأندلس . وتوفي بدمشق عام ٦٧٢هـ . بغية الوعاة ١ : ١٣٠ .

(٣٢) التنبيه : في فروع الشافعية ، للشيخ أبي إسحاق الشيرازي إمام الشافعية في عصره . توفي سنة ٤٦٧هـ . كشف الظنون ١ : ٤٨٩ .

(٣٣) الروضة : في فروع الشافية = روضة الطالبين وعمدة المتقين للإمام يحيى بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧٦هـ .

(٣٤) التكملة : تكملة شرح المنهاج للنووي . صنفها بدر الدين محمد بن عبد الله

الوصـايا ، كما سمع عليه من أول « الحاوي الصغير »[٣٥] إلى باب العدد ، ومن أوّل كتاب « المنهاج »[٣٦] إلى الزكاة . وفي هذه السنة استيقظت في نفسـه شهوة التصنيف ، فقادته أفكاره إلى أن يصنّف تصنيفاً يشرح فيه الاستعاذة والبسملة ، وتصنيفاً آخر يشرح فيه الحوقلة والحيعلة ، وقدّمهما إلى شيخه البلقيني ، ورغب الشيخ في تشجيع تلميذه والأخذ بيده ، ودفعه في طريق التصنيف ، فأخذهما ووقف عليهمـا ، وكتب له تقريظاً ، وفرح السيوطيّ بذلك ، واعتز بتقريظ شيخه ، وإن اعترف بعدئذٍ أنه لم يرض عنهما ، قال « وهذان الكتابان وإن اشتملا على فوائد يبتهج بها المبتدئ ، فـإني لا أعتـبرهما الآن ، ولولا أنّ شيخنـا شيخ الإسـلام وقف عليهمـا وشرّفهما بخطّه لغسلتهما في جملة ماغسلته »[٣٧] .

ولم يلبث شيخه البلقيني أن أجازه بالإفتاء والتدريس في شوال عام ٨٦٦هـ ولمـا يبلغ من العمر الثامنة عشرة ، وتأهب لشغل منصبه مكان أبيه ، مدرسـاً للفقه بالجامع الشيخوني . وطلب من شيخه أن يسمح له بمباشرة الدرس بنفسـه ، فأجيب إلى ما أراد ، ولبّى شيخه شيخ الإسلام البلقيني طلب تلميذه السيوطي فحضر عنده في أول يوم تشريفاً له ، كما جرت العادة بذلك ، واحتفل السيوطي لدرسـه الأول ، وتأهب له وأعد عدّته ، فإن عليه أن يثبت أنه بالتدريس جدير وعليه قدير أمام شيخه وأمام

=الزركشي ت ٧٩٢هـ وهو صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . انظر كشف الظنون ١ : ١٨٧٤ والبرهان في علوم القرآن ١ : ٨ .

(٣٥) الحـاوي الصغير في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفـار بن عبد الكريم القزويني الشافعي ت ٦٦٥ ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية .

(٣٦) انظر الحاشية رقم ١٥ .

(٣٧) بهجة العابدين ص ١٧ (مخطوط جستربيتي) .

الحضور ، وكانت نفسه مفعمةً بالرهبة من جلال الموقف ، وخاصة أنه لما أُعلم الناس أن شيخ الإسلام سيحضر درسه كذبه بعضهم ، وهو يقول « فلم يصدّقْ أكثرُ الحسَدة »[٣٨] وذهب وزار مقام الإمام الشافعي وتوسل به ودعا ربّه أن يأخذ بيده .

وفي يوم الثلاثاء التاسع من ذي القعدة سنة ٨٦٧هـ حضر شيخ الإسـلام البلقيني ومعه نفر من الشيوخ ، وحضر جمهور من طلبة العلم وجمهور من الحسدة ليشهدوا أول درس لجلال الدين .

وكان السيوطي أعدّ خطبةً يفتتح بها درسه ، ولم يجد أنسب من أن يفتتح درسـه بخطبـة الإمـام الشـافعي التي صـدّر بها كتـابه العظيم « الرسـالة »[٣٩] وهي خطبـة اشتملت على نفيس الكلام وبديع القول ، وصيغت بأسـلوب رائع وعبارة معجبة بليغة ، فلا بدع أن كانت تحفظ وتفتتح بها الخطب أو الدروس ، لذلك سـار السيوطي على سنن شيخه البلقيني الذي كان يسير على سنن أبيه وأخيه في الافتتاح بها ، وسرّ البلقيني من افتتاح الدرس بخطبة الإمام الشـافعي ، ولم يحدثنا السيوطي عن وقع درسـه على نفوس الناس ، ويبدو أنه كان راضياً عن نفسه ، مطمئناً إلى ما قدّمه بين يدي شيخه وحضور درسه من الفضلاء والشيوخ .

لم يحدثنا السيوطي عن دروسه ولا عن تلاميذه في هذه المرحلة ، بل إنه أصرَّ في سيرته على أنه لم يتوانَ في طلب العلم ، وفي السعي إلى مجالسه ،

---

(٣٨) المرجع السابق : ص ١٨ .

(٣٩) كتـاب الرسـالة للإمام محمد بن إدريس الشـافعي ١٥٠ – ٢٠٤ هو أول كتاب ألف في أصول الفقه . قال الشيخ أحمد محمد شاكر : بل هو أول كتاب ألف في أصول الحديث أيضاً . انظر الرسالة : المقدمة : ١٣ .

وفي إقذاء الجفون بالسهر لتحصيل أوابده وجمع شوارده ، وكان – رحمه الله – يتبع نظاماً صارماً في حضور مجالس العلم ، فإنه لم ينقطع عن دروس شيخه البلقيني إلى أن توفي ، ولعلّه من المفيد أن أدع السيوطي يتحدث عن نظامه قال :

« واستمررت بعد ذلك – بعد الإجازة – ملازماً لدروس شيخنا شيخ الإسلام ، فلم أنفك عنه إلى أن مات ، وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشُمُنّي(٤٠) ، فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة : السبت والاثنين والخميس . وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين(٤١) بكرةً ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافِيَجي »(٤٢) وواضح أن السيوطي بعد أن ألقى درسه الأول لم يتفرّغ للتدريس ، وربما كان درسه الذي ألقاه مجرد إشعار بكونه مجازاً ثم تابع طلب العلم ، ربّما كان يدرّس درساً كل أسبوع أو درسين ؟ ولكن لا سبيل إلى الجزم بذلك ، كلّ ما يمكن أن نؤكده أنه كان منصرفاً إلى الشيوخ وإلى طلب العلم ، فقد ذكر اشتغاله على الشيخ شمس الدين

(٤٠) الشُمُنّي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري (٨٠١ – ٨٧٢هـ) . حسن المحاضرة ١ : ٤٧٤ وبغية الوعاة ١ : ٣٧٧ .

(٤١) سيف الدين الحنفي : محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري (٨٠٠ – ٨٨١هـ) انظر حسن المحاضرة ١ : ٤٧٨ وبغية الوعاة ١ : ٢٣١ وشذرات الذهب ٧ : ٣٣٢ .

(٤٢) النص من بهجة العابدين ص ١٨ – ١٩ (نسخة جستربيتي) ومحيي الدين الكافِيجي هو محمد بن سليمان بن سعد قال عنه السيوطي : أستاذ الدنيا في المعقولات . ولد قبل سنة ثمانمائة وتوفي سنة ٨٧٩هـ . حسن المحاضرة ١ : ٥٤٩ .

الحنفي خازن الكتب بالشيخونية ، وعلى قاضي طرسوس علاء الدين[٤٣] ، كما لزم دروس شيخ الإسلام شرف الدين أبي زكريا يحيى بن محمد المناوي[٤٤] قاضي القضاة ودروس العلّامة سيف الدين محمد بن محمد الحنفي وسمع عليه : الكشاف والتوضيح وحاشية الشيخ عليه ، وشرح الشذور وتلخيص المفتاح والعضد[٤٥] ، كما أنه لزم دروس الشيخ محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافِيجي الحنفي الرومي ، فأخذ عنه الفنون قراءةً وسماعاً من تفسير وحديث وأصول دين وأصول فقه وعربيةٍ ومعان ، وسمع عليه الكشاف وحواشيه والمغني وحاشيته[٤٦] وغير ذلك من الكتب ، وكانت ملازمة السيوطي لشيخه هذا أربعة عشر عاماً واستفاد منه كثيراً ، قال « مادخلت إليه يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة[٤٧] » وهذا الشيخ أجاز السيوطي بتدريس سائر

---

(٤٣) ذكره صاحب بهجة العابدين نقلاً عن السيوطي ص ١٩ والنص في التحدث بنعمة الله ٢٤١ .

(٤٤) انظر الحاشية ١٩ .

(٤٥) الكشاف للزمخشري ، والتوضيح لابن هشام ، وهو المعروف بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . (كشف الظنون ١ : ٥٠٨) . وشرح الشذور في النحو لابن هشام ، وتلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني وهو في المعاني والبيان والبديع ، أما العضد فيبدو لي أنه يقصد به العقائد العضدية لعضد الملّة والدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ . وإذا كانت كلمة « العضد » قد حرّفت عن العضدي فالمقصود بها كتاب الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي المتوفى ٣٧٧هـ .

(٤٦) المغني هو مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ، وعليه حواشٍ كثيرة .

(٤٧) التحدث بنعمة الله ٢٤٤ .

الفنون ، وقرره مدرساً للحديث بالشيخونية بعد وفاة الفخر المقسي[٤٨] .

وفي أثناء ملازمة السيوطي للكافيجي ، ظهرت من السيوطي بوادر تدلّ على انصرافه عن علوم المعقول ، وكان الإمام الكافِيجي من كبار العلماء بالمعقولات ، وذكر السيوطي أن شيخه صنّف كتاباً سماه « أنوار السعادة في علوم الكلام » وطلب منه أن يكتب له شرحاً ، لكنّ نفس السيوطي المنصرفة عن هذه العلوم أبت عليه ، وطلب من شيخه أن يعفيه من هذه المهمة ، وهذا الانصراف رغبة عن علم المعقول سيتحول إلى عداءٍ لهذه العلوم عند السيوطي فيما بعد ، وسيؤلف كتابه « صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام[٤٩] » . وتابع السيوطي طلب العلم موزّعاً في كل اتجاه ، فنراه يقرأ في علم الميقات والطب والفقه ، ويلازم الشُّمنّي من أول سنة ٨٦٨هـ ، ويأخذ عنه الحديث والعربية والمعاني ، وذكر أنه قرأ عليه قطعة من « المطوّل »[٥٠] و« التوضيح »[٥١] لا بن هشام ، ولمّا كان السيوطي متعجلاً متلهفاً ليعدّ في المؤلفين ، وليسلك في نظام المصنفين ، فإنه قدّم شرحاً صنّفه على ألفية ابن مالك إلى شيخه الشُّمنّي فقرّظه ، وكذلك فعل لما قدّم له كتابه الآخر « جمع الجوامع في العربية »[٥٢] ولم

(٤٨) الفخر المقسي : عثمان بن عبد الله من فقهاء الشافعية . ورد ذكره في عدة مواضع في كتاب التحدث بنعمة الله : ١٠ ، ٩١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ .

(٤٩) صون المنطق والكلام طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٧ بعناية علي بعناية علي سامي النشار وأعاد نشره سنة ١٩٧٠ في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(٥٠) المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازاني (في البيان والمعاني والبديع) .

(٥١) التوضيح = أوضح المسالك .

(٥٢) جمع الجوامع في العربية : نشر مع شرحه (همع الهوامع) في مصر سنة ١٣٢٧هـ وفي الكويت بتحقيق د . عبد العال سالم مكرم .

ينفكّ السيوطي عن شيخه الشُّمنّي حتّى توفي في ذي الحجة عام ٨٧٢هـ فرثاه بأربع قصائد[٥٣] .

كان السيوطي حريصاً على الإجازات من العلماء ، وعلى السماع منهم والرواية عنهم ، فلا غرابة أن جمع معجماً كبيراً بلغ فيه تعداد شيوخه الذين سمع منهم أو أجازوه أو أنشدوه شعراً نحواً من ستمائة نفس[٥٤] .

وفي عام ٨٦٩هـ اتجه السيوطي إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، ولم يفوّت في هذه الرحلة فرصة اللقاء مع العلماء والسماع منهم ، ومن الطريف أن السيوطي استفاد من الوقت وهو في السفينة ، فعمل على اختصار الألفية نظماً ، واختتم نظمه بقوله :

نظمتها في نحو ثلثي أصلها ولن ترى مختصراً كمثلها
ختمتها بظهر بحر القُلْزم مسافراً للبلدِ المحرّم
وفي ربيعٍ لاح زهر نظمها وفي جمادى فاح مسك ختمها
من عام تسعة وستين التي بعد ثمان مائةٍ للهجرةِ[٥٥]

وبهذه المناسبة ألف كتابه « النحلة الزكية في الرحلة المكية » . وبعد عودته من الحجاز قام برحلة إلى دمياط والإسكندرية وأعمالهما، وتحدث عن هذه الرحلة في كتابه « قطف الزهر في رحلة شهر » والسيوطي لا يهتم بما يشاهده الرحالة عادة ، ولا يهتم بذكر انطباعاته ، فالحياة عنده كلها قراءة وسماع ورواية وإجازة ولقاء رجال ، وكان يطرب ويُسرّ إذا مُدح من قِبل أحد العلماء ، ويروي ما مُدح به ، فقد ذكر في هذه الرحلة أن الشيخ

(٥٣) التحدث بنعمة الله : ٤٣ وبهجة العابدين : ٢٢ .
(٥٤) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .
(٥٥) المرجع السابق : ٨٤ .

الفاضل شمس الدين محمد بن علي العطائي سمع عشارياته وكتبها ، ثم مدح السيوطي وكتب له :

أرى شاباً ما أرى مثله ... في العلم والدين معاً والصلاحْ
تبسّم الثغر به ضاحكاً ... وافترّ عن درّ وشهدٍ وراحْ
شبهته لما بدا مقبلاً ... بالشيخ محيي الدين وابن الصلاح

ولاشك أن السيوطي قد سرّ كثيراً ، وامتلأ عجباً بنفسه ، لما شبّه بمحيي الدين النووي وابن الصلاح الشهرزوري[٥٦] .

ورجع جلال الدين إلى القاهرة ، ونصب نفسه للتدريس في شوال عام ٨٧٠هـ ، وتوافد عليه الفضلاء كما يقول ، وقرؤوا تصانيفه ومنهم من لزمه عشر سنوات ، وأقام بالقاهرة حتى وفاته ، ولم تكن له رحلة إلى غير ما ذكرناه ، أي رحلة الحج ورحلة دمياط والإسكندرية ، وإن أولع المحدَثون واهمين بذكر رحلات له أخر[٥٧] .

وكان السيوطي مولعاً بالحديث النبوي الشريف ، بروايته ودرايته ومصطلحه ، لذلك رأيناه يعقد مجلساً لإملاء الحديث الشريف بالجامع الطولوني[٥٨] ، ويقول : إنه جدد بذلك ماكان انقطع من عشرين سنة ، وجعل مجلس الإملاء بعد صلاة الجمعة ، وكان بدء ذلك يوم الجمعة

(٥٦) ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن ٥٧٧ ــ ٦٤٣هـ توفي بدمشق أحد الفضلاء المقدّمين في الفقه والتفسير والحديث . وهو صاحب كتاب « معرفة أنواع الحديث » المعروف بمقدمة ابن الصلاح .

(٥٧) معظم الذين ترجموا له من المعاصرين وقعوا في هذا الوهم في مقدمات كتب السيوطي التي حققوها . انظر على سبيل المثال : المزهر ٢ : ٦٥٧ . الاقتراح في أصول النحو : ٨٣ ط د . فجّال . معترك الأقران ١ : ز .

(٥٨) الجامع الطولوني : بناه أحمد بن طولون ، وبدأ ببنائه سنة ٢٦٣هـ وفرغ منه سنة ٢٦٥هـ . انظر خطط المقريزي ٣ : ١٤٢ وحسن المحاضرة ٢ : ٢٤٦ .

مستهلّ عام ٨٧٢هـ ، ولم يطل به الحال ، فإنه سرعان ما قطع الإملاء في شعبان سنة ٨٧٣هـ بسبب وقوع الطاعون[٥٩] .. ثم جدد مجلس الإملاء عام ٨٧٤هـ فأملى ثلاثين مجلساً ثم قطع ذلك .

وفي هذه المرحلة نفسها – والسيوطي يعمل موزعاً في شتّى الاتجاهات – بدأ بالإفتاء ، وكان البدء عام ٨٧١هـ أي عندما كان في الحادي والعشرين من العمر . وستتراكم هذه الفتاوى ليجمعها بعد ذلك في مجلدات ثلاثة .

إنه لمن الصعوبة بمكان أن نتحدث عن السيوطي دون الإشارة إلى مؤلفاته ، إن مؤلفاته كانت نسيج حياته ، ومن خلالها وبها كان يؤكد ذاته ويعزز شخصيته ، ومن بداية حياته العلمية أراد أن يكون من المصنفين ، وأن يكون من المحدّثين ، وإلا فما معنى أن يعقد مجلساً لإملاء الحديث سوى أنه كان يتشبه بابن حجر[٦٠] أو بابن عساكر[٦١] ، وظنّ الأمر سهلاً ميسراً ، فعقد المجالس وتصدّرها ، لكن لم تلبث هذه المجالس أن انقطعت ، لماذا ؟ لا ندري ، ولكن نظنّ أن السيوطي والناس الذين يملي عليهم شعروا بعدم جدواها بعد أن تحمّسوا لها تقليداً للسلف الصالح ... وإذا صدّقنا مارمى به السخاويُّ السيوطيَّ من أنه جمع حوله طائفةً من العوام بجامع ابن

(٥٩) صنف السيوطي عدة رسائل في الطاعون منها : رسالة في الطاعون منها نسخة في المكتبة الصديقية بحلب ١٣٨ ومنها ما رواه الواعون في أخبار الطاعون منها نسخة في الظاهرية بدمشق . ١١٥٨ حديث وبدار الكتب المصرية ١٣٣ مجاميع ، ١٠٢ مجاميع وفي ليدن ٢/٤٥٥ والخزانة التيمورية .

(٦٠) انظر التعليق ٨ .

(٦١) ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله . محدّث الديار الشامية (٤٩٩ – ٥٧١) ، انظر طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٧٣ .

طولون ، وأنه صـار يملي على بعضهم ممن لا يحسنُ شيئاً[٦٢] ، كان لدينا سبب آخر وجيه لتعليل وقف مجالس الإملاء .

كانت أمنيـة السيوطي أن يصـل في الفقـه إلى رتبة سراج الدين البلقيني ، وأن يصل في الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر ، لذلك رأيناه – من خلال سيرته – يبالغ في قراءة الفقه وسماع الحديث ، بل يسرع في التصدّر لإملائه ، وقد ذكر أنه شرب ماء زمزم مستعيناً به لأمور من أهمّها أن يصل ببركته إلى رتبة هذين العلَمين في الفقه والحديث[٦٣] .

وكان السيوطي في مرحلة الطلب ، وفي المرحلة التي تلتها ، ملازماً للمدرسة المحمودية ، حتى إنّ السخاوي اتّهمه بالإغارة على كتبها وادعائها لنفسه ، وكان لهذه المدرسة مكانة مرموقة ، قال المقريزي « أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار في سنة ٧٩٧هـ ، ورتّب بها درساً وعمل فيها خزانة كتب ، لا يُعرف اليوم بديار مصر والشام مثلها ، وهي باقية إلى اليوم ، لا يُخرج لأحدٍ منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة ، وبهذه الخزانة كتب الإسـلام من كلّ فن ، وهذه المدرسـة من أحسن مدارس مصر[٦٤] » . وماندري ما نصيب تهمة السخاوي للسيوطي من الصحة ، ولا يمكننا إلا أن نحمل الأمر – وقد غبر الجميع – على أنه ضرب من الطعن الذي تمليه ظروف المعاصرة ، ولكن الحقّ الذي لا يمكن إنكاره ، هو أنّ السيوطيّ استفاد فائدةً عظيمة من هذه المكتبة ، حتّى إنه أراد أن يغيّر شرط الواقف ، وأن يقرزْ السماح بالإعارة إلى خارجها ، وصنف في ذلك « بذل

---

(٦٢) الضوء اللامع ٤ : ٦٦ .

(٦٣) بهجة العابدين : ٢٣ .

(٦٤) خطط المقريزي ٣ : ٣٦٨ .

المجهود في خزانة محمود ».

إذن بدأ السيوطي حياته الرسمية عام ٨٧٢هـ = ١٤٦٧ م عندما تولّى منصب المشيخة في المدرسة الشيخونية ، ثم تولّى مشيخة الصوفية بتربة برقوق[٦٥] نائب الشام وذلك في ربيع الآخر سنة ٨٧٥هـ . وفي عام ٨٩١هـ انتقل إلى مشيخة الخانقاه البيبرسية[٦٦] وقد شغرت بوفاة متوليها ، فوليها السيوطي ، وسأدع السيوطي يحدّثنا بنفسه عن ولايته البيبرسية وعن مواقفه من السلطان ، قال : « ثم شغرت مشيخة الخانقاه البيبرسية بوفاة الشيخ جلال الدين البكري[٦٧] فأرسل إليّ السلطان – ويعني به الأشرف سيف الدين قايتباي[٦٨] (٨٧٢ – ٩٠١هـ) – فطلعت إليه وولاّنيها في ربيع الآخر من السنة ٨٩١هـ ، ولم أطلع إليه بعد ذلك مع إرساله إليّ مرات يطلب مني الطلوع أول كل شهر ، فأجبت قاصدَه بأني أحبّ سلوك طريق السلف ، فإنهم كانوا لا يترددون إلى الملوك إلا المرات اليسيرة في عمرهم ، فلما كان أول المحرم سنة تسع وتسعين [وثمان مئة] أتى قاصده إليّ يذكر أنه رسم بطلوعي إليه ، أنا وجماعة التربة ، فطلعت أنا والجماعة إليه ، ودخلت بطيلساني على العادة ، فقال : أنت مالكيٌّ حتى تتطيلس ؟ لأنه كان يظنّ أن الطيلسان مختصّ بمذهب المالكية ، لكون القضاة الأربعة لا يطلع منهم بالطيلسان إلاّ المالكيّ فقط ، وهذه عادة حدثت قريباً ، وكان

---

(٦٥) برقوق ابن أنص الملك الظاهر (٧٣٨ – ٨٠١هـ) أول من ملك مصر من المماليك الجراكسة .

(٦٦) الخانقاه البيبرسية : انظر خطط المقريزي ٣ : ٤٠٤ وحسن المحاضرة ٢ : ٢٦٥ .

(٦٧) التحدث بنعمة الله ١٦٣ .

(٦٨) قايتباي : الأشرف قايتباي المحمودي . حسن المحاضرة ٢ : ١٢٢ .

في الزمن القديم إلى أيام السُّبكي[٦٩] الطيلسانُ شعارَ القاضي الشافعيّ ، وخاص به من بين القضاة ، وفي طبقات السبكي وغيرها إشارة إلى ذلك . فقلتُ له : الطيلسان سنّةٌ في كلّ مذهب ، لا يختصّ بالمالكية . فقال : هذا تكبّر وتجبّر ، وبالغ في التشديد . فقلت له : معاذ الله ، بل سنّة رسول الله ﷺ ، ثم إنه تأدّب في بقية المجلس ، وأحسن القول ، وصرف المعلوم المنكسر لي وللجماعة ، ثم رجعت من عنده . وكان بعد أيام بلغني أن إمامه إبراهيم بن الكركي قال له : ليس الطيلسان سنّة ، ولو كنت حاضراً وقال لك إنه سنّة ، لقلت له : إنّه سنّة اليهود . فقلت : إن كان ابن الكركي قال ذلك فقد كفر ، ولو كان حاضراً وقال ذلك لكفّرته بحضرته .. ثم ألفتُ مؤلفاً حافلاً سميته : الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان[٧٠] » ويتحدث السيوطي كثيراً عن مجابهته للسلطان ، وتأبيه عليه ، ويعتزّ بذلك ، وما ذلك إلا لأنه كان يعتقد أنّ أولي الأمر في أيامه لا حقَّ لهم بإمرة الأمة ، وأن العلماء – وهو منهم –.هم الأحقّ بولاية هذا الأمر ، ويؤكد ما نذهب إليه ، ما ذكره تلميذه عبد القادر الشاذلي[٧١] أنه كان عنده في جامع

---

(٦٩) السبكي : علي بن عبد الكافي ، تقي الدين ، أبو الحسن ، قاضي القضاة (٦٨٣ – ٧٥٦هـ) ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى لابنه تاج الدين ٦ : ١٤٦ وقد صنعت ترجمة لحياته وجريدة لمؤلفاته ونشرتها مجلة التراث العربي بدمشق ، العدد ١٧ محرم ١٤٠٥/ تشرين أول ١٩٨٤ .

(٧٠) الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان = في وصف .. نشر في القدس بتحقيق أرازي . الجامعة العبرية ١٩٨٦ .

(٧١) عبد القادر بن محمد بن أحمد الشاذلي ، تلميذ السيوطي ، ومصنف كتاب « بهجة العابدين بترجمة الشيخ جلال الدين » توفي بعد سنة ٩٤٥هـ . ففي كتابه بهجة العابدين ص ٩١ ذكر حادثة جرت سنة ٩٤٦هـ . وهذا أصح مما ذكره الزركلي من أن وفاته سنة ٩٣٥هـ . الأعلام ٤ : ٤٣ وإيضاح المكنون ١ : ٢٠٢ .

طولون « عندما أتى إليه نقيب الجيش يونس الطويل وخاطبه على لسان الملك الأشرف قانصوه[٧٢] بسبب شكوى أهل البيبرسية فيه ، وقال له : كلّم السلطان ... فقال الشيخ في الجواب وهو متكئ بذراعه الأيمن على وسادته ، وهو في غاية الرياضة ، لم يتحرك ولم يختلج : مالي وللسلطان ؟ إن كان للسلطان عندي حاجة فليأت إلى عندي .. فقال له نقيب الجيش ثانياً من باب الإغلاظ عليه : أجب وليّ الأمر ، فقال الشيخ : اسكت وإلا أنني أفتي بكفرك وضرب عنقك .. مَنْ هم أولو الأمر ؟ نحن أولو الأمر ، أولو الأمر العلماء .. مثلُك يخاطبني بهذا الكلام ؟! »[٧٣] .

وخلاصة الكلام أن السيوطي ترك مشيخة البيبرسية ولم يعد إليها ، مع أن السلطان قانصوه الغوري عرض عليه أن يكون شيخ مدرسته التي أنشأها بقصبة القاهرة فلم يقبل ، وعرض عليه العودة إلى مشيخة البيبرسية فلم يقبل ، واعتزل الناس منصرفاً إلى التصنيف . قال تلميذه عبد القادر الشاذلي : « فكان – رحمه الله – من الزاهدين في مشيخة الصوفية بالغورية ، وفي مشيخة التصوف بالبيبرسية ، وفي مشيخة الحديث بالشيخونية ، وفي مشيخة التصوف بالبرقوقية .. وترك الجميع وزهد فيها ولم يلتفت إليها ، وكان إذا احتاج إلى شيء من النفقة باع تركته وأكل من ثمنها ، وبعتُ له كتباً كثيرة على يدي ، ولم يسأل مخلوقاً في شيء من أمر الدنيا ، ولم يُعلم بحاله أحداً »[٧٤] وقضى السيوطي ما تبقّى له من أيامه في بيته يؤلف

(٧٢) قانصوه السلطان الغوري بن عبد الله الجركسي . بويع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٥هـ . هزم أمام السلطان سليم العثماني وقتل في مرج دابق قرب حلب سنة ٩٢٢هـ . در الحبب ج٢ ق١ : برقم ٣٨١ والبدر الطالع ٢ : ٥٤ وشذرات الذهب ٨ : ١١٣ والأعلام ٥ : ١٨٧ .

(٧٣) بهجة العابدين : ٦١ – ٦٢ .

(٧٤) المرجع السابق : ٦٠ .

ويصنّف ، ويتردد عليه تلامذته والراغبون في علمه ، حتى كان ثاني عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ إذ داهمه المرض ، وكان ورماً شديداً في ذراعه اليسرى ، ومكث على ذلك سبعة أيام ، وتوفي سحرَ ليلة الجمعة في التاسع عشر من الشهر المذكور ، بمنزل سكنه وملكه بروضة مصر ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وصلّى عليه الناس بجامع الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة ، وصلّى عليه مرةً ثانية خلائق كُثر بسبيل المؤمنين ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن بحوش قوصون بخطّ باب القرافة في قبر والده الشيخ كمال الدين[٧٥] . ولما وصل نبأ وفاته إلى دمشق صلى عليه الناس فيها صلاة الغائب[٧٦] .

هذه سيرة السيوطي بإيجاز ، لم أعرض فيها لعلاقاته مع علماء عصره ، ولم أعرض لمؤلفاته ، ولم أتطرّق إلى تحليل دوافعه ورغباته في حياته ، ولم أناقش ما قيل فيه من مدح أو قدح .. لذلك كله رأيت أن أستوفي شيئاً ما مما أشرتُ إليه فيما يلي من هذا المقال .

إن من أقوى ما امتلأت به نفس السيوطي ، وفاض على قلمه رغبةً وتوقعاً ، وكاد يكون ادعاءً ، هو أنه مجدّد القرن التاسع ، وكان كثير اللهج بهذه الرغبة ، وفكرةُ مجدد القرن تستند إلى حديث نبويّ فحواه أن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة مَنْ يجدد لها أمر دينها ، وهذا المجدد لا يكون إلا مجتهداً ، فمن البدهي إذن أن تبدأ القضية بدعوى الاجتهاد ، وادّعاء الاجتهاد ليس سهلاً ، ولا يتمّ التسليم لصاحبه به إلا بعد لأي ، فكيف تمّ

(٧٥) المرجع السابق : ٨٤ .

(٧٦) مفاكهة الخلان ١ : ١٦٣ وذكر خطأ أنهم صلّوا عليه عام ٩٠٠ والصواب ماورد في الكتاب نفسه في أحداث ٩١١هـ .

للسيوطي ادّعاء الاجتهاد ، وهل سلّم له علماء عصره بما أراد ، وكيف بدأ ذلك ؟

في عام ٨٨٨هـ كان السيوطي يخوض جدالاً مع أحد علماء عصره في مسائل(٧٧) ، وانحرف الجدال إلى خلاف وتحول إلى ما يشبه الشجار ، وأخذ كل واحد من المتجادلين يطعن في الآخر ، وكان على رأس المشاحنين الشيخ الجوجري شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد ، فلمّا استهلّ عام ٨٨٩ ، والأقوال تكثر في السيوطي ، والضجة حوله قائمة ، أثار خصومه قضية دعوى الاجتهاد ، ودعوه إلى المناظرة ، فرفض بحجّة أنه مجتهد وهم مقلدون ، والمجتهد لا يناظر إلا مجتهداً ، فاشتدّت الثائرة عليه حتى قدم الشيخ عبد القادر الطحطوطي وسعى بالصلح(٧٨) .. ووضّح السيوطي أنه لم يصرّح بدعوى الاجتهاد علناً ، وإنما ذكرها أولاً في بعض الكتب ، فلما أشهر هذا الأمرَ خصومُه ، عَدَّ ذلك نعمةً من الله يجب التحدث بها ، ورفع عقيرته بدعوى الاجتهاد في مواضع من كتبه ، وبدعوى التفرد في مقدمات كتب أخر ، ثم حدّد تبحره في سبعة علوم ، قال : « قد رزقت – ولله الحمد – التبحّر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة ، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الفرائض والإنشاء

---

(٧٧) التحدث بنعمة الله ١٨١ وكان الخصام مع الشيخ الجوجري شمس الدين محمد بن عبد المنعم المولود سنة ٨٢١هـ ، التحدث : ١٨٣ .

(٧٨) المرجع السابق ١٩٤ .

والترسّل[٧٩] » وتابع السيوطي تعداد العلوم التي أتقنها ولكن دون الأُول ، كالفرائض والقراءات والطب ، وذكر كراهيته لعلم الحساب وثقله على نفسه وضيق أخلاقه به ..

وذكر السيوطي العلوم التي بلغ فيها رتبة الاجتهاد المطلق ، فإنه بلغ هذه المرتبة في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبويّ وفي العربية ، وقلّ أن تجتمع صفة الاجتهاد في هذه الثلاثة لأحد ، وقد وصف بالاجتهاد المطلق أناس لم تجتمع فيهم هذه الأمور كما اجتمعت لدى السيوطي ، وعدّ منهم أبا إسحاق الشيرازي[٨٠] وأبا نصرٍ بن الصباغ[٨١] وإمام الحرمين[٨٢] وحجة الإسلام أبا حامد الغزالي[٨٣] .

وتمكنت دعوى الاجتهاد في نفس السيوطي وترعرعت ، ولم تلبث أن نبتت منها فكرة المبعوثية ، وهي أمنية ما زال السيوطي يرددها في نفسه حتى جهر بها في مواضع ، وتمنى أن يكون هو المبعوث على رأس المائة ليجدد للناس أمر دينهم ، واحتج بما رواه أبو داود في سننه والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة

---

(٧٩) المرجع السابق ٢٠٣ .

(٨٠) أبو إسحاق الشيرازي : إبراهيم بن علي العلاّمة المناظر (٣٩٣ - ٤٧٦هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٨٨ والأعلام ١ : ٥١ .

(٨١) أبو نصر بن الصباغ : عبد السيد بن محمد (٤٠٠ - ٤٧٧) ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٣٠ ونكت الهميان ١٩٣ والأعلام ٤ : ١٠ .

(٨٢) إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله الجويني أبو المعالي (٤١٩ - ٤٧٨هـ) ، طبقات الشافعية ٣ : ٢٢٩ والأعلام ٤ : ١٦٠ .

(٨٣) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، حجة الإسلام ٤٥٠ - ٥٠٥ طبقات السبكي ٤ : ١٠١ والأعلام ٧ : ٢٢ .

سنة من يجدّد لها دينها[٨٤] » . قال الحافظ أبو الفضل العراقي[٨٥] في تخريج أحاديث الإحياء[٨٦] : إسناده صحيح . وعدد السيوطي مَنْ يعتقد أنهم مجددو الدين خلال القرون الخالية ، فكان أولَهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز[٨٧] في رأس المائة الأولى ، والإمام الشافعي محمد بن إدريس[٨٨] في المائة الثانية ، وأبو العباس بن سريج[٨٩] في الثالثة ، أما مجدد المائة الرابعة فقد اختلف في تحديده ، فذهب بعضهم إلى أنه الشيخ الإمام أبو حامد الإسفرائيني[٩٠] وبعضهم ذهب إلى أنه الأستاذ سهل بن أبي سهل الصُّعلوكي[٩١] ، ومجدد الخامسة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي[٩٢] ، ومجدد السادسة الإمام فخر الدين الرازي[٩٣] ومجدد السابعة تقي الدين بن

(٨٤) الحديث في شرح الجامع الصغير ١ : ١٢٥ عن أبي داود والحاكم ، وعن البيهقي في المعرفة عن أبي هريرة . حديث صحيح .

(٨٥) أبو الفضل العراقي : عبد الرحيم بن الحسين ، زين الدين ت ٨٠٦هـ .

(٨٦) طبع كتابه المذكور بذيل كتاب إحياء علوم الدين للغزالي . ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٨٧) عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين (٦١ ــ ١٠١هـ) . تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥ والأعلام ٥ : ٥٠ .

(٨٨) الشافعي محمد بن إدريس (١٥٠ ــ ٢٠٤هـ) . طبقات الشافعية ١ : ١٨٥ والأعلام ٦ : ٢٦ .

(٨٩) أبو العباس بن سريج : أحمد بن عمر (٢٤٩ ــ ٣٠٦هـ) فقيه الشافعية في عصره . طبقات الشافعية ٢ : ٨٧ والأعلام ١ : ١٨٥ .

(٩٠) أبو حامد الإسفرائيني : أحمد بن محمد (٣٤٤ ــ ٤٠٦هـ) ، طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ والأعلام ١ : ٢١١ .

(٩١) الصُّعلوكي : سهل بن محمد بن سليمان ت ٣٨٧هـ . الأعلام ٣ : ١٤٣ .

(٩٢) انظر التعليق ٨٣ .

(٩٣) فخر الدين الرازي : محمد بن عمر (٥٤٤ ــ ٦٠٦هـ) الإمام المفسّر . طبقات الشافعية ٥ : ٣٣ والأعلام ٦ : ٣١٣ .

دقيق العيد[٩٤] ، أما مجدد الثامنة فهو الإمام سراج الدين البلقيني[٩٥] أو ناصر الدين بن بنت الميلق الشاذلي[٩٦] أو زين الدين العراقي ، وذلك لأن « تعيين المجدد إنما هو بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه[٩٧] » ويقول السيوطي عن نفسه بعد ذلك : « فنحن الآن في سنة ست وتسعين وثمانمائه ، ولم يجئ المهديّ ولا عيسى ولا أشراط ذلك ، وقد ترجّى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكونه المجدد على رأس المائة ، وما ذلك على الله بعزيز[٩٨] » وكرر هذه الفكرة أو لنقل هذا الهاجس في مواضع عدة ، منها ما ورد بصيغة الترجي ، ومنها ما ورد بصيغة الادعاء ، ففي رسالته « رسالة فيمن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة » يقول : « إني ترجيت من نعم الله وفضله ، كما ترجى الغزالي لنفسه ، أني المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة لانفرادي عليها بالتبحّر في أنواع العلوم .. وقد اخترعت علم أصول اللغة وورّثته ، ولم أُسبق إليه ، وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه ، وصارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور وامتدت إلى البحر المحيط ، ولا مشاركة لي في مجموع

---

(٩٤) ابن دقيق العيد : محمد بن علي (٦٢٥ – ٧٠٢هـ) . الأعلام ٦ : ٢٨٣ .

(٩٥) سراج الدين البلقيني : عمر بن رسلان (٧٢٤ – ٨٠٥) . حسن المحاضرة ١ : ٣٢٩ .

(٩٦) ناصر الدين بن الميلق . قاضي القضاة محمد بن عبد الدائم (٧٣١ – ٧٩٧) حسن المحاضرة ١ : ٥٢٧ .

(٩٧) التحدث بنعمة الله : ٢٢٥ .

(٩٨) المرجع السابق : ٢٢٧ .

ما ذكرته[٩٩] » فالرجل يربط بصراحة بين كثرة مصنفاته وتنوعها وبين كونه مبعوث المائة التاسعة ، وكأن استقرار هذه العقيدة في نفسه كان يدفعه إلى الإكثار من التأليف وإلى تنويعه .. وفي كتابه « الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف » وصل إلى حدّ الادّعاء صراحة بأنه المبعوث على رأس المائة التاسعة قال : « فإنّ ثم من ينفخ أشداقه ويدّعي مناظرتي ، وينكر عليّ دعوى الاجتهاد والتفرّد بالعلم على رأس هذه المائة ، ويزعم أنه يعارضني ، ويستجيش عليّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ، ونفخت عليهم نفخةً صاروا هباءً منثوراً[١٠٠] » .

إنّ مثل هذه الشخصية في مثل ذلك العصر لن يسلّم لها أقرانها بما تدّعيه ، ولن يقبلوا منها مثل هذا الادّعاء الذي يحمل كل معاني الكِبْر والإدلال ، فلا عجب أن طعن بعض معاصري السيوطي في علمه ، ونسبوه في تصانيفه إلى سرقة ما لغيره ، ولم يكن قلمه متواضعاً ولا رفيقا ، بل إنه كان إلى العنف والقسوة أقرب منه إلى الرفق ، فتراه يصنّف مثلاً « الكاوي لدماغ السخاوي » والسخاوي في طبقة شيوخه[١٠١] ، بل إن السيوطي تردد عليه في أول الطلب ، وتراه في أمر يسير يتطاول على علماء عصره ، فقد ذكر أنه سئل عام ٨٨٨هـ عن قوله « وإليك نسعى ونحفد » هل هو بالدال المهملة أو بالذال المعجمة ، فكتب أنه بالدال المهملة ، فشنّع عليه الجاهل – كما يقول – وأتباعه زاعمين أنها بالذال المعجمة ، فكتب السيوطي قائلاً « فانظروا بالله إلى هؤلاء الذين عاشوا في بلاد المسلمين ستين سنة ،

(٩٩) عن مقدمة نظم العقيان التي كتبها الدكتور فيليب حتي .

(١٠٠) المرجع السابق .

(١٠١) السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (٨٣١ – ٩٠٢) ، الضوء اللامع ٨ : ٢ والأعلام ٦ : ١٩٤ .

وهم يلحنون في قنوتهم وصلاتهم ، ولا يحسنون التلفظ فيها ، ومع ذلك يعتمّون بعمائم الفقهاء ، ويمدّون ألسنتهم للإنكار على أساطين العلماء[١٠٢] » – يعني نفسه – .

وخلاصة القول إن اعتداده الشديد بنفسه ، وزهوه بها ، والمباهاة بعلمه ، والإدلال باطلاعه ، ورمي غيره بالجهل ، كلها أمور أفسدت عليه قلوب أقرانه فمنهم من عفّ وغض الطرف ونزه لسانه وصان قلمه عن الخوض في السيوطي ، ومنهم من كال له بكيله ، وردّ عليه وجابهه .. ونستطيع اليوم أن نقول وقد فصلت بيننا وبينهم مئات السنين : إن ادّعاءات السيوطي لم تكن محتملة ، وهي الآن ليست محتملة ، كما أنّ تكبّره على أقرانه الذين يساوونه علماً وفضلاً وخلقاً أو يفوقونه بلا ادعاءٍ منهم ، لم يكن مستساغاً وليس الآن مستساغاً ، كما أنّ مايدّعيه في مقدّمات بعض كتبه من ابتكار لعلم أصول النحو أو علم أصول اللغة أو غيرها ، إنما هو مجرد كلام تشتمل عليه مقدمة الكتاب ، فإذا ما رجعت إلى موضوعات الكتاب وفحصت عنها ، لم تجد له فيها شيئا ، إلا بعض الترتيب والتنسيق في بعض منها ، فهي فصول وصفحات منقولة ومجموعة من هنا وهناك كما ينصّ هو نفسه على ذلك ، وأوضح مثال نقدّمه كتابه « الاقتراح في علم أصول النحو[١٠٣] » فإنه صرّح في مقدّمته أنّ هذا الكتاب « لم تسمح قريحة

---

(١٠٢) التحدث بنعمة الله : ١٨١ .

(١٠٣) الاقتراح في أصول النحو وجدله : طبع في الهند مرتين ١٣١٠ و ١٣٥٩هـ ونشر بحلب مصوراً عن طبعة الهند . ثم نشر في القاهرة بتحقيق أحمد محمد قاسم ١٣٩٦هـ وفي كلية الآداب بإستانبول بتحقيق أحمد صبحي فرات . ثم نشر بتحقيق الدكتور محمود فجّال في السعودية وصدر عن مطبعة الثغر ١٤٠٩هـ . ونشر أيضاً كتاب الإصباح في شرح الاقتراح تأليف الدكتور فجال بدار القلم بدمشق ١٤٠٩هـ .

بمثـاله ، ولم ينسج نـاسج على منـواله ، في عـلم لم يسبقـه أحد إلى ترتيبه[١٠٤] » . وعلماء العربية من عصر السيوطي إلى عصرنا هذا ، يعرفون أن أبا البركات كمال الدين بن الأنباري ، كان هو السبّاق في كتابه « لمع الأدلة في أصول النحو[١٠٥] » وكان السيوطي بذلك عارفاً ، لأنه نقل من هذا الكتاب ثمانية عشر فصلاً بتمامها ، ثم أعقبها بنقولٍ من « الخصائص » لابن جني . وبذلك انتهى الكتاب ، وتبحث في هذه الفصول عن السيوطي وعن رأي له بسيط ، فلا تجده ، لأنه ليس له إلاّ المقدّمة ، وقل مثل ذلك أو قريباً منه في كتابه العظيم الذي جمع فيه فأوعى ، وهو « الإتقان في علوم القرآن » .

ومما له دلالة على طبعه ، وعلى ما اشتمـلت عليه نفسـه من كبر وزهو ، ما حدث للإمام القسطـلاني معه ، والقسطلاني هو الإمام شيخ الإسـلام شهاب الدين ، كانت سنّه مقاربةً لسنّ السيوطي ، فقد كانت ولادته عام ٨٥١هـ ، وكان السيوطي يزعم أن القسطلاني يغير على كتبه ، ويسرق منها – وهما ينهلان من المناهل نفسها – ولم يكن من القسطلاني إلا أن قصد إليه من القاهرة إلى مقر سكنه بالروضة حافياً مكشوف الرأس ، وقرع عليه الباب فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليّ . فقال له : قد طاب خاطري عليك . ولم يفتح له الباب ولم يقابله[١٠٦] .

(١٠٤) الاقتراح ١١٧ طبعة الدكتور فجّال .

(١٠٥) لمع الأدلة : نشره الأستاذ سعيد الأفغاني مع كتاب الإغراب في جدل الإعراب بجامعة دمشق .

(١٠٦) انظر مقدمة المحقق لكتاب « لطائف الإشارات لفنون القراءات » ١ : ١٣ .

وبعـد ، ومهمـا يكن من أمر ، فـإن صغـائر الأمور بددتها دورة الدهر ، ولم يبق من كِبْر السيوطي وزهوه إلا الحبر والورق ، وعلاقاته مع أقرانه غبرت فيا غبر ، ولم يبق بعدهم إلا أعمالهم وآثارهم التي عمّ الانتفاع بهـا إلى يوم النـاس هذا ، ولا تزال كتب السيوطي إلى يومنـا هذا مرجع العـلمـاء ، رحمه الله رحمةً واسعة ، وسبحانه عزّ من قائل : ﴿ فأمّا الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾[١٠٧] .

(١٠٧) الرعد ١٣/١٧ .

السيوطي والدعوة إلى الاجتهاد

الدكتور وهبة الزحيلي

مدخل :

كان من أبرز أعلام الإسلام وعلمائه رجال وضعوا علوماً جديدة مبتكرة ، من مثل علم الاجتهاد ، وعلم أصول الفقه وأصول الحديث ومصطلحه وحفظ الحديث النبوي سليماً من الوضع والدخيل والضعيف .

وكانت فتاوى رسول الله ﷺ جوامع الأحكام ، ومنار العلماء في تعرُّف أحكام الوقائع التي لا نص فيها ، وتتطلب فهماً سريعاً ، وحلاً مقبولاً لها ، لتكون منسجمة مع أصول التشريع الإسلامي .

وسار على نهج النبي ﷺ صحابته الكرام ، فكان كبار الصحابة سادة الأمة وأئمتها وقادتها في كل شيء ، وبخاصة في ميدان الاجتهاد ، واستنباط الأحكام الشرعية ، وضبط قواعد الحلال والحرام ، فهم سادات المفتين والعلماء . منهم المكثرون في الفتوى وأشهرهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر . والمتوسطون منهم في الفتيا ثلاثة عشر : أبو بكر الصديق ، وأم سَلَمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخُدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفّان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، وسعد بن أبي وَقّاص ، وسَلْمان الفارسي ، وجابر بن عبد الله ،

ومعاذ بن جبل . والباقون من الصحابة مقلون في الفتيا ، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان ، مثل أبي الدرداء ، وأبي اليسر ، وأبي سَلَمة المخزومي ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وغيرهم .

ويلحق بفئة المتوسطين في الفتيا طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حُصين ، وأبو بَكْرة ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية بن أبي سفيان .

وانتشر الدين والفقه والعلم في الأمة في المشارق والمغارب من بلاد الإسلام عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عمر ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، من فقهاء التابعين .

وقامت في العصر الأموي ، بالرغم من كثرة الفتن والثورات الداخلية والحروب الكثيرة فيه ، ما يعرف بمدرسة الحديث في الحجاز ، ومدرسة الرأي في العراق ، وتزعم فقهاء التابعين لواء هاتين المدرستين ، وأئمة المذاهب الاجتهادية من بعدهم في عهد الدولة العباسية ، فكان أبو حنيفة رحمه الله إمام أهل الرأي ، وكان مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله أئمة أهل السنة والحديث .

وقد ازدهرت الحركة العلمية الاجتهادية على يد هؤلاء وتلامذتهم ، وأبدع الفكر الإسلامي في القرون الثلاثة الهجرية الأولى وإلى نهاية القرن الرابع ثروة فقهية خصبة شاملة وكان باب الاجتهاد مفتوحاً لمن توافرت فيه أهلية الاجتهاد ، وتبوأ المكانة العلمية الرفيعة التي تمكن بها من استنباط الأحكام الجديدة للوقائع والحوادث الطارئة ، ووثق الناس بعلمه وفتياه وطريق اجتهاده .

وكان الفقه الصحيح متمثلاً في أئمه الأمصار الخمسة : وهم مالك

بالمدينة ، والشافعي بمكة ، وأبو حنيفة بالعراق ، والأوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر . وتابعهم آخرون مثل أبي ثور وابن جرير الطبري ، وأحمد بن حنبل ، وداود الظاهري ، وكان لهؤلاء الأئمة تلاميذ بلغوا رتبة الاجتهاد .

ثم جاء من بعدهم من منتصف القرن الرابع إلى أواخر القرن الخامس فئة اجتهدت في نطاق المذاهب ، وخرّجت على أقوال الأئمة أحكاماً لمسائل لم تكن لدى السابقين . وتبع هؤلاء علماء عكفوا على تدوين المذاهب وتحريرها وبيان الراجح والمفتى به ، مع أنهم كانوا أهلاً للاجتهاد ، واستمر الحال على مضامين هذه الكتب المدونة منذ القرن السابع والثامن إلى الآن .

ومن أواخر القرن السابع والثامن كان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إمامي الاجتهاد في بلاد الشام . ولمع في القرن التاسع في مصر ابن حجر العسقلاني الذي أفتى في قضايا متعددة ، وتابعه تلاميذه ، ومن أشهرهم وأخصهم جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر : ٨٤٩ – ٩١١هـ الموافق ١٤٤٥ – ١٥٠٥م) الذي استقل بالفتوى على نحو كبير ، وندد بالتقليد ، وتأثر به علماء في المذهب الحنفي في القرنين العاشر والحادي عشر ، كأبي السعود وخير الدين الرملي ، وجماعة من علماء الهند واضعي الفتاوى الهندية .

وكان هناك تنافس واضح بين الأستاذ والتلميذ في ميدان الاجتهاد ، وكانت كتب هؤلاء المتأخرين من العلماء مترعة بصور حية من الاجتهاد ، وهي كتب ابن تيمية وابن القيم والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وابن سيد الناس وزين الدين العراقي وابن حجر العسقلاني والسيوطي ، إذ كل واحد من هؤلاء الأعلام الستة تلميذ من قبله ، وهو مثله في الإحاطة بعلوم

الاجتهاد .

وهذا دليل واضح على أن ما بعد انتهاء القرن الرابع الهجري حيث أُغلق باب الاجتهاد سداً للذرائع ، وحماية للأمة من الانقسام الديني والفكري وجاء دور التقليد ، كان الاجتهاد الفردي فيه قائماً على قدم وساق ، ومغطياً كل ما تحتاجه الأمة لمعرفة أحكام الحوادث المتجددة والقضايا الطارئة ، بل والترجيح بين أقوال الأئمة السابقين وآرائهم .

ومما لا ريب فيه أن السبق الزماني ، وازدهار العصر ، ونمو الحركة العلمية في عهود الصحابة والأمويين والعباسيين ، كان له كله تأثير واضح في علو كعب الاجتهاد . فإذا كان الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الإسلامية مجددين تجديداً شاملاً ، ولهم فضل السبق في إبداع أصول الاجتهاد ، فإن من جاء بعدهم لم يجد السبيل أمامه مفتوحاً في نطاق الأصول التي وضعها هؤلاء ، فاتجه إلى إعمال تلك الأصول والقواعد الكلية التي نضجت وتبلورت ودونت ، لمعرفة حكم الجديد من المسائل ، فكان للمتأخرين تجديد جزئي إذا قيس بالتجديد الكلي الشامل للأئمة المتقدمين العظام ، وكان لهم أيضاً مزية فريدة هي التصنيف والتأليف والجمع والتدوين ، والموازنة بين الآراء الفقهية والاجتهادات السابقة ، وهذا عمل عظيم بنَّاء . وكان في كل عصر بعد القرن الرابع نخبة متميزة من مجتهدي المذاهب .

وكان السيوطي رحمه الله في القرن التاسع وأوائل العاشر من أبرز هؤلاء العلماء المجددين ، ومن طليعة العلماء المكثرين في التصنيف والتأليف ، فهو الإمام الحافظ المؤرخ اللغوي الأديب ، الذي له نحو ٦٠٠ ستمائة مصنف ، أكثرها وصل إلينا ، كالجامع الصغير والجامع الكبير في الحديث النبوي ، واللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، والإتقان في

علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، والأشباه والنظائر في الفروع ، والأشباه والنظائر في اللغة ، والألفية في مصطلح الحديث ، وتاريخ الخلفاء . ومنها المفقود الذي لم يصل إلينا مثل « تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع في الفروع » كما ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون .

وهذه الثروة العلمية الضخمة من مصنفات السيوطي رحمه الله تجعله قميناً بأن يوصف بأنه « مجدد الدعوة إلى الاجتهاد » بعد إغلاق بابه ستة قرون من نهاية القرن الرابع إلى القرن العاشر ، وتجديد الدعوة إلى الاجتهاد كفيل وحده بمعرفة قدر السيوطي ، واستنارة عقله ، وتحرر فكره وإخلاصه لدينه وشرع ربه .

وبحثي هذا محصور في بيان معالم فكر السيوطي التي ضمنَّها كتابه العظيم « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » .

وقد رأيت أن أمهد لهذا البحث بدراسة موجزة لشخصية المؤلف بصورة عامة (قسم أول) ثم أتناول بشيء من التعمّق دراسة كتابه الذي هو موضوع البحث .

القسم الأول

شخصية السيوطي :

هذا القسم مخصص لدراسة المباحث التالية :

١ ـ تعدد العلوم التي برع فيها السيوطي :

كان السيوطي رحمه الله متعدد الجوانب والآفاق العلمية ، بارعاً في علوم اللغة والشريعة والأدب والتاريخ ، محلّقاً في بيانها ، مجدداً في إيضاحها ، مبسّطاً معانيها ، مبيِّناً أهدافها وغاياتها . يقول عن نفسه في هذا المجال :

« رُزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع » . وقد فاق في بعضها أشياخه ، وصار حجة فيما لم يأخذه عن المشايخ ، فقال مبيناً ذلك : « والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العوم السبعة ، سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخي ؛ فضلاً عمن هو دونهم . وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخي أوسع نظراً وأطول باعاً » .

ومما يؤكد براعته في العلوم المذكورة ، ووضوح أفكارها ، وانكشاف معانيها أنه قال : « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرت على ذلك من فضل الله »[1] .

٢ ـ موطنه ومزايا عصره :

عاش السيوطي في القاهرة عاصمة الخلافة في ظل الحكم المملوكي ، وعاصر دولة الجراكسة (٧٨٤ ـ ٩٢٢هـ) ونبغ في عصره غير واحد من العلماء كابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ) وهو أستاذه ، وابن عربشاه (٨٥٤هـ) والعيني شارح البخاري (٨٥٥هـ) وأبي المحاسن (٨٧٤هـ) والحافظ السخاوي (٩٠٢هـ) وميرخند (٩٠٣هـ) وابن إياس (٩١٥هـ) .

وانتقلت النهضة العلمية بسقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ إلى مصر ، وهاجر إليها العلماء والأدباء ، وغصَّت المدارس بخزائن الكتب من نفائس المصنفات . وما أشبه عصره بعصرنا الحاضر ، فإنه عُرف بعصر المجاميع والمعاجم والمَعْلَمَات (الموسوعات) . وقد تهيأ بذلك

(١) حسن المحاضرة ١/٣٣٥ ـ ٣٣٩ .

للسيوطي الوسط العلمي الزاخر من العلماء والمكتبات والمدارس ، وتوافرت روح المنافسة في بيئته بسبب الحسد ومحاولة كل عالم التفوق على أقرانه .

٣ ـ رتبته العلمية وإمامته في الفقه وغيره :

الذي أراه أن الجلال السيوطي إمام في التفسير والحديث والفقه واللغة ، صنف في كل واحد من هذه العلوم تصانيف مبتكرة ، وهو بالإضافة إلى عمله المعجمي والموسوعي ، والمقارنة بين المذاهب في القواعد الفقهية في كتابه « الأشباه والنظائر في الفروع عند الشافعية » يعد في تقديري مجتهداً مذهبياً في دائرة المذهب الشافعي .

٤ ـ اجتهاده وآراؤه :

ادعى السيوطي لنفسه بلوغه رتبة الاجتهاد ، ولكن لم يسلّم له ذلك كثير من العلماء المعاصرين ، وكثر الجدل حول هذه الدعوى ، وقال عن نفسه :

ولما بلغت درجة الترجيح ، لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي وإن كان الراجح عندي خلافه .

ولما بلغت درجة الاجتهاد المطلق ، لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كما كان القفّال وقد بلغ رتبة الاجتهاد ، يفتي بمذهب الشافعي لا باختياره .

والحق أن إطلاق لفظ « الإمام » ولفظ « المجتهد » على إنسان عالم ينبغي التروي فيه ، لأن الإمام أو المجتهد هو الذي يبتكر قواعد وأصولاً لنفسه ، يعتمد عليها في اجتهاده ، فلا يقلد غيره في الأصول ولا في الفروع . والسيوطي وأمثاله من المتأخرين لم يبتكروا قاعدة أصولية مطلقاً ، وإنما التزموا أصول أئمتهم ، مما يجعل الواحد منهم في مرتبة « المجتهد المنتسب

في المذهب » وهو الذي يقلد إمامه في الأصول ، وقد يخالفه في الفروع ، ولا يقال لأحدهم « إمام » إلا بالمعنى اللغوي أي المؤتم به ، القدوة في علمه وعمله ، لا بالمعنى الاصطلاحي .

لذا لا نسلِّم له قوله : فقد بلغت ولله الحمد والمنة رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي وفي العربية . هذا بالرغم من أن الشاعر شمس الدين القادري أقرَّ له بالاجتهاد ، فقال عنه :

إمام اجتهاد ، عالم العصر ، عالم بجامع فضل ، ناسك ، متهجّدُ
فحق له دعوى اجتهاد لأنه هو البحر علماً ، زاخر الملح مزبدُ

٥ ـ تجديده الدعوة إلى الاجتهاد :

لم يساير السيوطي الفكرة السائدة منذ نهاية القرن الرابع الهجري إلى عصره بإغلاق باب الاجتهاد والتزام التقليد ، ولقد أحسن بفكره المتحرر وعقله النيّر إذ قال بفرضية الاجتهاد الدائمة في كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » والذي قسمه إلى أربعة أبواب ، وذكر في مقدمته :

إن الناس قد غلب عليهم الجهل . وعمّهم وأعماهم حب العناد وأصمهم ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ، وعدوه منكراً بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات في كل عصر ، فواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة في كل قطر .

وهذه الدعوة الحرّة تنسجم مع ميله ورغبته الذاتية وادعائه الاجتهاد كما بينا ، وتلتقي بحق مع أصول الشريعة ، ومع مقتضيات المصلحة والحاجة والتطورات الزمنية ، وتتجاوب مع مبدأ خلود الشريعة ووفائها بحاجات الناس وصلاحها لكل زمان ومكان ، وكل ذلك إخلاص لشريعة الله ، وحرص

على بقائها ذات هيمنة كاملة شاملة لجميع الأحداث والوقائع ، وتغطية التطلعات الراغبة في الانضواء تحت مظلة الشريعة في كل مسألة وقضية متجددة أو طارئة .

وأكّد الشوكاني في كتابه « إرشاد الفحول »[1] صحة مقولة السيوطي قائلاً مثله : ومن حَصَر فضل الله على بعض خلقه ، وقصر فهم هذه الشريعة على ما تقدم عصره ، فقد تجرَّأ على الله عز وجل ، ثم على شريعته الموضوعة لكل عباده ، ثم على عباده الذين تعبدهم الله بالكتاب والسنة .

القسم الثاني

دراسة كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض » :

يتضمن هذا الكتاب أربعة أبواب وخاتمة ، نعرض لها تباعاً فيما يلي :

أ ـ أيّد السيوطي دعوته إلى الاجتهاد **في الباب الأول** من كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » بإيراد نصوص العلماء وأقوالهم الدالة على أن الاجتهاد في كل عصر فرض من فروض الكفايات ، وأنه لا يجوز إخلاء العصر منه .

وأول من نصَّ عن ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ثم صاحبه المُزَني ، مبيِّناً كلاهما إيجاب النظر والاجتهاد والنهي عن التقليد . وتبعهما أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي في أول كتابه (الحاوي الكبير) ، ثم (الرُّوياني في البحر) . ونص على الحكم المذكور محيي السنة أبو محمد البغوي في كتابه (التهذيب) ، وهو من أجلّ الكتب المصنفة في الفقه ، قال في أوله :

---

(١) ص٢٢٤ .

العلم ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية . وفرض الكفاية : هو أن يتعلم ما يبلغ رتبة الاجتهاد ومحل الفتوى والقضاء ، ويخرج من عداد المقلدين ، فعلى الناس كافة القيام بتعلمه ، غير أنه إذا قام من كل ناحية واحد أو أثنان ، سقط الفرض عن الباقين ، فإذا قعد الكل عن تعلمه عصوا جميعاً ، لما فيه من تعطيل أحكام الشرع ، قال الله تعالى :﴿ فلولا نَفَر من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌليتفقَّهوا في الدين ﴾ [التوبة :١٢٢] .

وممن نص على ذلك القاضي حسين شيخ البغوي ، والزبيدي فقال :« لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة ، في كل وقت وعهد وزمان ، وذلك قليل في كثير . فأما أن يكون غير موجود فليس بصواب ؛لأنه لو عدم المجتهدون لم تقم الفرائض كلها ، ولو بطلت الفرائض كلها ، لحلَّت النقمة بذلك على الخَلْق ، كما جاء الخبر : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس »[1] ونحن نعوذ بالله أن نؤخذ مع الأشرار » .

وجعل ابن سراقة أحد أئمة الشافعية في أول كتابه « إعجاز القرآن » ترك الاجتهاد مؤدياً إلى إبطال الشريعة ، وسقوط المثوبة الحاصلة بالاجتهاد .

وقال إمام الحرمين الجويني في كتاب « السِّيَر » بعد تقسيمه طلب العلم قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية ؛ وأما ما يقع فرضاً على الكفاية فهو ما يزيد على المتعين إلى بلوغ رتبة الاجتهاد ، فإن قوام الشرع بالمجتهدين .

وجعل مُجلّي في الذخائر في كتاب « السير » وأبو حامد الغزالي في كتابه « البسيط » في باب السير ، وابن الرفعة ، والرافعي .. جعل كل واحد من هؤلاء طلب رتبة الاجتهاد فرضاً ، وجعله مقدماً على الفور على الحج

(١) رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

حيث شغر البلد عن المجتهد ، والظاهر الصحيح أنه يجوز سفر الولد لتلك المهمة بغير إذن الوالدين ، أما الحج فهو على التراخي في رأي هؤلاء الشافعيين

وأورد عبارة الشهرستاني الجميلة الرائعة في كتابه « الملل والنحل » حيث قال ما نصه « وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضاً ، والنصوص إذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، عُلِمَ قطعاً أَنَّ الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد » .

وبعد بيان الشهرستاني شروط الاجتهاد قال : ثم الاجتهاد من فروض الكفايات ، لا من فروض الأعيان ، حتى إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه ، وأشرفوا على خطر عظيم ، فإن الأحكام الاجتهادية إذا كانت مرتبة على الاجتهاد ، ترتيب المسبب على السبب ، ولم يوجد السبب ، كانت الأحكام عاطلة ، والآراء كلها فائلة ، فلا بد إذن من مجتهد[1] .

قال السيوطي : فانظر كيف حكم بعصيان أهل العصر بأسرهم إذا قصَّروا في القيام بهذا الفرض ، وأقام على فرضيته دليلاً عقلياً لا شبهة فيه .

وذكر السيوطي أيضاً ما قاله تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح في كتاب « أدب الفتيا » : المجتهد المطلق : هو الذي يتأدى به فرض الكفاية . وأما المجتهد المقيد : فظاهر كلام الأصحاب أنه لا يتأدّى به فرض الكفاية .

---

(١) الملل والنحل : ١/١٩٩ .

ولشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ، ومحرر المذهب الشافعي محيي الدين النووي ، وابن الرفعة ، وبدر الدين الزركشي كلام مشابه لكلام ابن الصلاح .

ولم يقتصر استشهاد السيوطي بأقوال الشافعية فقط ، وإنما ذكر أيضاً ما قاله ابن القصَّار القاضي أبو الحسن علي بن عمر البغدادي من أئمة المالكية في كتابه « المقدمة في أصول الفقه » : مذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد لقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] ثم قسم العلم قسمين : فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين الواجب على كل أحد : هو علمه بحالته التي هو فيها ، وفرض الكفاية : هو العلم الذي لا يتعلق بحالة الإنسان ، فيجب على الأمة أن تكون منهم طائفة يتفقهون في الدين ليكونوا قدوة للمسلمين ، حفظاً للشرع من الضياع ، والذي يتعين لهذا من الناس : من جاد حفظه ، وحسن إدراكه ، وطابت سجيته ، ومن لا فلا .

ونصَّ أئمة الحنفية والحنابلة والمالكية كابن الحاجب وابن الساعاتي على أنه لا يجوز خلو العصر من مجتهد ؛ لأن الاجتهاد فرض كفاية ، والخلو منه يستلزم اتفاق الأمة على الباطل .

ويدل على وجوب النظر والاجتهاد قول الله تعالى ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر : ٢] وقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء : ٨٢] وهذا حث منه تعالى على النظر في آياته وما تشتمل عليه من الأحكام .

واشترط الفقهاء بلوغ رتبة الاجتهاد في الوظائف التالية : وهي الإمامة العظمى ، ووزارة التفويض (وهي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه

تدبير الأمور برأيه وإمضائها على اجتهاده) والقضاء ، والإفتاء[١] ، ومنصب نواب القاضي وخلفائه ، ووالي المظالم . أما المحتسب وهو الآمر بالمعروف إذا ظهر تركه والناهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، فالأصح كما ذكر الماوردي عدم اشتراط الاجتهاد في حقه ؛ لأنه ليس له أن يحمل الناس على رأيه . ويشترط في عاقد الأنكحة أن يكون من أهل الاجتهاد في باب النكاح خاصة ، وكذا ساعي الزكاة يشترط أن يكون مجتهداً في باب الزكاة خاصة .

ب – وأورد في الباب الثاني نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد ، وأنه لا يجوز عقلاً ولا يمكن خلو العصر منه . ومن هذه النصوص ما يلي : ذهبت الحنابلة بأسرهم إلى أنه لا يجوز خلو الزمان من مجتهد ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله »[٢] ولأن الاجتهاد فرض كفاية ، فيستلزم انتفاؤه اتفاق المسلمين على الباطل ، وذلك محال لعصمة الأمة عن اجتماعها على الباطل . قال الزركشي في « البحر » : ولم ينفرد بذلك الحنابلة ، بل جزم به أيضاً جماعة من أصحابنا – أي الشافعية – منهم الأستاذ أبو إسحاق الشيرازي والزبيدي في « المسكت » . وعبارة الأستاذ الشيرازي : وتحت قول الفقهاء « لا يخلي الله زماناً من قائم لله بالحجة ، سر عظيم ، وكأن الله تعالى ألهمهم ذلك ، ومعناه : أن الله تعالى لو أخلى زماناً من قائم بالحجة ، لزال التكليف ، إذ التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت الشريعة .

وقال ابن دقيق العيد : هذا هو المختار عندنا ، لكن إلى الحد الذي

---

(١) القضاء : إخبار بالحكم الملزم للخصمين ، والإفتاء ، إخبار بحكم غير ملزم .

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

تنقضي به القواعد ، بسبب زوال الدنيا في آخر الزمان . قال الزركشي : وله وجه حسن ، وهو أن الخلو من مجتهد يلزم منه اجتماع الأمة على الخطأ ، وهو ترك الاجتهاد الذي هو فرض كفاية .

وعقب السيوطي بقوله : وقول الأستاذ أبي اسحاق : « وكأن الله ألهمهم ذلك » يشعر بأنه لم يقف له على مستند من الحديث ، مع أن له مستنداً ، فأخرج أبو نُعَيم في الحلية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً »[1] وهذا موقوف له حكم الرفع[2] ؛ لأن مثل ذلك لا يقال من قبل الرأي ، وله شواهد مرفوعة وموقوفة .

منها : ما أخرجه الدارمي في مسنده عن وهب بن عمرو الجمحي أن النبي ﷺ قال : « لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها ، فإنكم إن لا تعجلوها قبل نزولها ، لا ينفكُّ المسلمون وفيهم إذا هي نزلت من إذا قال وفّق وسُدِّد » .

ومنها : ما أخرج البيهقي في المدخل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرفوعاً نحوه ، وكلاهما مرسل ، وكل منهما . وهي شهادة من النبي ﷺ لأمته بأنهم لا ينفكون عمن يقول في الحادثة ، فيصيب وذلك هو المجتهد .

وأخرج الدارمي والبيهقي عن معاذ بن جبل أنه قال : « أيها الناس ، لا تَعجَّلوا بالبلاء قبل نزوله ، فيذهب بكم ها هنا وها هنا ، وإنكم إن لم

---

(١) حلية الأولياء ١/٨٠ .

(٢) أي أن هذا الحديث موقوف على الصحابي ، ولكنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ .

تعجلوا بالبلاء قبل نزوله ، لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سُدِّد ، وإذا قال وُفِّق » .

وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب قال : إياكم وهذه العُضَل ، فإنها إذا نزلت ، بعث الله لها من يقيمها أويفسرها .

وقال ابن دقيق العيد في أول شرح « الإلمام » : والأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة ، والأمة الشريفة لا بد فيها من سالك إلى الحق على واضح المَحَجَّة ، إلى أن يأتي أمر الله في أشراط الساعة الكبرى ، ويتتابع بعده ما لا يبقى معه إلا قدوم الأخرى .

وقال ابن عبد السلام أحد أئمة المالكية : لا يخلو الزمان من مجتهد إلى زمن انقطاع العلم ، كما أخبر به النبي ﷺ ، وإلا كانت الأمه مجتمعة على الخطأ .

وذكر الفخر الرازي والتبريزي والزركشي أنه لو لم يبق من المجتهدين إلا واحد ، كان قوله حجة .

والخلاصة : هذه الكلمة المشهورة : وهي لا يُخلي الله زماناً من قائم بالحجة ، كأنها كلمة إجماع ، مع ما تقدم من كونها حديثاً أو أثراً .

وأضاف ابن عبد السلام قوله : إن رتبة الاجتهاد مقدور على تحصيلها ، وهي شرط في الفتوى والقضاء ، وهي موجودة إلى الزمان الذي أخبر عنه عليه الصلاة والسلام بانقطاع العلم ، ولم نصل إليه إلى الآن ، وإلا كانت الأمة مجتمعة على الخطأ ، وذلك باطل .

وعلَّق السيوطي على هذه العبارة بقوله : فانظر كيف صرَّح بأن رتبة الاجتهاد غير متعذرة ، وأنها باقية إلى زمانه ، وبأنه يلزم من فقدها اجتماع الأمة على الباطل ، وهو محال .

وقد صنَّف السيوطي مراتب المجتهدين على نحو يفتح باب الأمل والرجاء في بقاء المجتهدين في الأمة ، دون اقتصار على أئمة المذاهب ، فقال : « لهج كثير من الناس اليوم بأن المجتهد المطلق فقد من قديم ، وأنه لم يوجد من دهر إلا المجتهد المقيد ، وهذا غلط منهم ، ما وقفوا على كلام العلماء ، ولا عرفوا الفرق بين المطلق والمجتهد المستقل ، ولا بين المجتهد المقيد ، والمجتهد المنتسب ، وبين كلٍ مما ذكر فرق ، ولهذا ترى أن من وقع في عبارته : إن المجتهد المستقل مفقود من دهر ينص في موضع آخر على وجود المجتهد المطلق .

والتحقيق في ذلك أن المجتهد المطلق أعم من المجتهد المستقل وغير المجتهدالمقيد .

أما المجتهد المستقل : فهو الذي استقل بقواعده لنفسه ، يبني عليها الفقه خارجاً عن قواعد المذهب المقررة . وهذا شيء فُقد من دهر ، بل لو أراده الإنسان اليوم لامتنع عليه ولم يجزْ له ، نصَّ عليه غير واحد .

وأما **المجتهد المطلق غير المستقل** : فهو الذي وجدت فيه شروط الاجتهاد التي اتصف بها المجتهد المستقل ، ثم لم يبتكر لنفسه قواعد ، بل سلك طريقة إمام من أئمة المذاهب في الاجتهاد ، فهذا مطلق منتسب لا مستقل ولا مقيد .

وأما المجتهد المقيد أو مجتهد التخريج :فهو المقيد في مذهب إمامه ، المستقل في تقرير أصوله بالدليل ، غير أنه لا يتجاوز في أدلته أصول إمامه وقواعده . وشرطه : كونه عالماً بالفقه وأصوله وأدلة الأحكام تفصيلاً ، بصيراً بمسالك الأقيسة والمعاني ، تام الارتياض في التخريج والاستنباط ، قيِّماً بإلحاق ما ليس منصوصاً عليه لإمامه بأصوله ، ولا يعرى عن شوب تقليد له لإخلاله ببعض أدوات المستقل بأن يخلّ بالحديث أو العربية ،

وكثيراً ما أخل بهما المقيد ، ثم يتخذ نصوص إمامه أصولاً يستنبط منها كفعل المستقل بنصوص الشرع . وربما اكتفى في الحكم بدليل إمامه ولا يبحث عن معارض ، كفعل المستقل في النصوص ، وهذه صفة أصحابنا أصحاب الوجوه[1] ، والعامل بفتوى هذا مقلد لإمامه لا له .

وأما **مجتهد الترجيح** : فهو ألا يبلغ رتبة أصحاب الوجوه ، لكنه فقيه النفس ، حافظ لمذهب إمامه ، عارف بأدلته ، قائم بتقريرها ، يصوّر ، ويحرر ، ويقرر ، ويمهد ، ويرجّح ، لكنه قصَّر عن أولئك لقصوره عنهم في حفظ المذهب أو الارتياض في الاستنباط ومعرفة الأصول ونحوها من أدلتها .

وأما **مجتهد الفتيا** : فهو أن يقوم بحفظ المذهب ونقله وفهمه في الواضحات والمشكلات ، ولكن عنده ضعف في تقرير **أدلته** وتحرير أقيسته ، فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه .

وبعد بيان مراتب المجتهدين المذكورة قال السيوطي رحمه الله : والذي ادَّعيناه هو الاجتهاد المطلق ، لا الاستقلال ، بل نحن تابعون للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وسالكون طريقه في الاجتهاد **امتثالاً لأمره ، ومعدودون** من أصحابه ، وكيف يُظن أن اجتهادنا مقيد ، والمجتهد المقيد : إنما ينقص عن المطلق بإخلاله بالحديث أو العربية ، وليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها أعلم **بالحديث والعربية** مني إلا أن يكون الخَضِر أو القطب ، أو ولياً لله ، فإن هؤلاء لم أقصد دخولهم في عبارتي ، والله أعلم .

حـ - وتناول في الباب الثالث ذكر من حثَّ على الاجتهاد وأمر به

(١) اشتهر أصحاب الشافعي بالوجوه المستنبطة من أقوال الشافعي ، أي بالآراء المخرجة بالاعتماد على اجتهادات الشافعي في بعض المسائل ، فيتخذونها أصلاً في التفريع ومعرفة حكم المسائل الجديدة التي تشبه مسألة الإمام .

وذمَّ التقليد ونهى عنه قال رحمه الله : اعلم أنه ما زال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضُّون عليه، وينهون عن التقليد ويذمّونه ويكرهونه ، وقد صنَّف جماعة لا يحصون في ذم التقليد ، وهم المزني صاحب الإمام الشافعي ، والزركشي ، وابن حزم ، وابن عبد البر ، وأبو شامة ، وابن دقيق العيد ، وابن قيم الجوزية ، والمجد الشيرازي صاحب القاموس .

قال : الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة : « فكل ما أنزل الله تعالى في كتابه رحمة وحجة ، عَلِمه من عَلِمه ، وجهله من جهله ، ولا يجهله من علمه . وللناس في العلم طبقات ، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به » .

واستدل الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني على عدم التقليد بإجماع العلماء على أنه لو حفظ العالم مذهب الأئمة من نقدهم ، ثم أراد أن يحكم به ويفتي ، لم يكن له ذلك ؛ لأنه جاهل بدليل هذا المذهب ، فكما حرِّم عليه تقليد الميت لجهله بدليل قوله ، حرم عليه تقليد الحي .

والتقليد عند جماعة من العلماء غير الاتباع ؛ **فالاتباع** : هو أن تتبع القائل على مابان من فصل قوله وصحة مذهبه ، أي أنه اتباع الغير بعد معرفة دليله . أما التقليد فهو أن تقول بقوله ، وأنت لا تعرف وجه القول ولا معناه : أي أنه الأخذ بقول الغير من غير معرفة دليله ، أو هو قبول قول بلا حجة ، وقد حدث التقليد في القرن الرابع .

وقد ذم الله التقليد في غير موضع من كتابه ، فقال :﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [التوبة : ٣١] قال حذيفة وغيره : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكن أحلوا لهم وحرّموا عليهم ، فاتبعوهم . وقال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا

قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون . قل : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ [الزخرف : ٢٣] فمنعهم الاقتداءُ بآبائهم عن قبول الاهتداء ، فقالوا : ﴿ إنا بما أُرسلتم به كافرون ﴾ [الزخرف : ٢٤] وفي هؤلاء ومثلهم قال الله تعالى : ﴿ إنَّ شرَّ الدواب عند الله الصمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون ﴾ [الأنفال : ٢٢] وفي القرآن آيٌ كثيرة في ذم تقليد الآباء والرؤساء . وقال ابن مسعود : ألا لا يقلدنَّ أحدكم دينه رجلاً .

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي : التقليد لا يُثْمر علماً ، فالقول به ساقط ، وهذا الذي قلناه قول أهل العلم كافة .

والخلاصة : التقليد باطل ؛ لأنه قول في الدين بلا برهان ، وهو أن يفتي في الدين فتيا ؛ لأن فلاناً الصاحب ، أو فلاناً التابع ، أو فلاناً العالم أفتى بها بلا نص في ذلك . قال السيوطي : التقليد : هو أن يقلد غيره ويتبعه من غير دليل ظهر له ، وإنه من أفعال الكفر ، قال الله تعالى حاكياً عنهم :﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

ولكن يجب أن نلاحظ أن منع التقليد في هذه الآية وأمثالها التي تندّد بفعل الكفار إنما هو في التقليد في الاعتقادات وأصول الدين ، لأن المطلوب فيها الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل ، والتقليد لا يفيد فيه ، لأنه قبول قول الغير بلا حجة ، كما قال الغزالي . أما التقليد في الفروع الفقهية والاجتهادات المذهبية فهو أمر جائز وواقع من أغلبية المسلمين غير المتخصصين بقضايا الاجتهاد ، بل لا سبيل أمامهم لممارسة عباداتهم ومعاملاتهم إلا بتقليد غيرهم من المفتين ؛ لأنه لا قدرة لديهم ولا أهلية ولا كفاءة عندهم لا ستنباط الحكم الشرعي مباشرة من الدليل ، مما

يجعلهم في أمس الحاجة إلى تقليد غيرهم ، ولا حرج ولا إثم عليهم في ذلك .

أما المجتهد فيحرم عليه التقليد ، ويجب في حقه الاجتهاد ، فهذا هو الذي يطالب بالاجتهاد ، ويمنع من التقليد .

د – وجمع في الباب الرابع فوائد منثورة تتعلق بالاجتهاد :

منها : ندرة المجتهد في هذه الأعصار ، وليس ذلك لتعذر حصول آلة الاجتهاد ، بل لإعراض الناس في اشتغالهم عن الطرق المفضية إلى ذلك .

ومنها في آداب المتعلم : ينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له ، فيه يطلع على حقائق العلوم ودقائقها ، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد .

ومنها : لا يلزم في الاجتهاد الإحاطة بجميع نصوص الكتاب والسنة ، بل تكفيه الإحاطة بما يتعلق منها بالأحكام ، وهو خمسمائة آية من الكتاب ، وأحاديث مضبوطة بالكتب ، وإن لم تكن محصورة .

ومنها : أن الإنسان كلما كمل في هذه العلوم التي لا بد منها في الاجتهاد ، كان منصبه في الاجتهاد أعلى وأتم .

وأهم العلوم للمجتهد : علم أصول الفقه ، ففيه تذليل طرق الاجتهاد للمجتهدين .

ومنها : بيان طريق معرفة المجتهد : وهذا إما من المجتهد نفسه أو من العامي . أما المجتهد أو العالم فيعرف ذلك من نفسه ، بأن يعلم أنه أتقن الآية كل الإتقان ، ويجد له ملكة وقدرة على الاستنباط واستخراج الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة . وأما معرفة العامي بالعالم الذي وصل إلى حد الاجتهاد فلا تمكن إلا بإخبار المجتهد عن نفسه ؛ لأن الاجتهاد معنى قائم بالنفس ، لا اطلاع للعامي عليه . وهذا إذا كان عدلاً .

وقد يُدْرك ذلك بكثرة الاختبار لمن له أهلية الاختبار .

ثم تابع السيوطي رحمه الله في بيان الفوائد المتعلقة بالاجتهاد ، حتى أوفاها على السابعة والأربعين فائدة ، وأغلبها في تقديري من شأن أهل الاختصاص وهواة الترف العلمي ، وكلها نقول عن العلماء البارزين ليستكمل القارئ صورة الاجتهاد ، وربما تصور سهولة الطريق ، ولكن دون ذلك مشاق ومصاعب لا يمكن تذليلها إلا بالتمكن في فهم القرآن والسنة واللغة العربية وأصول الفقه ومقاصد الشريعة ومعرفة أجاميع العلماء ووجوه القياس والناسخ والمنسوخ من النصوص .

ومما يساعد على بلوغ رتبة الاجتهاد لدى المتأخرين تدوين العلوم المختلفة وكثرة تداولها وانتشارها وتبسيطها وإمكان معرفة مناهج المجتهدين الأوائل وكيفية استنباطهم الأحكام الشرعية من مصادرها المعتمدة .

وفي **الخاتمة** أقول : لقد تمكن السيوطي رحمه الله بكتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض » من العودة إلى أصالة الحكم الإسلامي بفرضية الاجتهاد ، وهو الحكم الذي أصَّله رسول الله ﷺ ، وسار على نهجه الصحابة الكرام ، الذين توسعو وفتحوا للعلماء باب القياس والاجتهاد ، وبينوا لهم سبيله ، وهل يعقل – كما ذكر ابن القيم[1] – أن النبي ﷺ لما قال : « لايقضي القاضي وهو غضبان »[2] إنما قصد الغضب وحده أم كل ما في معناه ؟ الواقع إنما كان ذلك ؛ لأن الغضب يشوِّش عليه قلبه وذهنه ، ويمنعه من كمال الفهم ، ويحول بينه وبين استيفاء النظر ، ويعمِّي عليه طريق العلم والقصد ، فمن قَصَر النهي على الغضب وحده دون الهمّ المزعج

---

(١) أعلام الموقعين ٢١٧/١ .

(٢) رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة عن أبي بكرة .

والخوف المقلق والجوع والظمأ الشديد وشُغْل القلب المانع من الفهم ، فقد قلَّ فقهه وفهمه ، والتعويل في الحكم على قَصْد المتكلم ، والألفاظ لم تقصد لنفسها وإنما هي مقصودة للمعاني ، والتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم ، ومراده يظهر من عموم لفظه تارة ، ومن عموم المعنى الذي قصده تارة ، وقد يكون فهمه من المعنى أقوى ، وقد يكون من اللفظ أقوى ، وقد يتقاربان ، كما إذا قال الدليل لغيره : لا تسلك هذا الطريق ، فإن فيها من يقطع الطريقَ ، أو هي مَعْطَشَة مخوفة ، عَلِم هو وكل سامع أن قصده أعم من لفظه ، وأنه أراد نهيه عن كل طريق هذا شأنها .

أي أن النهي لمعنى معين في نص لا يقتصر عليه ، وإنما يشمل كل ما في معناه مما يسمى بعلة القياس ، وإن الداعية إلى الاجتهاد هو المتصف بكمال الفهم وسداد الرأي وعمق البصيرة والإخلاص للشريعة .

ولقد استطاع السيوطي بدعوته لتجديد الاجتهاد هدم الستار الحديدي الذي طال سَدْله على الأفكار والعقول بالدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد ، لقد اخترق السيوطي هذا السور المنيع متأثراً بمشايخه الأحرار بدءاً بشيخ الإسلام ابن تيمية وانتهاء بمجدد القرن الثامن ابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ) أستاذه المباشر في التصنيف والتأليف والتدوين ، وكلهم كانوا في عصور يقولون عنها : إنها خالية من المجتهدين .

والسيوطي بهمته العالية وتفرغه للتصنيف والتأليف والعمل المعجمي والموسوعي ومحاولته الاجتهاد الجزئي أهَّله كل ذلك ليكون إمام المئة العاشرة في الاجتهاد ، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الرواية عند السيوطي

في تفسير الجلالين

الدكتور نور الدين العتر

تفسير الجلالين تفسير مشهور ، كثير التداول بين الناس لوجازته واختصاره . وسبب تسمية هذا التفسير بذلك أنه اشترك في تأليفه إماماان ، يلقب كل واحد منهما « جلال الدين » :

الأول : جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلِّي ، الفقيه الأصولي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤هـ .

الثاني : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي العلامة الامام الشهير ، المتوفى سنة ٩١١هـ .

ومن لطائف المقادير أن الإمام المحلي بدأ عمله من أول النصف الثاني من المصحف من سورة الكهف إلى آخره ، وسلك هذه الطريقة ، لأنه وجد أناساً شرعوا في التفسير ثم لم يكملوه ، لكن المنية حالت دون الأمنية ، فتوفي المحلي دون أن يتمكن من تفسير النصف الأول ، فجاء الإمام السيوطي بعده ، وأكمل العمل على خطة المحلي نفسها ، فصار التفسير مشهوراً بهذا الاسم « تفسير الجلالين » . وحسبك بكتاب موجز جد الإيجاز يُعنى به إماماان جليلان .

وبدراستنا لهذا التفسير وجدنا أن عمل الإمامين مع تشابهه من حيث الظاهر يتميز عن بعضه لدى التدقيق ، والذي يمكن أن نلخصه : أن

جانب التفسير بالمأثور أكثر توفراً لدى السيوطي في عمله هنا من عمل المَحَلِّيِّ .

والتفسير المأثور هو الأصل الأول في تفسير القرآن الكريم ، لا يستغني عنه المفسر ، مهما أوتي من العلم وعمق النظر ودقة الفهم . ويعتمد التفسير المأثور على تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالحديث النبوي .

وقد تلقى الصحابة تفسير القرآن عن النبي ﷺ ، ونقلوه للناس ، وأضافوا من اجتهاداتهم تفسيراً لما لم يتلقوا تفسيره ، وكذلك تلقى التابعون التفسير عن الصحابة ، واجتهدوا كذلك .

ومن هنا صار لتفسير الصحابة والتابعين شأن كبير لكثرة ما دخل في تفسيرهم من الحديث النبوي ، ولقرب عهدهم من عهد النبوة ، والصحابةُ في ذلك أعظم من التابعين .

ومع الاختصار الشديد في تفسير الجلالين ، فقد احتل الاستشهاد بالحديث حجماً لا بأس به ، ونتكلم عن عمل السيوطي في الاستشهاد بالحديث النبوي في تكملة تفسير الجلالين فيما يلي :

أولاً : أسباب النزول :

سبب النزول : هو : ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه ، فهو يتناول أيّ حَدَث نزلت الآيات بشأنه ، من قول يقال ، أو سؤال يطرح ، أو واقعة تحدث . واشترطوا فيه « أيام وقوعه » لأمرين هامين :

١ ـ صيانة الدارس عن أن يخلط بين سبب النزول ، وبين موضوعات الآيات التاريخية من وقائع الأمم الماضية التي أخبر عنها القرآن ،

وقصها على الناس ، فليست تلك الوقائع مثل قصة إبراهيم وموسى وعيسى وأصحاب الكهف وغيرها ليست أسباب نزول للآيات ، لأنها لم تقع أيام نزول القرآن .

٢ — عبروا بقولهم « أيام وقوعه » بالجمع ، لأنه قد ينزل القرآن بعد السبب بقليل ، مثل آيات قصة الكهف ، نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤال المشركين للنبي ﷺ ، وهناك آيات نزلت بعد شهر من سببها[١] . ومعلوم أن القرآن لم ينزل كله على أسباب ، بل منه ما نزل ابتداء غير مسبوق بسبب ، على المعنى الذي شرحناه ، ومنه ما أنزل على أسباب . ولمعرفة سبب النزول فوائد في غاية الأهمية نذكر منها ما يلي بإيجاز :

١ — الاستعانة على فهم المعنى المراد ، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبَّب .

قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »[٢] .

وقال ابن تيمية : « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب » .

٢ — معرفة وجه الحكمة التي ينطوي عليها التشريع مما يكون أدعى لتفهمه وتقبّله : فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة تلي الأخرى أدرك ضرورة تحريم الخمر ، وَبَعَثَهُ موقف الصحابة وامتثالُهم العجيب عند نزول تحريمها البات لأن يقتدي بهم ، ويأتسي بعملهم .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١ : ٣١ ، ومناهل العرفان للزرقاني : ١ : ١٠١ ، والمدخل إلى دراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة : ١٣٣ .

(٢) مطلع كتاب أسباب النزول للواحدي .

٣ - كشف أسرار البلاغة في القرآن العظيم :

وذلك أن ركن البلاغة الأساسي هو : « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، ومن العسير أن يصل دارس القرآن إلى بلاغته وخصائص أسلوبه دون علم أسباب النزول ، التي يدرك بها خصوصيات مقاصد الأسلوب ، حيث يجد أن القرآن الكريم راعى مقتضى حال المخاطبين في عصر نزوله على أعلى مستوى معجز ، في الوقت ذاته الذي تلاءَم أسلوبه مع مقتضى حال العالمين إلى يوم الدين[٣] .

ولهذه المكانة لأسباب النزول تشدد السلف في البحث عن أسباب النزول ، حتى قال الإمام محمد بن سيرين : « سألتُ عَبِيدَة (أي السلماني) عن آية من القرآن فقال : « اتق الله وقُل سَداداً ، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله القرآن »[٤] .

ومن هنا كان البَدَهي أن يعتمد السيوطي في تفسيره للقرآن على علم أسباب النزول ، كيف وهو مؤلف « لُبَابِ النُّقول في أسباب النزول » و « الدرالمنثور في التفسير بالمأثور » . لكن هذا لا يُلزمه أن يذكر أسباب النزول في كل المواضع ، بل حسبه أن يكون عمله مبنياً على هذا العلم . ومع ذلك فقد ذكر جملة صالحة من أسباب النزول ، بطريقة الإيجاز والإشارة ، مراعاة للاختصار الذي بُنِيَ هذا التفسير عليه .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ يَزْعُمونَ أنهم آمَنُوا بما أُنْزِلَ إليك

---

(٣) انظر دراسة موسعة مع الأمثلة التطبيقية في كتابنا « القرآن الكريم والدراسات الأدبية » : ٥٨ - ٦٧ .

(٤) الموافقات للشاطبي : ٤٢٢ - ٤٢٣ ، والإتقان : ١ : ٣١ .

وما أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ ، يُريدونَ أنْ يَتحاكَمُوا إلى الطّاغُوتِ وقد أُمِرُوا أنْ يَكْفُروا به .. ﴾ .

قال السيوطي : « ونزل – لما اختصم يهودي ومنافق ، فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ ، فأتياه فقضى لليهودي ، فلم يرض المنافق ، وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك ، فقال للمنافق : أكذلك قال ؟ قال : نعم . فقتله – : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون .. ﴾[٥] .

ففي هذه القصة روايات كثيرة ، كثير منها لا يذكر الذهاب إلى عمر ، ولا يذكر كعب بن الأشرف ، وقتل عمر للمنافق[٦] ، لكن السيوطي هنا اختار هذه الرواية لكونها أجمع الروايات ، واختصر سياقها قليلاً ، وكأنه لحظ فيها المناسبة لما يأتي بعد في الآيات من ذكر المصيبة التي أصابت المنافقين بما كسبت أيديهم .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيْبُ بِها مَنْ يشاء وهُمْ يُجادِلُونَ في الله ﴾ .

قال السيوطي في هذا النص : « نزل[٧] في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه ، فقال : مَنْ رسول الله ؟ وما الله ؟ أَمِنْ ذهب هو أم من فضة أم نحاس ؟ . فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه »[٨] .

---

(٥) سورة النساء : الآية : ٥٩ ، وقوله : ﴿ ألم تر ﴾ في محل رفع فاعل لنزل . تفسير الجلالين : ١١٥ .

(٦) انظر الدر المنثور ٢ : ١٧٨ – ١٧٩ ، ولباب النقول بذيل الجلالين : ١٧٠ .

(٧) أي النص المذكور ، وهو قوله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ .

(٨) سورة الرعد : الآية : ١٤ ، وانظر تفسير الجلالين : ٣٢٩ .

وهذا تلخيص لسبب النزول الذي ورد من عدة طرق يقوي بعضها بعضاً(٩) .

وهكذا يورد السيوطي ما كان ثابتاً من أسباب النزول مقتصداً في ذلك ، مع تلخيص الرواية مراعاة لطبيعة الكتاب ، واعتماداً على كتب التفسير المأثورة وكتابه « لباب النقول في أسباب النزول »(١٠) .

لكن يستثنى من ذلك موضع يستدعي وقفة تأمل لعمل السيوطي في أسباب النزول ، بل التعجب ، ذلك هو سبب النزول الذي ذكره في الآيات : ٧٦ – ٧٨ من سورة التوبة ، فقد ذكر السيوطي سبب النزول مدمجاً بالآيات هكذا :

﴿ ومِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِن آتَانا مِنْ فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنّ ولَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحين ﴾ : وهو ثعلبة بن حاطب ، سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ، ويؤدي منه كل ذي حق حقه . فدعا له ، فوسّع عليه ، فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا بِه وتَوَلَّواْ وهُمْ مُعْرِضُون . فَأَعْقَبَهُم نِفاقاً في قُلُوبِهمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَه بِما أَخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوه وبِما كانوا يَكْذِبون ﴾ فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته ، فقال « إن الله منعني أن أقبل منك ، فجعل يحثو التراب على رأسه . ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ، ثم إلى عمر فلم يقبلها ، ثم إلى عثمان فلم يقبلها ، ومات في زمانه »(١١) .

---

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢ : ٥٢٤ ، ولباب النقول : ٣٢٩ – ٣٣٠ .

(١٠) انظر مثلاً تفسير الآيات التالية من الجلالين : سورة النساء آية ٦٨ ، و ١٠٤ والمائدة آية ٣٦ و ١٠٤ والأنعام : ٩٣ و ١١٤ وغيرها .

(١١) سورة التوبة : الآيات : ٧٦ – ٧٨ [تفسير الجلالين : ٢٦١ – ٢٦٢] .

هكذا أورد السيوطي قصة سبب النزول ملخصة عن رواية فيها تفاصيل وسرد يشبه أسلوب القصاص ، وحبكهم للحكايات ، وكان ذلك من أسباب ذيوع القصة وانتشارها على ألسنة الوعاظ والخطباء ، ولعل هذا الذيوع جعل السيوطي يوردها هكذا ، مع أن فيها إشكالات في السند وفي المتن ، نبيّنها بإيجاز فيما يلي :

أما في السند :

فقد اختلف الرواة في ذكر اسم صاحب القصة . فبعض الرواة سماه « ثعلبة بن حاطب » ، وبعضهم لم يسمه إطلاقاً بل أغفله[١٢] .

ونلاحظ بالدراسة للأسانيد أن الروايات التي ورد فيها تعيين الاسم أنه ثعلبة بن حاطب ضعيفة ، قال الإمام البيهقي[١٣] بعد أن أوردها : « هذا حديث مشهور بين أهل التفسير ، وإنما يُروى موصولاً بأسانيد ضعاف » .

بينما نجد الروايات الأخرى التي لم يذكر فيها اسم الصحابي ، ولا إشكالات المتن التي سنذكرها ثابتة بالأسانيد من صحيح وحسن . فكانت هي العمدة في هذه القصة .

وأما المتن فمشكل من وجوه ، نذكر منها ما يلي :

١ – في القصة أن صاحبها هو ثعلبة بن حاطب ، وثعلبة بن حاطب صحابي أنصاري ، قديم الإسلام شهد بدراً[١٤] ، فهو إذن ثابت

---

(١٢) انظرها بأسانيدها في جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٤ : ٣٦٩ – ٣٧٤ .

(١٣) دلائل النبوة : ٥ : ٢٩٢ .

(١٤) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣ : ٤٦٠ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٢٠٠ هامش الإصابة ، والثقات لابن حبان ٣ : ٣٦ .

العدالة ، لا يمكن وصفه بالنفاق ، لأن عدالة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع[١٥] ، فضلاً عن كونه من أهل بدر ، وفضلهم ثابت بالتواتر .

٢ - تعارض تسمية صاحب القصة ، فهناك من يقول : إنه ثعلبة بن حاطب ، وقيل : ثعلبة بن أبي حاطب ، وقيل : حاطب بن أبي بَلْتَعَة . وكأن التسمية وردت لذهن بعض الرواة توارداً مصادفاً دون مستند ثابت .

٣ - أن نص القرآن حكى الواقعة عن جماعة ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصّدَّقَنّ ﴾ ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا .. ﴾ ، والرواية تجعله واحداً . فهي تخالف نص القرآن .

٤ - أن القصة تصادم قواعد الشرع في قبول التوبة ، فقد ذكرت أن الرجل تاب وأتى بزكاة ماله إلى النبي ﷺ فرفضها ، ثم إلى أبي بكر فلم يقبلها ، وهكذا عُمر وعثمان . وذلك خلاف قواعد الشرع في قبول التوبة من الذنب .

إن أصول الشرع في إجْراءِ الأحكام تُلْزِمُ بتطبيقها على الناس كلهم ، على قدم المساواة ، وأخذاً بظواهر أحوالهم التي هي الإسلام ، دون تفتيش عن بواطنهم ، وقد كان النبي ﷺ يعامل المنافقين بحسب ظاهر إسلامهم ، حتى رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، عامله النبي ﷺ بحسب ما يُظْهِرُ من الإسلام ، فكيف تُخالفُ هذه القاعدة هنا في هذا الرجل ؟!! .

---

(١٥) انظر هذه الدلائل في كتابنا : منهج النقد في علوم الحديث ص ١٢١ - ١٢٤ .

ثانياً : تفسير القرآن بالحديث :

نجد في عمل السيوطي ، في تكملة تفسير الجلالين ، جملة جيدة من الأحاديث ، يستشهد بها لمناسبة شرحه معنى الآية ، كما نوضح ذلك فيما يلي : فمنه قوله تعالى : ﴿ الذينَ آمَنُوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهم مُهْتَدُون ﴾ .

قال السيوطي : « ولم يلبسوا (يخلطوا) إيمانهم بظلم (أي شرك ، كما فُسِّرَ بذلك في حديث الصحيحين »[١٦] .

فقد فسّر الآية بالحديث ، مقتصراً على الإشارة إلى الحديث وتخريجه . وهو حديث صحيح متفق عليه ، عن ابن مسعود قال : (لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم .. ﴾ شق ذلك على المسلمين ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : « يابُنَيّ لا تُشرك بالله إنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم »[١٧]) .

ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ تَراني ، ولَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فانِ اسْتَقَرَّ مكانَه فَسَوْفَ تَراني فلما تَجَلّى رَبُّه لِلْجَبَلِ جَعلَه دكّاً وخَرّ مُوسى صَعِقا ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ فلما تجلى ربه ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر ، كما في حديث صححه الحاكم ...)[١٨] .

---

(١٦) سورة الأنعام الآية ٨٢ ، وتفسير الجلالين : ١٨٢ .

(١٧) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢ : ٥٦ .

(١٨) سورة الأعراف : الآية : ١٤٢ وتفسير الجلالين : ٢٢١ .

ففسر الآية بالحديث ، مشيراً إليه وإلى مصدره وحكمه .

والحديث أخرجه أيضاً أحمد والترمذي وقال : « حسن صحيح »[١٩] . فاختصر السيوطي وعزا الحديث للحاكم فقط وذكر درجته . وكان عزوه للترمذي أولى ، لكن يبدو أنه اعتمد في اقتباسه على لفظ الحاكم .

وهكذا درج في مواضع أخرى أيضاً ، يقتبس جملة من الحديث ، ويعزوه إلى مصدره[٢٠] .

وقد يفسر السيوطي القرآن بالحديث على الطريقة المتقدمة في الاقتباس المختصر ، لكن دون عزوٍ لمصدر الحديث :

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في آخر آية الكرسي : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّه السماواتِ والأَرْضَ ولا يَؤُودُه حِفْظُهُما وهُوَ العَلِيُّ العَظِيم ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ قيل : أحاط علمه بهما ، وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته ، لحديث : « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلْقِيَتْ في ترس »)[٢١] .

وهذا الحديث غريب جداً ، والمشهور « ما السموات السبع » ، وفي رواية « ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة ، وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة »[٢٢] .

---

(١٩) تفسير ابن كثير : ٢ : ٢٢٤ .

(٢٠) انظر الصفحات : ١٢٥ ، ١٥٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٨٦ ، من تفسير الجلالين .

(٢١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ ، وتفسير الجلالين : ٥٦ .

(٢٢) الدر المنثور : ١ : ٣٢٨ .

لكنه لا يفيد اشتمال الكرسي على السموات . وهذا الحديث الأخير أورده السيوطي بشواهد له بمعناه في الدر المنثور(٢٣) ، ولم يذكر فيه الحديث الذي ذكره في تكملة تفسير الجلال المحلي ، مما يدل على شدة غرابته . وقد خرجه الطبري بسنده عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً ، فهو ضعيف ومرسل(٢٤) ومثل هذا الصنيع في الرواية نادر عند السيوطي ، وأكثر ما يغفل التخريج في أسباب النزول ، لكنه يتخير فيها ما هو قريب ، إلا ما تعقبناه في قصة ثعلبة .

ثالثاً : الإسرائيليات :

المراد بالإسرائيليات اللون اليهودي والنصراني من الثقافة والأخبار عن الأمم السابقة . وقد كثر النقل لهذا اللون في بعض كتب التفسير ، دون تمييز بين ما يُقبل وما لا يُقْبَل وما يُتوقف فيه ، وكان لذلك أثر سيئ في التفسير ، خصوصاً ما كان من القصص الخيالي المُخْتَرَع .

وتنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة نوضحها مع حكمها فيما يلي :

القسم الأول : ما يُعلم صحته بأن نُقل عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً ، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام ، أنه الخضر ، فقد ثبت ذلك صريحاً في الحديث في صحيح البُخاري . كذلك ما كان له شاهد من الشرع يؤيده ، وهذا القسم صحيح مقبول .

القسم الثاني : ما يُعلم كَذِبُه ، بأن يناقِض ما عرفناه من الشرع ، أو

(٢٣) الموضع السابق .

(٢٤) انظر ابن كثير ١ : ٣١٧ . وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف ، ضعفه أحمد والدارقطني ، كما في المغني في الضعفاء رقم ٣٢٦٨ ، وأبوه تابعي ولم يذكر الواسطة وذلك ضعف آخر .

كان لا يتفق مع العقـل . وهذا القسـم لا يصح قبوله ولا روايتـه إلا مع التحذير منه .

القسم الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا هو من قَبيل الأول ولا هو من قبيل الثاني . وهذا القسم نتوقف فيه ، فلا نؤمن به ولا نكذبه . لأنه إن قبلناه قد يكون غير ثابت لما دخل تراثهم ، ونقلهم من الكذب . وإن كذَّبناه فقد يكون ثابتاً ، لذلك نتوقف فيه .

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً ، وقد تختلف عبارات بعض المفسرين مع بعض بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهـم ، وعصـا موسى ومن أي الشجر كانت . وأسماء الطيور التي أحيـاها الله تعالى لإبراهيم عليه السـلام ، وتعيين بعض البقرة الذي ضُرِب به قتيل بني إسرائيل فأحياه الله وبيّن قاتله ، قال : قتلني ابنُ أخي .

إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن ، لحكمة جليلة ، مثل عدم شغل القارئ بما لا فائدة فيه ، في أمر ديني ولا دنيوي(٢٥) . ونجد السيوطي يورد نبذاً من الإسرائيليات في تفسيره هذا متنوعة ، منها ما يمكن قبوله ، لموافقته مقصد نص القرآن .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ واتَّبَعُوا ما تَتْلو الشَّيَاطِيْنُ على مُلْكِ سُلَيانَ وما كَفَر سُلَيْمان ولكن الشياطين كفروا ... ﴾ .

---

(٢٥) انظر في مسألة الإسرائيليات مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير : ١٣ ـ ١٤ و ٢٦ ـ ٢٧ ، والتفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١ : ١٩٩ ـ ٢٠١ ففيه بحث واسع .

قال السيوطي : (﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما فزع ملكه .؟!! .

أو كانت تسترق السمع – يعني إلى السماء – وتضم إليه أكاذيب ، وتلقيه إلى الكهنة ، فَيُدَوِّنُونَه ، وفشا ذلك وشاع أن الجِنّ تعلم الغيب ، فجمع سليمان الكتب ودفنها ، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس ، فاستخرجوها ، فوجدوا فيها السحر ، فقالوا : إنما ملككم بهذا فتعلموه ، ورفضوا كتب أنبيائهم ..)[٢٦] .

فقوله: « أو كانت تسترق ... »، موافق لمقصود الآية، وهو افتراء اليهود وقلبهم الحقائق ، وجعلهم عمل سليمان من السحر ، مع أنه كان حرباً على السحر عليه السلام ، مما يجعل إيرادها ممكن القبول .

ومن الإسرائيليات عنده ما يتوقف فيه لغرابته :

ومن أمثلة ذلك قوله في شأن البقرة التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها ، ومراجعتهم في صفاتها ، فقال : « فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بِملْءِ مَسْكها ذهباً »[٢٧] . فقوله « بملء مَسْكِها » أي جلدها غريب حقّاً ، والقصة طويلة ، اختصرها السيوطي ، وفيها حبك غريب ، الله أعلم بحقيقتها .

ومن الإسرائيليات المشكلة عند السيوطي ما أورده في تفسير قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ ولقد هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بِها لَوْلاَ أنْ رأى بُرْهَانَ ربه ﴾ .

قال السيوطي : « قال ابن عباس : مُثِّل له يعقوب فضَرَب صدره ،

---

(٢٦) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ ، وتفسير الجلالين : ٢١ .

(٢٧) سورة البقرة : الآيات : ٦٧ – ٧٣ ، وتفسير الجلالين : ١٥ .

فخرجَت شهوَتُه من أنامله ، وجواب لولا لجامعها »[٢٨].

وهذا مشكل غير مقبول ، لما هو معلوم من عصمة الأنبياء عن القبائح ، قبل النبوة وبعدها ، وهذا لا يتفق مع العصمة ، لأنه يؤدي إلى أنه ترك الفاحشة لأمر مُلْجِئ .

وقوله : « وجواب لولا لجامعها » غير مُسَلّم . بل المعنى « لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها » . أي أنه لم يَهِمّ بها إطلاقاً . كما تقول : « سافر فلان ، وسافرتُ لولا المرض » . أي أنك لم تسافر .

وفي تفسير الجلالين عدة روايات وإسرائيليات باطلة لا يجوز قبولها ولا تصديقها بحال ، بعضها عند السيوطي ، وأكثرها وأشدها خطراً عند المحلّي ، لغلَبَةِ اشتغاله بالفقه .

(٢٨) الآية : ٢٤ من سورة يوسف ، وتفسير الجلالين : ٣١٢ .

المراجع

– الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

– أسباب النزول للواحدي ، تحقيق سيد أحمد صقر . ط. دار المعارف – القاهرة .

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، بحاشية الإصابة . ط . الخانجي .

– تفسير الجلالين . ط. دار مروان – الدار الغربية .

– تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير . ط. دار المعرفة – بيروت .

– التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي . ط. دار إحياء التراث العربي . – بيروت .

– الثقات ، لمحمد بن حبان البستي . ط. الهند .

– جامع البيان في تأويل آي القرآن ، للطبري . ط. دار المعارف – مصر .

– حاشية الصاوي على تفسير الجلالين . ط. دار الفكر . بيروت .

– الدار المنثور في التفسير المأثور ، للسيوطي . ط. دار الثقافة – بيروت .

– دلائل النبوة ، للبيهقي . تحقيق عبد المعطي قلعه جي . دار الفكر .

– الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد . ط. دار بيروت . لبنان .

– القرآن الكريم والدراسات الأدبية . للدكتور نور الدين عتر . ط. جامعة دمشق .

– لباب النقول في أسباب النزول . بذيل تفسير الجلالين .

– المدخل إلى دراسة القرآن الكريم . لمحمد محمد أبو شهبة . ط. مصر .

– المغني في الضعفاء للإمام شمس الدين الذهبي . تحقيق الدكتور نور الدين عتر . ط. دار المعارف . حلب .

– مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية . ط. مطبعة الترقي ، دمشق .

– مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني . ط. دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الثانية بالقاهرة .

– منهج النقد في علوم الحديث ، للدكتور نور الدين عتر . ط. دار الفكر . الطبعة الثالثة .

– الموافقات ، للشاطبي . ط. المكتبة التجارية . مصر .

السيوطي وعلوم القرآن

الأستاذ محمد يوسف الشربجي

يعد السيوطي من أبرز الشخصيات ذات الإنتاج الثرّ في جميع العلوم والفنون حتى يمكن أن يطلق عليه « المفكر الموسوعي » وذلك لأن دراساته قد تعددت وشملت أكثر فروع المعرفة التي كانت مزدهرة في عصره .

ولما كان هذا البحث سينشر ضمن بحوث عن الإمام السيوطي بمناسبة مرور خمسمائة سنة على وفاته فسأشير بإيجاز شديد إلى ملامح شخصية هذا العَلَم مركّزاً على جهوده في علوم القرآن .

جلال الدين السيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري[1] الشافعي أبو الفضل ، ولد بالقاهرة مستهل شهر رجب سنة (٨٤٩هـ)[2] من أسرة علم ومعرفة ، فقد كان والده كمال الدين أبو بكر بن محمد من فقهاء الشافعية ، وولي درس الفقه بالجامع الشيخوني ، وخطب بالجامع الطولوني ، وكان ذا سيرة حميدة ، وعفة ونزاهة[3] ، ولما

---

(١) نسبة إلى الخضيرية وهي محلة ببغداد ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (ط دار صادر بيروت ١٩٨٤م) : ٣٧٧/٢ .

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ عيسى البابي الحلبي مصر ١٩٦٧م) : ٣٣٦/١ ، والتحدث بنعمة الله للسيوطي ، تحقيق اليزابيت ماري سارتين (ط ، المطبعة العربية الحديثة ١٩٧٢) ص : ٣٢ .

(٣) حسن المحاضرة : ٤٤١/١ ، التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر)ص : ٣٥٦ .

توفي سنة (٨٥٥هـ) لم يكن السيوطي - الابن - قد تجاوز السادسة من عمره ، فعهد به والده قبل وفاته إلى أحد أصدقائه وهو كمال الدين بن الهمام الحنفي صاحب « فتح القدير » المتوفى سنة (٨٦١هـ)[٤] ، وقد لحظه بنظره ، وأولاه عنايته ورعايته ودعا له[٥] .

وظهرت على جلال الدين السيوطي منذ نعومة أظافره علامات الفطنة وأمارات الذكاء فحفظ القرآن وهو دون الثامنة من عمره[٦] ، ثم حفظ متون الفقه والنحو وأخذهما عن جماعة من شيوخ عصره ، ولزم العلاّمة شيخ الإسلام علم الدين البلقيني إلى أن توفي سنة ٨٦٨هـ ، وكذلك لزم الإمام شرف الدين المناوي المتوفى سنة ٨٧١هـ ، ودرس عليه إلى أن مات ، ولزم في الحديث والعربية تقي الدين الشمني المتوفى سنة ٨٧٢هـ ، ومن الذين لازمهم السيوطي كثيراً الإمام العلاّمة محيي الدين الكافيجي المتوفى سنة ٧٨٩هـ ، فقد لزمه السيوطي أربع عشرة سنة[٧] ،

(٤) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد المعروف بابن الهمام . انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي (نشر مكتبة الحياة ، بيروت) : ١٢٧/٨ ، وبغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦١م) : ١٦٦/١ .

(٥) انظر طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة ، للسيوطي ، مطبوعة ضمن (شرح مقامات السيوطي) بتحقيق سمير الدروبي (ط مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٩م) ٨١٥/٢ وللفتح المبين ، للمراغي (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٧٤م) ٦٥/٣ .

(٦) حسن المحاضرة : ٣٣٦/١ ، بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي ، مخطوطة محفوظة بمكتبة شستربتي رقم ٤٤٣٦ ق ٩/ب .

(٧) التحدث بنعمة الله ص : ٢٤١ ، وحسن المحاضرة : ٣٣٨/١ .

وقد ذكر الشيخ الشعراني - تلميذ السيوطي - في طبقاته الصغرى أن شيوخ السيوطي بلغوا ستمائة نفس ورتبهم في أربع طبقات :

الأولى : من يروي عن أصحاب الفخر بن النجار ، والشرف الدمياطي ، ووزيره ، والحجار ، وسليمان بن حمزة ، وابن أبي نصر الشيرازي ، ونحوهم .

الثانية : من يروي عن السراج البلقيني ، والحافظ ابن أبي الفضل العراقي ، ونحوهم وهم دون التي قبلها في العلو .

الثالثة : من يروي عن الشرف ابن الكويك ، والجمال الجيلي ، ونحوهم وهم دون الثانية .

الرابعة : من يروي عن أبي زرعة العراقي ، وابن الجوزي ، ونحوهما ، وهذه لتكثير العدة وتكبير الحجم[٨] . ولم أرو عنهم شيئاً لا في الإملاء ولا في التخريج ولا في التأليف[٩] .

وقد حرص السيوطي على ترجمة مشايخه الذين أخذ عنهم العلم فوضع فيهم خمسة مصنفات وهي :

١ - حاطب ليل وجارف سيل ، وهو معجم شيوخه الكبير ، أشار إليه عند ذكر مؤلفاته في كتابه « حسن المحاضرة » في فن التاريخ

(٨) الطبقات الصغرى للشيخ عبد الوهاب الشعراني ، تحقيق عبد القاهرة عطا (ط١ ، ١٩٧٠م نشر مكتبة القاهرة) ص : ١٩ . وانظر التحدث بنعمة الله للسيوطي ص : ٤٣ ، وفهرس الفهارس والأثبات للشيخ عبد الحي الكتاني : ١٠١٣/١ (ط ، دار الغرب الإسلامي بيروت) .

(٩) التحدث بنعمة الله ص : ٤٣ ، والمنجم في المعجم للسيوطي : ق ١/ب مخطوطة محفوظة بمكتبة الشيخ عارف حكمت في المدينة المنورة رقم ٩٠٠/٢٣١ ، وبهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي ق ١٢/ب .

والأدب[١٠] .

٢ – زاد المسير في الفهرست الصغير ، ورد ذكره في فهرست مؤلفاته[١١] .

٣ – فهرست المرويات ، ويسمى « إنشاب الكتب في أنساب الكتب » ، وقد ورد ذكره في فهرست مؤلفاته ، وأشار إليه حاجي خليفة في كشف الظنون[١٢] .

٤ – المنتقى ، وهو المعجم الصغير ، وقد ذكره السيوطي في كتابه حسن المحاضرة[١٣] .

٥ – المنجم في المعجم وقد ذكره في فهرس مؤلفاته في فن التاريخ وتعليقاته ، وقد قال في مقدمته : « هذا معجم ذكرت فيه أعيان الشيوخ الذين سمعت منهم الحديث أو أجازوا لي وهي ثلاث طبقات »[١٤] ، وقد تقدم ذكرهم .

---

(١٠) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة : ٩٤٨/٢ ، فهرس الفهارس : ١٠١٨/٢ .

(١١) فهرست الكتب التي صنفها شيخ الإسلام السيوطي ، مخطوط محفوظ بمكتبة الأسد الوطنية رقم (٥٨٩٦) ق ٣٧/ب ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي لمحمد الشرقاوي إقبال (ط ، الرباط ١٩٧٧م) ص : ٢١٤ .

(١٢) فهرست الكتب التي صنفها السيوطي للسيوطي ، مخطوط ق ٣٦/ب ، حسن المحاضرة : ٣٤١/١ ، كشف الظنون : ٦٧٠/٦ ، فهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ ، مكتبة الجلال السيوطي ص : ٩٣ و ٢٧١ .

(١٣) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، فهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ .

(١٤) المنجم في المعجم ق : ١/ب ، وانظر فهرست مؤلفاته ق : ٣٩/أ .

وقام السيوطي بعدة رحلات ضمن مصر وخارجها فرحل إلى الفيوم والمحلة ودمياط والرشيد والإسكندرية[١٥]، وحج وشرب من ماء زمزم ودعا أن يصل في الفقه إلى رتبة شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر[١٦] . وقد جمع فوائد هذه الرحلة وما وقع له وما ألفه أو طالعه أو نظمه أو أخذ عن الشيوخ في كتاب سماه «النحلة الزكية في الرحلة المكية»[١٧] . ولما رجع من هذه الرحلة انتصب للتدريس فلم يرد طالباً ولا مبتدئاً ولا فاضلاً كما حدث عن نفسه[١٨] ، وذلك من شوال سنة سبعين وثمانمائة .

وبدأ إملاء الحديث بالجامع الطولوني ، وتصدى للإفتاء من سنة إحدى وسبعين ، وقد بلغ درجة الترجيح والاجتهاد يقول في كتابه التحدث بنعمة الله : « ولما بلغت درجة الترجيح لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي وإن كان الراجح عندي خلافه ، ولما بلغت رتبة الاجتهاد المطلق لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه »[١٩] .

وولي تدريس الحديث بالشيخونية[٢٠] ، وتولى عدة مناصب أخرى ، وقد تتلمذ له كثيرون من الفطاحل والنابغين منهم ابن إياس الحنفي صاحب بدائع الزهور الذي يطلق على الشيخ كلما ذكر « شيخنا » ،

(١٥) التحدث بنعمة الله ص : ٨٣ .

(١٦) حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ ، التحدث بنعمة الله ص : ٧٩ .

(١٧) التحدث بنعمة الله ص : ٧٠ .

(١٨) التحدث بنعمة الله ص : ٨٨ ، ونقل ذلك عنه تلميذه الشاذلي في بهجة العابدين : ق ١٣/أ .

(١٩) التحدث بنعمة الله ص : ٩٠ ، وانظر الطبقات الصغرى : ٢٠ ــ ٢١ .

(٢٠) التحدث بنعمة الله ص : ٩٠ ، وانظر الضوء اللامع للسخاوي : ٦٦/٤ .

ومنهم أيضاً الشيخ عبد القادر الشاذلي المتوفى سنة ٩٣٥هـ صاحب كتاب « بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين » ، ومنهم المحدث محمد بن علي شمس الدين الداودي المالكي صاحب طبقات المفسرين ، وله كتاب في ترجمة الحافظ السيوطي شيخه ، ومنهم أيضاً المحدث والمؤرخ ابن طولون الصالحي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ صاحب « القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية » ، والإمام العلاّمة محمد بن عبد الرحمن العلقمي المتوفى سنة ٩٦٩هـ صاحب المؤلفات العديدة في الحديث وغيره .

وقد كملت عنده آلات الاجتهاد ورزق التبحر في كثير من العلوم كما يحدث بذلك عن نفسه تحدثا بنعم الله تعالى لا فخراً ورياء . وصنف الكتب الكثيرة حتى صار يطلق عليه ابن الكتب(٢١) ، وقد جمع الأستاذ محمد الشرقاوي إقبال كتب الإمام السيوطي في كتاب سماه « مكتبة الجلال السيوطي » فبلغ عدد مؤلفاته فيه (٧٢٥) كتاباً منها ما هو مكرر ومنحول .

يقول السيوطي متحدثاً بنعم الله عليه : « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت ذلك من فضل الله لا بحولي ولا بقوتي ... »(٢٢) .

وكان آية كبرى في سرعة التأليف حتى قال تلميذه الداودي : « عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً وكان

---

(٢١) وذلك لأن ولادته كانت بين الكتب ، انظر المنح البادية للفاسي ق : ٣ ، والنور السافر للعيدروسي ص : ٥١ .

(٢٢) حسن المحاضرة : ٣٣٠/١ .

مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض عنه بأجوبة حسنة »[٢٣] .

وقد انتشرت كتبه في حياته شرقاً وغرباً ، وشهرة كتبه تغني عن ذكرها[٢٤] .

وقد عد من مناقبه كثرة كتبه ومؤلفاته قال تلميذه الشعراني : « ومناقب الشيخ كثيرة مشهورة ، ولو لم يكن له من الكرامات إلا إقبال الناس عليه في سائر الأقطار ، وعلى كتبه ومؤلفاته ومطالعتها لكان ذلك كفاية لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف[٢٥] » .

ولما بلغ الشيخ السيوطي أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به صرفاً والإعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنه لم يعرف أحداً منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته وترك الإفتاء والتدريس وألف كتاباً سماه « التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس »[٢٦] . وأقام في روضة المقياس فلم يتحول منها إلى أن مات . ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل مدة سكناه[٢٧] .

وكان رحمه الله تعالى مترفعاً على أهل الدنيا بل على ملوكها وسلاطينها متعززاً عليهم متعففاً عنهم معرضاً عما في أيديهم لا يلتفت إليهم ولا يداهنهم ولا يرائيهم بل لا يتردد إلى أحد أصلاً ، لا في الخلوة ولا في

---

(٢٣) شذرات الذهب لابن العماد : ٥٣/٨ ، وفهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ .

(٢٤) قسمها في كتابه التحدث بنعمة الله ص : ١٠٥ إلى سبعة أقسام ، وذكر ذلك الشاذلي في بهجة العابدين ق ١٤/أ .

(٢٥) الطبقات الصغرى ص : ٣٦ ، وانظر شذرات الذهب : ٥٤/٨ .

(٢٦) عرض لها الأستاذ مرزوق علي إبراهيم في مجلة الاعتصام جانفي ١٩٠٠م .

(٢٧) بهجة العابدين ق ٢٩/ب ، والطبقات الصغرى ص : ٣٢ ، وشذرات الذهب : ٥٣/٨ .

الـملأ ، وألف في ذلك رسـالة سماها « ما رواه الأسـاطين في المجيء إلى السلاطين[٢٨] » .

قال ابن العماد : « وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها ، وأهدى إليه الغوري[٢٩] خصياً وألف دينار ، فرد الألف وأخذ الخصي ، فأعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : « لا تعد تأتينا بهدية قط ، فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك »[٣٠] .

وفي سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة توفي الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في منزله بروضة المقيـاس بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه اليسرى يقال إنه الخلط الحاد ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة ، رحمه الله تعالى[٣١] .

(٢٨) وقد قام بتحقيقها الأخ الصديق طه بوسريح التونسي ، وهي قيد الطباعة .

(٢٩) هو السلطان الأشرف قانصوه الغوري الجركسي ، ولد سنة ٨٥٠هـ ، وترقى في المناصب إلى أن صار سلطاناً ، قتل في معركة قرب مرج دابق شمالي حلب ٩٢٢هـ ، ولم يعثر له على أثر . انظر بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي ، تحقيق د. محمد مصطفى (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م) : ٨٦ – ٨٧ ، وشذرات الذهب : ١١٣/٨ .

(٣٠) شذرات الذهب : ٥٣/٨ ، وانظر الطبقات الصغرى ص : ٣٤ ، والكواكب السـائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي ، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور (ط٢ ، بيروت ١٩٧٩) : ٢٢٨/١ .

(٣١) الطبقـات الصـغرى ص : ٣٦ ، بهجـة العـابدين ق : ٤٣/أ ، شـذرات الذهب : ٥٥/٨ ، النور السافر ص : ٥١ ، الكواكب السائرة : ٢٣١ ، وللعلاّمة أحمد تيمور باشا رسالة في قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه .

جهود الإمام السيوطي في علوم القرآن :

لقد فطر الله تعالى الإمام السيوطي على حب القرآن الكريم وحفظه منذ الصغر ، فقد ذكر أنه حفظ القرآن وهو دون ثماني سنوات[٣٢] ، وهذا دليل ذكائه ونبوغه ، فمن كان هذا حاله لا يستبعد أن يدهشنا بمثل هذه المؤلفات التي تركها والتي يعجز الواحد منا عن قراءتها فضلاً عن تحريرها وتأليفها .

وقد ابتدأ السيوطي تأليفه بالقرآن الكريم ، فكان أول شيء ألفه « شرح الاستعاذة والبسملة » ، وقد اطلع عليه شيخه البلقيني فأقره وأعجبه وكتب عليه تقريظاً[٣٣] ، ثم توالى تأليفه بعد ذلك .

وقد رزقه الله تعالى عقلية خصبة وفكراً معطاء وذكاءً وقاداً مما جعله يتبحر في كثيرٍ من العلوم والفنون ، وقد كانت علوم القرآن من جملة العلوم التي ذكرها أثناء تحدثه عن نعم الله عليه . فقال : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم »[٣٤] .

والسيوطي شديد الاعتداد بنفسه وكتبه ، وكثيراً ما يقول : « إن هذا الكتاب لم يؤلف مثله » ، وهو عندما صنف مؤلفاته في كتابه

---

(٣٢) حسن المحاضرة : ١/٣٣٦ .

(٣٣) ذكر الإمام السيوطي نص التقريظ في كتابه « التحدث بنعمة الله » ص : ١٣٧ .

(٣٤) حسن المحاضرة : ١/٣٣٨ ، التحدث بنعمة الله ص : ٢٠٣ .

« التحدث بنعمة الله » جعل القسم الأول لما تفرد فيه ولم يسبقه إليه أحد فقال : « ولا يعلم لهذا القسم نظير في الدنيا » وهذا لا على سبيل عجز المتقدمين وإنما لعدم تصديهم لمثل هذه الموضوعات ، أما علماء عصره فيقول : « فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله لما يحتاج إليه من سعة النظر وكثرة الاطلاع وملازمة التعب والجد »(٣٥) ومن جملة ما ذكره تحت هذا القسم في علوم القرآن خاصة :

١ – الإتقان في علوم القرآن .

٢ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

٣ – ترجمان القرآن .

٤ – أسرار التنزيل (وهو المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار).

٥ – الإكليل في استنباط التنزيل .

٦ – تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور(٣٦) .

هذا وقد وقفت على مخطوطة لكتب الإمام السيوطي ذكرها تلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتابه « بهجة العابدين » ذكر فيها : هذا فهرست العالم العلاّمة حافظ العصر الجلال السيوطي من نسخة عليها خط المؤلف سامحه الله ورحمنا به دنيا وأخرى(٣٧) » وسأنتقي منها ما يتعلق بعلوم

(٣٥) التحدث بنعمة الله ص : ١٠٥ ، بهجة العابدين ق : ١٤/أ .

(٣٦) لقد بالغ السيوطي رحمه الله تعالى في دعواه هذه فقد استعان هو نفسه بكتب من سبقه ، وقد اطلع على كتاب البرهان للزركشي وأعجب به ، وكذلك على كتاب شيخه البلقيني ، وقد سبقه إلى ما ادعاه من تأليف ابن أبي حاتم في التفسير ، وكذلك الطبري ، والبقاعي في كتابه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » .

(٣٧) بهجة العابدين ق : ٣٥/أ، وهناك نسخة أخرى مخطوطة محفوظة في مكتبة الأسد الوطنية رقم ٥٨٩٦ ضمن مجموع ، وقارن مع حسن المحاضرة : ١/٣٣٩ – ٣٤٠ .

القرآن وتعلقاته :

١ - الدر المنثور في التفسير المأثور (اثنا عشر مجلداً كباراً) .

٢ - التفسير المسند ويسمى (ترجمان القرآن) خمس مجلدات .

٣ - الإتقان في علوم القرآن (مجلد ضخم) .

٤ - الإكليل في استنباط التنزيل .

٥ - لباب النقول في أسباب النزول .

٦ - الناسخ والمنسوخ في القرآن .

٧ - مفحمات الأقران .

٨ - أسرار التنزيل يسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) كتب منه إلى آخر سورة براءة ، في مجلد ضخم .

٩ - تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي ، وذلك من أول القرآن إلى آخر سورة الإسراء (مجلد لطيف ممزوج) .

١٠ - تناسق الدرر في تناسب السور .

١١ - حاشية على تفسير البيضاوي تسمى (نواهد الأبكار وشوارد الأفكار) أربع مجلدات .

١٢ - التحبير في علوم التفسير (جزء لطيف) .

١٣ - معترك الأقران في مشترك القرآن .

١٤ - المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب .

١٥ - خمائل الزهر في فضائل السور .

١٦ - ميزان المعدلة في شأن البسملة .

١٧ - شرح الاستعاذة والبسملة .

١٨ - مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع .

١٩ - الأزهار الفائحة على الفاتحة .

٢٠ – فتح الجليل للعبد الذليل في قوله تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ الآية ، استنبط منها مائة وعشرين نوعاً من أنواع البديع .

٢١ – اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى .

٢٢ – المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ .

٢٣ – دفع التعسف عن إخوة يوسف .

٢٤ – إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة .

٢٥ – الحبل الوثيق في نصرة الصديق ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ .

٢٦ – الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ .

٢٧ – المحرر في قوله تعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ .

٢٨ – مفاتيح الغيب ، كتب منه من ﴿ سبح ﴾ إلى آخر القرآن في مجلد .

٢٩ – ميدان الفرسان في شواهد القرآن (كتب منه يسير) .

٣٠ – مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن (وهو مختصر مجاز القرآن للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، كتب منه يسير) .

٣١ – [ألفية في القراءات العشر][٣٨] .

٣٢ – شرح الشاطبية (ممزوج) .

---

(٣٨) من نسخة دار الكتب الوطنية بدمشق العامرة .

٣٣ – الدر النثير في قراءة ابن كثير .

٣٤ – منتقى من تفسير الفريابي .

٣٥ – منتقى من تفسير عبد الرزاق .

٣٦ – منتقى من تفسير ابن أبي حاتم (مجلد) .

٣٧ – القول الفصيح في تعيين الذبيح .

٣٨ – الكلام على أول سورة الفتح ، وهو تصدير المتوكلي .

انتهى ما ذكر من مؤلفات الإمام السيوطي في المخطوط . ويمكنني أن أضيف على ما ذكر السيوطي في فهرست مؤلفاته من كتابه « حسن المحاضرة » كتاب :

٣٩ – مجمع البحرين ومطلع البدرين (الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية) الذي جعل « الإتقان » مقدمة له .

٤٠ – المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والرومية والهندية إلخ .. وقد ذكره بروكلمان(٣٩) .

٤١ – وله رسالة في أصول التفسير جردت من كتابه « النقاية »(٤٠) .

وبالنظر في عناوين كتب الإمام السيوطي في علوم القرآن أو حتى في غيرها من الفنون نراه كثيرا ما يهدف من تآليفه إلى تكوين مدرسة ثقافية متكاملة للفنون العلمية التي يتناولها بالبحث ، وهذه الحقيقة ظاهرة في مؤلفاته الكثيرة ، فكل مجموعة منها تمثل فناً متكاملاً بحث فيه كل ما يندرج تحت ذلك الفن من المسائل الجزئية والكلية . وقد رأينا ذلك واضحاً من

(٣٩) تاريخ الأدب العربي : G. II. 181

(٤٠) طبعت مع عدة رسائل في دمشق سنة ١٣٣١هـ ، بعناية الشيخ جمال الدين القاسمي .

خلال سرد كتبه في علوم القرآن ، فكل واحد منها يشكل حلقة مكملة لغيرها ، وتشكل في مجموعها فناً شاملاً وكاملاً لكل ما يتعلق بعلوم القرآن من فنون . وقد نبه السيوطي نفســه إلى هذه الحقيقـة في مقدمة كتابه « قطف الأزهـار » التي تعـد مقـدمتـه خير مثـال يوضـح جهوده في هذا النص ، وكيف أن كتبـه يكمل بعضها بعضـاً ، فقد جاء فيها قوله[٤١] :

« وبعـد فـإن الله سبحـــانه وله الحمد قد منّ علي بالنظر في علوم القرآن وحقـائقـه ، وتتبع أسـراره ووقائعه حتى صنفت في تعلقاته كتباً شتى منها التفسير الملقب « ترجمان القرآن » وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول الله ﷺ وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل ، وسمعوا منه التفسـير والتأويل ، ولما كان هذا التفسير المشار إليه نقلاً محضاً ليس فيه إعراب ولا سـرّ بياني أردفته بكتب ، من ذلك كتاب « الإتقان في علوم القرآن » وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير وأكثر قواعده كلية ... ، ثم وضعت في الأحكـام كتـاب « الإكليـل في استنبـاط التـنزيل » وهو مجلد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون في أحكام القرآن ... ، ثم أفردت كتاباً في أسباب النزول سميته « لباب النقول » بالغت في إيجازه وتحريره بحيث فاق الكتب المؤلفة في نوعه ، ثم أفردت كتاباً وجيزاً في المبهمات لم يؤلف في نوعه أجمع ولا أوجز (يعني بذلك كتاب « مفحمات الأقران في مبهمات

---

(٤١) لم أستطع الحصول على هذا الكتاب ، وقد رجع اليه الدكتور محمد سلمان في كتـابـه « السيوطي النحوي » ونقلت منه مقدمة السيوطي ص : ١٢٩ – ١٣٠ ، والمخطوط موجود في المكتبة السـليمانية باستنبول تحت رقم (٤١) مراد بخاري ، وقد أشار السيـوطي الى هذا الكتـاب وبيّن محتوياته في مقدمة كتـابه « تنـاسق الدرر في تنـاسب السـور » ، تحقيق عبـد الله الدرويش (ط دار الكتـاب العربي سـورية ١٩٨٣) ص : ٢٥ – ٢٦ .

القرآن ») ... ، ثم أفردت كرّاسة في ما وقع فيه (أي القرآن) من الألفاظ المعربة سميتها « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب » ... ، ثم كرّاسة سميتها « معترك الأقران في مشترك القرآن » فائقة معناها ، ثم مختصراً يسمى « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » وهذا لم يتم بعد ، ثم كتاباً يسمى « خمائل الزهر في فضائل السور » ، وهذا كتاب (يعني كتاب قطف الأزهار) شفعت به تلك ، ونظمته معها في سلك أسرار التنزيل ، أذكر فيه جميع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني ... ، فإذا تم هذا الكتاب وانضم إلى تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير » .

إلا أن هذا الكتاب لم يتم ، فقد ذكر السيوطي في فهرست مؤلفاته أنه كتب فيه إلى آخر سورة براءة ، وهو مجلد ضخم[٤٢] .

وبالنظر في كتب الإمام السيوطي نجد أن معظمها عبارة عن رسائل صغيرة ، وقد تداخلت أحياناً بعضها في بعض ، فمثلاً كتاب « مفحمات الأقران في مبهمات القرآن »[٤٣] نجده كله أو خلاصته في كتاب « معترك الأقران »[٤٤] ثم نجد كتاب « معترك الأقران » جزءاً من كتاب « الإتقان »[٤٥] .

---

(٤٢) فهرست مؤلفات السيوطي ق : ٣٥/أ ، انظر كشف الظنون : ١٣٥٢/٢ .

(٤٣) طبع عدة مرات ، فقد قام الأستاذ الدكتور مصطفى البغا بضبطه والتعليق عليه ، وطبع في مؤسسة علوم القرآن بدمشق ،الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، وقام الأخ إياد خالد الطباع بتحقيقه وطبعه في مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٦م .

(٤٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ، طبع في دار الكتب العلمية ١٩٨٨م ، وكان قد سبقه إلى تحقيقه علي البجاوي ، وطبع في مصر .

(٤٥) الإتقان في علوم القرآن ، طبع عدة مرات أيضاً بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع في بيروت ١٩٧٨م ، وكذلك قام الدكتور مصطفى البغا بالتعليق على هذا

و« تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور » ملخص من كتابه « أسرار التنزيل » وذكر ذلك في النوع الثاني والستين في مناسبة الآيات والسور من « الإتقان »[٤٦] ، وكذلك الأمر ينطبق على كتابيه « المهذب فيما وقع القرآن من المعرب »[٤٧] و« المتوكلي »[٤٨] فعندما طلب منه الخليفة العباسي « المتوكل على الله » أن يؤلف له كتاباً في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم وذكر أنها بلغة الحبشة أو الفرس أو غيرهم مما سوى العرب ، أجابه إلى طلبه وقام بإعادة ترتيب كتاب « المهذب » من حروف المعجم إلى ترتيب يقوم على أساس اللغات الحبشية ثم الفارسية ثم الرومية .. الخ ، وسماه « المتوكلي » باسم الخليفة ، وقد ورد جلّ ما في هذين الكتابين في كتابه « التحبير في علوم التفسير »[٤٩] النوع الأربعون (المعرب) وخلاصة هذه

= الكتاب ، وطبع في دار ابن كثير عام ١٩٨٧م في مجلدين ، وقارن كتاب « مفحمات الأقران » بـ « الوجه الثالث والثلاثين » من وجوه إعجاز القرآن .. في كتاب معترك الأقران : ١/٣٦٦ – ٣٨٤ « والنوع السبعون في المبهمات » من كتاب الإتقان : ٢/١٠٨٩ – ١١١٠ .

(٤٦) انظر الإتقان في علوم القرآن : ٢/٩٧٦ ، وقارن مع كتاب « تناسق الدرر .. » .

(٤٧) قام الدكتور التهامي الراجي الهاشمي بتحقيقه ، وطبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة في مطبعة فضالة بالمغرب .

(٤٨) طبع في دار البلاغة ، بيروت ١٩٨٨م بتحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي .

(٤٩) التحبير في علم التفسير وهو أقدم من كتاب « الإتقان » ويحتوي على مائة واثنين من أنواع علوم القرآن ، وموضوعات الكتابين متقاربة ، وقام الدكتور فتحي عبد القادر فريد بتحقيقه وطبعه في دار العلوم في الرياض ١٩٨٢م ، وسبق أن نشره في لاهور ، باكستان .

الكتب الثلاثة تجدها في الإتقان : النوع الثامن والثلاثون (فيما وقع فيه – أي القرآن – بغير لغة العرب) وذكر فيه أنه أفرد في هذا النوع كتاباً سماه « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب » .

ومن هنا يمكننا القول : إن كتاب « الإتقان » يحوي أكثر ماكتبه السيوطي عن القرآن في كتبه الأخرى فكأنه ، كتبها رسائل من مباحث مختلفة ترتبط بالقرآن من أسباب التنزيل إلى المتشابه فالمبهمات وتناسب السور والمعرب ... الخ ، ثم جمعها كلها في « الإتقان في علوم القرآن » الذي جعل اسمه أميل إلى الشمول ليضم مختلف البحوث الأخرى التي اتجه كل منها إلى مبحث خاص .

وانطلاقاً من هذا المبدأ فسأقتصر في بحثي عن علوم للقرآن عند الإمام السيوطي على كتاب يعدُّ من أعظم ما ألف السيوطي وهو :

الإتقان في علوم القرآن

بين لنا الإمام السيوطي في مقدمة كتاب الإتقان – كعادته في كل مؤلفاته – منهجه في هذا الكتاب وأهمية كتابه والمصادر التي رجع إليها والزيادات الضرورية التي ارتآها والتي لم يسبق إليها فقال : « ولقد كنت في زمن الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين ، وإنسان عين الناظرين ، خلاصة الوجود ، علاّمة الزمان ، فخر العصر وعين الأوان ، أبا عبد الله محيي الدين الكافيجي(٥٠) – مدّ الله في أجله ،

(٥٠) هو محمد بن سليمان بن سعد الدين بن مسعود محيي الدين الكافيجي ، أبو عبد الله سمي بالكافيجي لكثرة قراءته « الكافية » لابن الحاجب ، ولد قبل ثمانمائة تقريبا ، =

وأسبغ عليه ظله – يقول : قد دونت في علوم التفسير كتاباً لم أسبق إليه ، فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جداً ، وحاصل ما فيه بابان :

الأول : في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية .

والثاني : في شروط القول فيه بالرأي .

وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم(*) .

فلم يشف لي ذلك غليلاً ، ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً ، ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المذهب المطلبي علم الدين البلقيني(٥١) رحمه الله تعالى ، على كتاب لأخيه قاضي القضاة جلال الدين سماه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » فرأيته تأليفاً لطيفاً ، ومجموعاً ظريفاً ، ذا ترتيب وتقرير ، وتنويع وتحبير ... وذكر فيه ستة أمور تحتوي على خمسين نوعاً من أنواع علوم القرآن ، ثم تكلم في كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات ، فصنفت في ذلك كتاباً سميته « التحبير في علوم التفسير » ضمنته ما ذكر البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها ، وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها » .

= وتوفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة . انظر ترجمته في حسن المحاضرة : ٥٤٩/١ – ٥٥٠ ، بغية الوعاة : ١١٧/١ – ١١٩ ، الضوء اللامع : ٢٥٩/٧ ، المنجم في المعجم : ق : ٢٦/أ ، مخطوط محفوظ بمكتبة الشيخ عارف حكمت رقم : ٩٠٠/٢٣١ .

(*) هذا الكتاب اسمه التيسير في قواعد علم التفسير ، طبع بتحقيق ناصر بن محمد المطرودي (في دمشق ، دار القلم ، ١٩٩٠م) .

(٥١) هو شيخه قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين ، حامل لواء المذهب الشافعي في عصره ، ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وقد أخر السيوطي ترجمته بالتأليف ، وتوفي سنة ثمان وستين وثمانمائة . انظر حسن المحاضرة : ٤٤٤/١ – ٤٤٥ ، شذرات الذهب : ٣٠٦/٧ .

وقال في مقدمته بأن علوم القرآن كفنّ بقيت مهملة إلى أن عمل البلقيني كتابه « مواقع العلوم » فنقحه وهذبه وقسم أنواعه ورتبه ، ولم يسبق إلى هذه المرتبة ، ولكن كل مبتكر أمراً لابد أن يكون صغيراً ثم يكبر ، وقليلاً ثم يكثر ، كما قال أبو السعادات ابن الأثير في مقدمة نهايته : « كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه ، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر(٥٢) » .

فظهر لشيخنا السيوطي استخراج أنواع لم يسبق إليها ، وزيادة مهمات لم يستوف الكلام عليها فجرد الهمة إلى وضع كتاب في هذا العلم وجمع به شوارده ، وضم إليه فوائده حتى إذا تمّ وكمل سماه « التحبير في علم التفسير » وقسمه إلى مائة ونوعين ، وذكرها ، وتم هذ الكتاب كما يقول في سنة اثنتين وسبعين [وثمانمائة] .

ويتابع السيوطي مقدمته على الإتقان فيقول :

« ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً ، ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء ، هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك ، فبينا أنا أجيل في ذلك فكراً ، أقدم رجلا وأؤخر أخرى إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ، ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى « البرهان في علوم القرآن » . فتطلبه ووقف عليه فازداد به سروراً وحمد الله كثيراً وقوى عزمه على إبراز ما أضمره وشدد الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصده ، فوضع كتابه

(٥٢) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٥/١ . لابن الأثير ، تحقيق طاهر أحمد
= الزاوي ومحمود محمد الطناحي (نشر المكتبة الإسلامية) : ٥/١ .

« الإتقان » ورتب أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب « البرهان » كما يقول : « وأدمجت بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ما حقه أن يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشنف الآذان وسميته « الإتقان في علوم القرآن » وقسمته إلى ثمانين نوعاً كل نوع منه يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً » .

والإمام السيوطي قد ذكر في مقدمته أن كتابه « الإتقان » جعله مقدمة للتفسير الكبير الذي شرع فيه وسماه « مجمع البحرين ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية » . من خلال هذه المقدمة التي بين فيها السيوطي رحلته مع هذا الكتاب نخلص إلى ما يلي :

١ ـ إن الدافع له على تأليف هذا الكتاب هو ندرة الكتب المؤلفة في هذا العلم وعدم شمولها ، وأنه لم يشف غليله ما كتبه شيخه الكافيجي ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني .

٢ ـ قبل أن يؤلف « الإتقان » ألف كتاب « التحبير في علوم التفسير » ضمنه ما وقف عليه من كتب من سبقه وأضاف إليه ما أفاضت عليه قريحته من نقول .

٣ ـ وأنه لما عزم على تأليفه « الإتقان » سمع بـ « البرهان » للزركشي فلما وقف عليه سرّ به وأضاف إليه وأدمج ما يحتاج إلى إدماج وفصل ما يحتاج إلى فصل .

٤ ـ جعل كتاب « الإتقان » مقدمة لتفسير كبير له سماه « مجمع البحرين » .

هذا وقد لخص حاجي خليفة مقدمة السيوطي فقال : « الإتقان في علوم القرآن ـ مجلد أوله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ... الخ ،

للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ ، وهو أشبه آثاره وأفيدها ، ذكر فيه تصنيف شيخه الكافيجي واستصغره ، و« مواقع العلوم » للبلقيني واستقله ، ثم أنه وجد « البرهان » للزركشي كتاباً جامعاً بعد تصنيفه « التحبير » فاستأنف وزاد عليه إلى ثمانين نوعاً وجعله مقدمة لتفسيره الكبير الذي شرع فيه وسماه « مجمع البحرين » قال : « وفي غالب الأنواع تصانيف مفردة »[٥٣] .

وفي ختام مقدمة « الإتقان » ذكر الإمام السيوطي ما وقف عليه من تصانيف وهو معتد بنفسه وبكتبه كثيراً فيصف كتبه بالضخامة والفخامة وكتب غيره بالقلة والضآلة فيقول : « ومن المصنفات في مثل هذا النمط - أي الإتقان - وليس في الحقيقة مثله ولا قريباً منه ، وإنما هي طائفة يسيرة ونبذ قصيرة مثل :

« فنون الأفنان في علوم القرآن » لابن الجوزي .

« وجمال القراء » للشيخ علم الدين السخاوي .

« والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز » لأبي شامة .

« والبرهان في مشكلات القرآن » لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذله .

وكلها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبة رمل عالج[٥٤] ، ونقطة قطر في حيال بحر زاخر .

ويمتاز السيوطي في ذكر مراجعه بتصنيفها ، فهو لا يذكرها كلها جملة واحدة ، وإنما يصنفها طبقاً لموضوعاتها ، وقد صنف مراجعه في

(٥٣) كشف الظنون : ٨/١ .

(٥٤) عالج : موضع في جزيرة العرب به رمال .

« الإتقان » إلى نقلية ، فبلغ عددها (١٩) كتاباً ، ويذكر أنه رجع إلى جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى ، وإلى كتب القراءات وتعلقات الأداء ، فبلغت (١٣) كتاباً ، وإلى كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب فبلغت (٢٤) كتابا ، وإلى كتب الأحكام وتعلقاتها فبلغت (١٦) ، وإلى الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة فكانت (٥١) كتاباً ، وإلى كتب الرسم (٣) ، وإلى الكتب الجامعية (٧) ، وإلى تفاسير غيرالمحدثين فبلغت (٢١) تفسيراً ، فيكون مجموع ما ذكره ونص عليه (١٥٤) كتاباً عدا ما أغفله من كتب الحديث وغيرها .

وقد ساعده في الحصول على هذه الكتب تردده إلى المكتبة المحمودية ، وألف السيوطي فيها رسالة سماها « بذل المجهود في خزانة محمود »(٥٥) ، وكان أحد شيوخه وهو محمد بن سعد السيرامي خازناً لكتب الشيخونية والذي قال عنه السيوطي عندما ترجم له في كتابه « نظم العقيان »: « كان عالماً بالفنون مشهوراً بالصلاح، متصدياً لنفع الطلبة »(٥٦) أما منهج السيوطي في كتابه « الإتقان » فإنه يتمثل في تسمية النوع الذي يتحدث عنه وذكر أهم الكتب التي تناولته ، ثم شرح وتوضيح هذا النوع ، وبيان أهميته في تدبر القرآن الكريم وتفهم معانيه والاستشهاد على كل ما يقوله بالقرآن الكريم وكلام الرسول ﷺ وأقوال العلماء وإبداء رأيه في

(٥٥) وقد نشرها فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية (مصر) المجلد الأول ، الجزء الرابع ، مايو ١٩٥٨م ، ص : ١٢٨ .

(٥٦) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي تحقيق د. فيليب حتي (ط ، نيويورك ١٩٢٧م) ص : ١٤٩ .

(٧٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق د. يوسف المرعشلي وغيره : ٤٨٠/٢ .

كثير من الأحيان ، فعلى سبيل المثال لو رجعنا إلى النوع التاسع في « الإتقان »[٥٧] وهو معرفة سبب النزول نجده يقول : « أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز ، وقد اختصره الجعبري فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً » .

وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتاباً مات عنه مسوّدة ، فلم نقف عليه كاملاً . وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته « لباب النقول في أسباب النزول »[٥٨] .

قال الجعبري : « نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وفي هذا النوع مسائل » . وذكر خمس مسائل .

وهو أثناء ذكره ذلك يستشهد بأقوال الأئمة فيقول : قال ابن دقيق العيد ... وقال ابن تيمية ... قال الشافعي ... قال إمام الحرمين ... قال الزمخشري ... قال ابن جرير ... قال الحاكم في علوم الحديث ... وقال الزركشي في « البرهان » ... وقال ابن حجر في شرح البخاري ...

وهو لا يكتفي بنقل الأقوال فقط بل نجده يناقش العلماء في أقوالهم ويرد عليهم ويصحح رأي الآخرين ويوهم غيرهم فمثلاً في المسألة الثانية يقول : اختلف أهل الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ، يقول : والأصح عندنا الأول ... ثم يقول « قلت : ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ : احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات

(٥٧) الإتقان : ٩٢/١ .

(٥٨) طبع عدة مرات مستقلاً ، وعلى هامش تفسير الجلالين .

نزلت على أسباب خاصة ، شائعاً ذائعاً بينهم »[٥٩] .

ثم يقول : « فإن قلت فهذا ابن عباس ، لم يعتبر عموم ﴿لا تحسبن الذين يفرحون ... ﴾ قلت : أجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أن اللفظ أعم من السبب » .

وهو ينبه إلى أن الآية إذا نزلت في معين ولا عموم للفظها ، فإنها تقصر عليه قطعاً ويغلط من ذهب إلى غير ذلك[٦٠] .

وهو بعد ذكره أقوال العلماء في مسألة ما يخرج بنتيجة تلك الأقوال فعلى سبيل المثال يقول في المسألة الرابعة : « قال الواحدي :لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ... » ، وبعد ذكره أقوال العلماء في هذه المسألة يقول : « قلت : والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة » .

وفي آخر هذا النـوع ينبّـه فيقول : « تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة ، واشدد به يديك ، فإني حررته واستخرجته بفكري من استقراء صنيع الأئمة ومتفرقات كلامهم ، ولم أسبق إليه »[٦١] .

وإذا انتقلنا إلى النوع الثاني والستين في مناسبة الآيات والسور نجده يطبق منهجه بذكر من أفرد ذلك النوع بالتصنيف ، ويذكر أقوال العلماء فيه ، ويعرف المناسبة ، ويذكر فائدته وأسبابه ... الخ .

فيقـول : أفرده بالتـأليف العـلاّمة أبو جعفر بن الزبير – شيخ أبي

(٥٩) الإتقان : ٩٦/١ .
(٦٠) الإتقان : ٩٨/١ .
(٦١) الإتقان : ١٠٩/١ .

حيّان - في كتاب سماه « البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن » . ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » . وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات ، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة . وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته « تناسق الدرر في تناسب السور »(٦٢) .

ثم ذكر أهميته وأقوال العلماء فيه فمثلاً يقول : قال الإمام فخر الدين في تفسيره ، وقال ابن العربي ، وقال غيره ، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وقال الشيخ وليّ الدين الملوي ، ... ثم عرّف المناسبة فقال : « فضل المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما ... » ثم قال : « وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ... » ثم شرح ذلك بقوله : « ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض ، وإما ألا يظهر الارتباط ... » وبدأ بذكر الحالات في العطف بين الآيات وعدم العطف وأسباب ذلك ، وأردف ذلك بفصل في مناسبات فواتح السور وخواتمها ، وقد أفرده السيوطي بالتأليف وسماه « مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع »(٦٣) .

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ويأتي بالأمثلة على ذلك .

---

(٦٢) الإتقان : ٢/٩٧٦ .

(٦٣) يوجد منه عدة نسخ في المكتبة الأحمدية بتونس رقم ٨٧٢/١٥٨٥ ، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ٦٥/١٠٦١٧ ميكرو فيلم ، ويوجد نسخة أخرى في جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وهي مصورة عندي .

وهكذا يسير في كتابه كله منتقلاً من نوع إلى نوع ، وطبقاً لما ذكرته لك سابقاً[٦٤] . والسيوطي رحمه الله تعالى شديد الإعجاب بكتبه والحق معه فقد بذل في كتابه هذا جهده ، وجمع ما لم يتسن لغيره جمعه من المصادر والكتب وقد حفظت لنا كتبه الكثير من الكتب التي تعتبر في هذه الأيام في حكم المفقود ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء .

ففي آخر « الإتقان » يقول : « وقد منّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال ، المنيع المنال ، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل ، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصور الخوال ، أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل ، وبينت فيه مصاعد يرتقي فيها للإشراف على مقاصده ويتوصل ، وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل ، فيه لباب العقول ، وعباب المنقول ، وصواب كل قول مقبول ، مخضتُ فيه كتب العلم على تنوعها ، وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها ، وسبكت فقرها ، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبتّ عنده الأعناق بتاً ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى ... الخ »[٦٥] .

ولذلك فهو في آخر خطته على « الإتقان » يقول بعد سرده أنواعه : « فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج ، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في

(٦٤) ينظر للتوسع في ذلك النوع الثالث والخمسون : التشبيه والاستعارة ، والناسخ والمنسوخ ٢/٧٠٠ ، ولو نظرت في كل أنواع الإتقان لرأيت منهجه واحداً .

(٦٥) الإتقان : ٢/١٢٠٠ ، تعليق د. بغا .

ضمنها لزادت على الثلاثمائة وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ... »(٦٦) .

وقبل أن أختم هذا الفصل عن منهج الإمام السيوطي في « الإتقان » لابد من الإشارة إلى كتاب « البرهان في علوم القرآن » للزركشي(٦٧) وبيان مدى تأثر الإمام السيوطي به .

المقارنة بين الإتقان والبرهان

ذكر السيوطي في مقدمة كتابه « الإتقان » أنه اطلع على « البرهان » قبل الشروع في تأليف كتابه هذا فقال : « هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك ، غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك ، فبينا أنا أجيل في ذلك فكراً ، أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى « البرهان في علوم القرآن » فتطلبته حتى وقفت عليه »(٦٨) . وذكر أنه فرح بهذا الكتاب وازداد سروراً به ، ولكنه لم يثن عزمه عن وضع كتابه « الإتقان » بعد اطلاعه على « البرهان » ، فهل وجده ناقصاً أم أنه كان يخطط لوضع كتاب أكثر بسطاً وتفصيلاً ،

(٦٦) الإتقان : ٢٠/١ .

(٦٧) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، أبو عبد الله المنهاجي الزّركشي التركي الأصل المصري الشافعي ، أحد علماء القرن الثامن الهجري (٧٤٥ – ٧٩٤هـ) والزركشي على وزن جعفري ، نسبة لصناعة الزركش ، ولقب بذلك لأنه كان يشتغل بنسج الحرير قبل طلبه العلم . انظر مقدمة الدكتور يوسف المرعشلي على كتاب البرهان (ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٠م) : ١١/١ – ١٢ ، وقد سبق أن طبع في أربعة أجزاء بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٦٨) الإتقان : ١٤/١ .

يستقصي فيه كل ما وصل إليه من علوم كما قال : « خطر لي ان أؤلف كتاباً مبسوطاً ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء »(٦٩) ، فلم يجد ضالته في كتاب « البرهان » لما تميز به من عقلية موسوعية ، يقول السيوطي : « ولما وقفت على هذا الكتاب – أي البرهان – ازددت به سروراً ، وحمدت الله كثيراً ، وقوي العزم على إبراز ما أضمرته ، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته ، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن ، الجلي البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان »(٧٠) .

وقد ذكرت لك منهجه فيه وهو يذكر أنه خالف فيه ترتيب الزركشي فيقول : ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب « البرهان » وأدمجتُ بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ما حقه أن يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ما يشنف الآذان ، وسميته بـ « الإتقان في علوم القرآن »(٧١) .

بلغت الأنواع عند السيوطي ثمانين نوعاً ، بينما هي عند الزركشي سبعة وأربعون نوعاً ، فيكون بذلك قد أضاف ثلاثة وثلاثين نوعاً على ما في « البرهان » ، وهو عدد كبير يقارب ثلثي أنواع « البرهان » .

وهذه الزيادة منها ما هو توسعة لنوع واحد عند الزركشي ، كالنوع العاشر في « البرهان » وهو معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ، جعله السيوطي نوعين هما السابع : أول ما نزل ، والثامن : آخر ما نزل ، وكالنوع الحادي والأربعين في « البرهان » وهو تفسير القرآن ، جعله السيوطي خمسة أنواع هي : السابع

(٦٩) الإتقان : ١٣/١ .
(٧٠) الإتقان : ١٣/١ .
(٧١) الإتقان : ١٦/١ – ١٧ .

والسبعون : في معرفة شروط المفسر وآدابه ، والتاسع والسبعون : في غرائب التفسير ، والثمانون : في طبقات المفسرين ، وكان قد جعل النوع الثاني والأربعين : في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها ، وخير ما يمثل هذا ما ذكره الزركشي في النوع السادس والأربعين : في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة ، وقد قال عنه : « وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب ، وهو بيت القصيد »[٧٢] ، وقد بلغ عدد صفحاته (٧١٠)[٧٣] ، بينما ذكر السيوطي ذلك في عدة أنواع ، في « النوع التاسع والعشرون » : بيان الموصول لفظاً المفصول معنىً ، والرابع والأربعون : في مقدمه ومؤخره ، والسادس والأربعون : في مجمله ومبينه ، والتاسع والأربعون : في مطلقه ومقيده ، والثالث والخمسون : في تشبيهه واستعاراته ، والسادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب . والثامن والخمسون : في بدائع القرآن ، وهكذا .

ومنها ما هو جديد لم يذكره الزركشي في « البرهان » كالنوع الثاني : الحضري والسفري ، والثالث : النهاري والليلي ، والرابع : الصيفي والشتائي ، والخامس : الفراشي والنومي الخ . بينما لم أجد ما تفرد به الزركشي إلا نوعاً واحداً وهو النوع الأربعون : « معاضدة السنة للكتاب » . أما ما ذهب اليه بعض الباحثين[٧٤] من أن الزركشي انفرد في

---

(٧٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق د. يوسف المرعشلي وغيره : ٤٨٠/٢ .

(٧٣) وقد بلغت في النسخة المصرية بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (٧٨١) صفحة .

(٧٤) انظر مقدمة الدكتور يوسف المرعشلي على كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٨٢/١ (ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٠م) .

خمسة عشر نوعاً فغير صحيح ، وذلك لأن السيوطي ذكر هذه الأنواع في سياق أنواع أخرى ، ولم يفرد لها عنواناً كالزركشي ، فمثلاً النوع التاسع عشـر : معرفـة التصريف ، ذكر السيوطي مضمونه في ثلاثة أنواع هي الحـادي والثـلاثون : في الإدغام والإظهـار والإخفـاء والإقلاب ، والثـاني والثلاثون : في المد والقصر والنوع الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمز .

وكذلك الأمر في « النـوع الحـادي والعشـرون » : بـلاغة القرآن « معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ، ذكر السيوطي مضمون هذا النـوع في ثـلاثة أنواع أيضـاً هي : الثـالث والخمسـون في تشبيهه واستعـارتـه ، والســادس والخمسـون : في الإيجاز والإطنـاب ، والثـامن والخمسـون في بديع القرآن ، ولم يذكر السيوطي نوعاً في بلاغة القرآن ، وهذا لا يعني أن الزركشي قد تفرّد بهذا النوع وأن السيوطي قد أغفله ولم يأت على ذكره وإن لم يفرد له عنواناً مستقلاً .

ومما ذكره السيوطي أيضاً في مقدمته من وجوه المقاربة بينه وبين « البرهان » : « إدماج بعض الأنواع في بعض » .

فمن أمثـلة إدماجه بعض الأنواع في بعض إدماجه النوع الحادي عشـر : معرفة على كم لغـة نزل ، والنوع الثـاني عشر : في كيفية إنزاله ، جعلهما السيوطي نوعاً واحداً وهو السادس عشر : في كيفية إنزاله ، وذكر من جملة مسائله « الأحرف السبعة » وتوسع بها أكثر من الزركشي الذي جعلها تحت عنوان مستقل في النوع الحادي عشر .

وكذلك الأمر في النوع الثـالث والعشرين في « البرهان » : معرفة توجيه القراءات ، نجد السيوطي لم يفرد له نوعاً ، وإنما نبه على هذا الأمر في نهاية النوع السابع والعشرين في التنبيه السادس : « من المهم معرفة توجيه

القراءات ... » الخ .

وكذلك في النوع الثلاثين حيث ذكر الزركشي فيه : « هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن » ، ذكر السيوطي ذلك أيضاً في آخر النوع الخامس والثلاثين وهو في آداب تلاوته وتاليه حيث قال : « فصل في الاقتباس وما جرى مجراه » . ومن الأمور التي ذكرها السيوطي في معرض المقارنة بينه وبين « البرهان » أنه فصّل ما حقه أن يبان ، وزاد على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ... » .

فمن أمثلة ذلك أنه جعل غريب القرآن في (٦٣) صفحة بينما هو عند الزركشي في (٦) صفحات ، وهذه الزيادة ناشئة عن تضمينه أقوال العلماء في هذا النوع وما ساقه مما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة في غريب القرآن والمسائل التي وقعت بين ابن عباس ونافع بن الأزرق ، وقد ذكرها كاملة لتستفاد .

وكذلك الشأن في النوع السبعين : مبهمات القرآن ، فقد جعله في إحدى عشرة صفحة بينما هو عند الزركشي في ثمان صفحات فقط ، ومنشأ هذه الزيادة أنه اختصر هنا كتابه مفحمات الأقران في مبهمات القرآن »[٧٥] .

هذا وقد انفرد الزركشي بنوع واحد هو الأربعون : في بيان معاضدة السنة القرآن ، فلم أجد السيوطي قد تعرض له في إتقانه .
أما السيوطي فقد زاد على الزركشي أنواعاً كثيرة سأذكرها ضمن الجدول التالي :

(٧٥) انظر الإتقان : ١٠٩١/٢ ـ ١١١٠ .

جدول يبين ما انفرد به السيوطي أو زاد على الزركشي

رقم النوع	موضوعه
٢	الحضري والسفري
٣	النهاري والليلي
٤	الصيفي والشتائي
٥	الفراشي والنومي
٦	الأرضي والسمائي
١٠	ما نزل على لسان بعض الصحابة
١١	ما تكرر نزوله
١٢	ما تأخر حكمه عن نزوله ، وما تأخر نزوله عن حكمه
١٣	ما نزل مفرقاً ، وما نزل جمعاً
١٤	ما نزل مشيعاً ، وما نزل مفرداً
١٥	ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ
٢١	العالي والنازل
٢٩	بيان الموصول لفظاً ، المفصول معنى
٣٠	الإمالة والفتح وما بينهما
٣٤	كيفية تحمله
٤٢	قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها
٤٥	خاصه وعامه

رقم النوع	موضوعه
٤٦	مجمله ومبنيه
٤٩	مطلقه ومقيده
٥٠	منطوقه ومفهومه
٥٥	الحصر والاختصاص
٥٦	الإيجاز والإطناب
٦٧	أقسام القرآن
٦٩	الأسماء والكنى والألقاب
٧١	أسماء من نزل فيهم القرآن
٧٤	مفردات القرآن
٧٨	شروط المفسر وآدابه
٧٩	غرائب التفسير
٨٠	طبقات المفسرين

وهذا لا يعني أن الزركشي قد أغفل الحديث عن هذه الأنواع جملة ولكن قد تعرض للحديث عنها أو بعضها أحياناً ضمن نوع آخر ، وذلك لتداخل علوم القرآن وارتباطها بعضها ببعض والمراد أنه لم يفرد لها نوعاً مستقلاً .

والإمام السيوطي عندما أضاف هذه الأنواع لا يعني أنه قد أتى بشيء يعد بدعاً في علوم القرآن ، ولكن يعود الفضل إليه في لم شملها ، وجمع شتات هذه الأنواع في كتاب واحد ، حتى صارت وحدة متناسقة متكاملة ، وهذا ما أشار اليه السيوطي في آخر كتابه « الإتقان » بعد أن منّ

الله تعالى عليه بإتمامه فقال : « مخضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن ، فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز فخلّصت سبائكها ، وسبكت فقرها ، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبت عنده الأعناق بتاً ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى ... »[٧٦] .

وهذه قدرة عجيبة من السيوطي ، تدل على ذهنية متوقدة ، اتجهت به إلى مثل هذا الموضوع الفريد ، فطاف على مؤلفات كثيرة العدد ، مختلفة المشارب ، كثيرة الأقوال ، والمذاهب فحقق فيها ودقق حتى استبانت له وجوه الصواب فحشدها في كتاب ، بعد أن زودها بما له من ثاقب رأي وصائب فكر . مما جعل بعض الباحثين يقول[٧٧] :

« وهذا الكتاب في بابه شبيه بالمزهر في بابه ، وكل منها الغاية التي بلغها العلم الذي دوّن فيه . ولئن استطاع علماء اللغة من بعد السيوطي أن يضيفوا شيئاً جديدا إلى ما كتبه في « المزهر » فإن علماء القرآن وتاريخه لم يضيفوا إلى ما كتبه في « الإتقان » ، نظن ذلك غير آثمين » .

---

(٧٦) الإتقان : ١٢٩٠/٢ .

(٧٧) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (المطبعة النموذجية ، مصر) ، ٣٧٥/٣ .

السيوطي
وكتاب الأشباه والنظائر في الفقه

الدكتور محمد الزحيلي

درس السيوطي الفقه ودرَّسه ، وتبحر فيه ، وحلَّق به ، ثم مارس الإفتاء لبيان الأحكام الشرعية في المسائل والأسئلة المعروضة عليه ، وبلغ القمة العليا فيه ، ثم وصل إلى رتبة المجتهدين ، وصرّح بنسبة الاجتهاد المطلق لنفسه .

ولئن نازعه العلماء في دعوى الاجتهاد الذي يقتضي وضع مبادئ أصولية ، وقواعد اجتهادية مستقلة ، وهو لم يفعل ذلك في الحقيقة ، ولزم منهج الإمام الشافعي في أصول الفقه ، فلم ينازعه أحد في إدراك الغاية القصوى في الفقه . ويتمثل ذلك في الاشغتال الواسع فيه ، والممارسات الواسعة فيه ، والممارسات الواسعة في جوانبه ، ومعرفة أحكامه، وسبر أغواره ، وكشف أسراره ، وبيان علله وحِكمه ، والتعمق في المقاصد العامة ، والمسائل المتشابهة ، والفروق الدقيقة ، مما يفتح الباب أمامه لصياغة القواعد الكلية ، والضوابط الفقهية ، والفروق الفروعية ، وما يتصل بها مما ضمنه في كتبه ، مع ما استفاده من جهود السابقين في هذا المضمار بدراسته وفهمه وهضمه ، ثم بالزيادة عليه ، والتوسع فيه .

فلم يكن غريبا – بعد ذلك – أن يساهم السيوطي رحمه الله تعالى في تدوين القواعد الفقهية ، وأن يصنّف فيها كتابه الشهير « الأشباه والنظائر

في قواعد وفروع فقه الشافعية »[1] .

وكان موضوع « الأشباه والنظائر » ماثلاً في ذهن السيوطي وفكره ، ومستقراً في عقله وباطنه ، وشاغلاً باله ووقته ، فأولاه العناية والرعاية ، وصنَّف فيه كتابين : الأول :« الأشباه والنظائر » في الفقه ، والثاني : « الأشباه والنظائر في النحو »[2] .

وكان السيوطي – رحمه الله تعالى – يلم بالكتب التي صنفت في القواعد الفقهية خاصة ، وكتب الأشباه والنظائر عامة ، فيقول في مقدمة كتابه « الأشباه والنظائر في النحو » :« أول من فتح هذا الباب شيخ الإسلام ابن عبد السلام في « قواعده الكبرى » ، فتبعه الزركشي في « القواعد » ، وابن الوكيل في « أشباهه » . وقد قصد ابن السبكي بكتابه تحرير كتاب ابن الوكيل ، وذلك بإشارة والده »[3] .

---

(١) طبع هذا الكتاب المشهور عدة مرات في مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة ، وطبع أيضاً بمكة ، وصُوِّر عدة مرات في بيروت وغيرها ، واعتمدت في هذا البحث على الطبعة الأخيرة سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م من مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ويقع في مجلد كبير ، ويتألف من (٥٥٦) صفحة .

(٢) طبع كتاب « الأشباه والنظائر في النحو » في شركة الطباعة الفنية بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، وطبع مرات أخرى وصوِّر [منها طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق في أربعة أجزاء سنة ١٩٨٥ – ١٩٨٧م/المجلة] .

(٣) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ص٥ ، وذكرنا سابقاً كتب الأشباه والنظائر في الفقه على المذهب الشافعي ، وهي :« الأشباه والنظائر » لابن الوكيل ، و« الأشباه والنظائر » لابن السبكي ، و« الأشباه والنظائر » للإسنوي ، و« الأشباه والنظائر » لابن الملقن ، وغيرها ، ولا شك أن السيوطي اطلع على أكثرها أو كلها ، واستفاد منها ، وأضاف لها الشيء الكثير ، كما هو الشأن في اعتماد اللاحق على السابق ، (انظر : كشف الظنون ١/١٠٧) .

وقد رأينا أن نقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام ، نتناولها تباعاً فيما يلي :

القسم الأول
دراسة شاملة للكتاب

يتألف هذا القسم من أربعة مباحث :

١ ـ الفقه المذهبي :

إن هذا الكتاب الذي هو موضوع البحث « الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية » ، فهو في الفقه أولاً ، وفي مذهب الإمام المطلبي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) ثانياً ، وهو أحد المذاهب الفقهية المشهورة في العالم العربي والإسلامي ، ويتبعه مئات الملايين من المسلمين ، وقام على خدمته والتأليف فيه والتدريس آلاف العلماء والفقهاء ، والتزم العمل به والسير على أحكامه كثير من البلاد الإسلامية ، كما اعتمده كثير من القضاة في فصل المنازعات ، والحكم في الخلافات ، والبت في الدعاوى ، ويتعبَّد به ملايين الناس طوال التاريخ الإسلامي منذ العصر العباسي ، وحتى اليوم[1] .

وحصر الكتاب في فقه المذهب الشافعي لا يضير الكتاب ، ولا ينقص من أهميته ، لسببين :

الأول : أن التصنيف والتأليف كان في الغالب والشائع منحصراً في أحد المذاهب ، ولذلك وجدت كتب القواعد الفقهية ، والأشباه والنظائر

(١) انظر : كتابنا « تعريف عام بالعلوم الشرعية » طبع دار طلاس ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، وكتابنا « مرجع العلوم الإسلامية » طبع دار المعرفة بدمشق ، الطبعةالأولى سنة١٤١١هـ/١٩٩١م ، ففيهما دراسة مختصرة ، ومسهبة عن المذهب الشافعي .

في مختلف المذاهب ، وتنافس العلماء والفقهاء في هذا الخصوص ، وهو تنافس محمود ومشكور ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [سورة المطففين/٢٦] ، حتى وصلنا تراث فقهي زاخر ، وثروة تشريعية نضاهي بها العالم .

الثاني : أن القواعد الفقهية ، أو الأشباه والنظائر ، متشابهة بين المذاهب الفقهية ، وتكاد أن تكون متطابقة ، ومتفقة مع بعضها ، وواحدة في الصياغة والتعبير والأسلوب ، ولكن تختلف في الفروع والجزئيات والمسائل والتطبيقات المقررة على القاعدة . ومن هنا استفاد العلماء والفقهاء والمصنفون من مختلف المذاهب من بعضهم ، واقتبس كثير منهم القواعد من كتب المذهب الآخر ، وطبقها على فروع مذهبه وأحكامه . ويذكر أن أول من بدأ في تدوين القواعد – فيما وصلنا – أبو طاهر الدّباس ، إمام الحنفية فيما وراء النهر في القرن الرابع الهجري . ولما بلغ ذلك القاضي حسين ، إمام الشافعية في زمانه ، ردَّ جميع مذهب الشافعي إلى أربع قواعد .

وهذا ما صرح به ابن نجيم الحنفي رحمه الله تعالى في محاكاته كتاب « الأشباه والنظائر » لابن السبكي الشافعي ، فقال : « وأن المشايخ الكرام قد ألفوا لنا ما بين مختصر ومطول من متون وشروح وفتاوى ، واجتهدوا في المذهب والفتوى ، وحرروا ونقحوا ، شكر الله سعيهم . إلا أني لم أر لهم كتاباً يحكي كتاب الشيخ تاج الدين السبكي الشافعي ، مشتملاً على فنون الفقه ... فألهمت أن أصنع كتاباً على النمط السابق »[1] .

(١) الأشباه والنظائر ، ابن نجيم ص ١٥ .

٢ ـ أهمية فن الأشباه والنظائر :

القواعد الفقهية مهمة جداً ، وتنطبق أهميتها على علم الأشباه والنظائر لأن القواعد الفقهية جزء من فن الأشباه والنظائر ، وتشكل المنطلق الأول له ، وتحتل مكان الصدارة فيه . يضاف إلى هذه الأهمية والفوائد ما يحققه علم الأشباه والنظائر في بقية الجوانب والفروع كالقواعد الكلية ، والضوابط الفقهية ، والقواعد الأصولية ، والقواعد المختلف فيها كأساس لعلم الخلاف المعروف في الفقه الإسلامي ، والنظائر المتشابهة في أبواب الفقه ، وما أضافه بعض العلماء كابن نجيم ، كفن الألغاز ، والحيل ، والحكايات والمراسلات .

وكان السيوطي رحمه الله تعالى يدرك أهمية فن الأشباه والنظائر ، وحقيقة هذا العلم النافع المفيد ، ولذلك نبه عليه ، وصرح به في مقدمة كتابه ، فقال : « وكان من أجلّ أنواعه (الفقه) : معرفة نظائر الفروع وأشباهها ، وضم المفردات إلى أخواتها وأشكالها »[1] . ودلل السيوطي رحمه الله تعالى على أهمية هذا العلم بصعوبة العمل فيه ، ودقة البحث فيه ، ووعورة الطريق لسالكه ، فقال : « إن هذا الفن لا يدرك بالتمني ، ولا ينال بسوف ، ولعل ، ولو أني ، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر ، واعتزل أهله وشدَّ المئزر ، وخاض البحار وخالط العجاج ، ولازم الترداد إلى الأبواب في الليل الداج ، يدأب في التكرار والمطالعة بكرة وأصيلاً ، وينصب نفسه للتأليف والتحرير بياتاً ومقيلاً ، ليس له همة إلا معضلة يحلُّها ، أو مستعصية عزت على القاصرين ، فيرتقي إليها ويحلها ، يُردُّ عليه ويَردّ ، وإذا عذله جاهل لا يصدّ ، قد ضرب مع الأقدمين بسهم ،

---

(١) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ص٤ .

والغمر يضرب في حديد بارد ، وحلق على الفضائل ، واقتنص الشوارد :

وليس علـى الله بمستنكـر أن يجمـع العـالم في واحـد

يقتحـم المهامه المهولة الشـاقة ، ويفتح الأبواب المرتجة إذا قال الغبي : لا طاقة ، إن بدت له شاردة ردها إلى جوف الفرا ، أو شردت عنه نادرة اقتنصها ولو أنها في جوف السماء ، له نقد يميز به بين الهُباب والهَباء ، ونظر يحكم – إذا اختلفت الآراء – بفصل القضاء ، وفكر لا يأتي عليه تمويه الأغبياء ، وفهم ثاقب لو أن المسألة من خلف جبل قاف لخرقه حتى يصل إليها من وراء ، على أن ذلك ليس من كسب العبد ، وإنما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء »[1] .

وهذا كلام صحيح ، وليس فيه مبالغة أو تهويل ، لأن هذا العلم يعتمد على جمع الفروع والمسائل والجزئيات الفقهية في قواعد كلية ، وصياغة دقيقة ، وعبارات وجيزة ، كأنها أمثال وحكم ، مع معرفة أوجه الشبه ، وجوانب الاختلاف ، لوضع الضوابط ، وتقرير الفروق ، وملاحظة الأقوال المعتمدة في المذهب ، ونقاط الخلاف مع بقية المذاهب ، ولذلك لا يلج هذا الخضم إلا فطاحل العلماء ، وكبار الفقهاء ، وأساطين اللغويين والنحاة ، ولا يجرؤ على التصنيف فيه إلا النخبة المتفوقه النادرة من كبار المؤلفين والكتاب .

ثم قال السيوطي رحمه الله تعالى : « اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ، به يُطَّلع على حقائق الفقه ومداركه . ومآخذه وأسراره ، ويتمهَّر في

---

(١) المرجع السابق .

فهمه واستحضاره ، ويقتدر على الإلحاق والتخريج ، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة ، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان ، ولهذا قال بعض أصحابنا : الفقه معرفة النظائر »[1] .

٣ ـ الباعث على تصنيف « الأشباه والنظائر » :

وكأن هذه الأهمية لعلم الأشباه والنظائر ، وصعوبة مسلكه ، وقلة وارده ، إلا ممن مهر الفقه ، وعجنه وطبخه ، وألفه وعاش معه ، كأن هذه الأهمية أحسّ بها السيوطي رحمه الله تعالى ، وقد عرف من نفسه القدرة عليها ، وكأنها أصبحت فرض عين عليه ، يأثم إذا تركها ، ويجب عليه القيام بها وأداؤها .

لذلك قال عن كتابه : « وأنت إذا تأملت كتابي هذا علمت أنه نخبة عمر ، وزبدة دهر ، حوى من المباحث المهمات ، وأعان عند نزول الملمات ، وأنار مشكلات المسائل المدلهمات ، فإني عمدت إلى مقفلات ففتحتها ، ومعضلات فنقحتها، ومطولات فلخصتها ، وغرائب قل أن توجد منصوصة فنصصتها »[2] .

ثم صرح السيوطي بالباعث على تصنيف كتابه ، فقال : **واعلم أن الحامل لي على إبداء هذا الكتاب أني كنت كتبت من ذلك أنموذجاً لطيفاً** في كتاب سميته « شوارد الفوائد في الضوابط والقواعد » فرأيته وقع موقعاً حسناً من الطلاب ، وابتهج به كثير من أولي الألباب ، وهذا الكتاب

---

(١) الأشباه والنظائر ص٦ .

(٢) الأشباه والنظائر ص٥ .

هو بالنسبة إلى هذا كقطرة من قطرات بحر ، وشذرة من شذرات نحر ، وكأني بالناس وقد افترقوا فيه فرقا ... وكيف يقاس من نشأ في حجر العلم منذ كان في مهده ، ودأب فيه غلاماً وشاباً وكهلاً حتى وصل إلى قصده بدخيل ... لاحت منه التفاتة إلى العلم .. وفرقة آتاها الله هداها ، وألهمها تقواها ، وزكاها مولاها ، فرأت محاسنها وسناها ، وفوائده التي لا تتناهى ، فاعترفتْ بشكرها وثناها ، واغترفت من بحرها ، ولم يلوها عذل عاذل ولا تناها ... »[1] .

وقد لبى السيوطي رحمه الله تعالى نداء الواجب ، وحمل عبء المسؤولية على كتفيه ، وصنف هذا الكتاب ، لينهل منه الطلاب والعلماء ، ويستفيد منه المفكرون والباحثون ، ويقطف جناه الفقهاء والأصوليون ، ويتنافس في تقريره وتدريسه الجامعات في الدراسات العليا في مختلف البلاد .

٤ ـ مضمون « الأشباه والنظائر » وخطته :

إن الكتب التي صنفت في علم الأشباه والنظائر كانت مختلفة في مضمونها ومتباينة ، ولم يلتزم المؤلفون في القواعد الفقهية والأشباه والنظائر خطة واحدة في التأليف والتصنيف . وجاءت المصنفات في ذلك متنوعة في الترتيب أو المضمون .

فبعض المؤلفين صنف القواعد الفقهية على الترتيب الألفبائي ، فراعى في ذلك الحرف الأول من كل قاعدة ، دون النظر إلى موضوعها ، وسار على هذه الطريقة بدر الدين الزركشي في كتابه « المنثور في القواعد » وقال في مقدمته : « ورتبته على حروف المعجم ليسهل تناول طرازها

(١) الأشباه والنظائر ص٥ ، ٦ .

المعلم »[١] . وبعضهم اعتمدوا الترتيب الموضوعي من حيث شمولية القاعدة الفقهية والاتفاق عليها ، وقسموا القواعد إلى قواعد كلية ، يرجع إليها أغلب مسائل الفقه ، وقواعد كلية يرجع إليها بعض مسائل الفقه ، وقواعد خلافية بين المذاهب . وسار على هذه الطريقة أكثر مؤلفي كتب الأشباه والنظائر ، كابن السبكي وابن نجيم . والتزم نهجهم شيخنا السيوطي رحمه الله تعالى ، وأضاف إلى القواعد الفقهية ما يتعلق بالأشباه والنظائر ، كما سنرى . وهناك من المؤلفين من جمع القواعد الفقهية دون مراعاة لترتيب معين . وبعضهم رتبها حسب الأبواب الفقهية . وبعضهم رتبها حسب المباحث الأصولية ، ودمج القواعد الفهية معها .

واختلف التأليف في القواعد من حيث المضمون أيضاً . فبعض المصنفين دمج القواعد الفقهية مع القواعد الأصولية ، مثل الحافظ العلائي في « قواعده » والزنجاني في « تخريج الفروع على الأصول » والإسنوي في « التمهيد » . وهو ما فعله أبو زيد الدبوسي الحنفي في « تأسيس النظر » والعلامة القرافي المالكي في « الفروق » وابن اللحام الحنبلي في « القواعد والفوائد الأصولية » وابن رجب الحنبلي في « القواعد » وبعض المصنفين دمج القواعد الفقهية مع موضوعات فقهية أخرى . وقد يضيفون إليها مباحث عقائدية ، وهو ما فعله الزركشي في « المنثور » والإسنوي في « التمهيد » والقرافي في « الفروق » وغيرهم .

وجاء المصنفون في الأشباه والنظائر فا قتصروا على القواعد الفقهية ، ولكنهم أضافوا إليها بحوثاً جديدة تتصل بالموضوع مع اختلاف بينهم في هذه الإضافات . وانفرد بعض المؤلفين بمنهج خاص ، وترتيب مستقل كالعز بن

(١) المنثور في القواعد ١/٦٧ .

عبد السلام [١] .

وبيَّن السيوطي رحمه الله تعالى خطته في كتاب « الأشباه والنظائر » وحدد المضمون الفقهي له ، والمباحث التي تناولها فقال :

« وطالما جمعت من هذا النوع (القواعد الفقهية) جموعاً ، وتتبعت نظائر المسائل أصولاً وفروعاً ، حتى أوعيت من ذلك مجموعاً جموعاً ، وأبديتُ فيه تأليفاً لطيفاً ، لا مقطوعاً فضله ، ولا ممنوعاً ، ورتبته على كتب سبعة :

« **الكتاب الأول** : في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها .

الكتاب الثاني : في قواعد كلية ، يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية ، وهي أربعون قاعدة .

الكتاب الثالث : في القواعد المختلف فيها ، ولا يطلق الترجيح لظهور دليل أحد القولين في بعضها ، ومقابله في بعض ، هي عشرون قاعدة .

الكتاب الرابع : في أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها : كأحكام الناسي ، والجاهل ، والمكره ، والنائم ، والمجنون، والمغمى عليه ، والسكران ، والصبي ... وفروض الكفاية وسننها ، والسفر ، والحرم ، والمساجد ، وغير ذلك ، وفي ضمن ذلك قواعد وفوائد ، وتتمات وزوائد ، تبهج الناظر ، وتسر الخاطر .

الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب ، أعني التي هي من باب

(١) انظر : القواعد ، المقري مقدمة المحقق ١٣٩/١ ، المنثور في القواعد ، مقدمة المحقق ٢٥/١ ، الاستغناء في الفرق والاستثناء للبكري ، مقدمة المحقق ٦٦/١ .

واحد ، مرتبة على أبواب الفقه ، والمخاطب بهذا الباب والذي يليه المبتدئون .

الكتاب السادس : فيما افترقت فيه الأبواب المتشابهة .

الكتاب السابع : في نظائر شتى » .

ويختم السيوطي رحمه الله تعالى خطته ، فيقول : « واعلم أن كل كتاب من هذه الكتب السبعة لو أفرد بالتصنيف لكان كتاباً كاملاً ، بل كل ترجمة من تراجمه تصلح أن تكون مؤلفا حافلاً »[1] .

وخطة السيوطي واضحة جلية ، وتحدد مضمون الكتاب ، وأنه يجمع القواعد الفقهية ، والضوابط الفقهية ، والفروق ، والنظائر . وتشبه خطته كتاب ابن السُّبكي الشافعي ، وابن نجيم الحنفي . لكن ابن نجيم أضاف إلى كتابه « الفن الرابع : في الألغاز » و« الفن الخامس : الحيل » و« الفن السابع : الحكايات والمراسلات » . بينما نرى السيوطي تجنب ذلك وتحاشاه .

---

(١) الأشباه والنظائر ص٥ ـ ٦ .

ويحسن الإشارة هنا إلى كتاب السيوطي « **الأشباه والنظائر في النحو** » وبيان التشابه في الخطة ، وأنه رتبه على سبعة فنون ، كل قسم مؤلف مستقل ، له خطبة واسم ، وهي : **الأول** : المصاعد العلية في القواعد النحوية ، **الثاني** : تدريب أولي الطلب في ضوابط كلام العرب ، **الثالث** : سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب ، **الرابع** : اللمع والبرق في الجمع والفرق ، **الخامس** : الطراز في الألغاز ، **السادس** :المناظرات والمطارحات ، **السابع** : التبر الذائب في الأفراد والغرائب » . (انظر : كشف الظنون ١/١٠٧) ، وأشرنا سابقاً أن هذا الكتاب طبع عدة مرات ، وهو في أيدي الباحثين والنحويين والأدباء واللغويين .

القسم الثاني

دراسة شاملة للكتاب

سوف نقدم في هذه الدراسة تعريفاً لكل واحد من الكتب السبعة التي سبق ذكرها ، مع إلقاء الضوء على مضمونها ، وما تحتويه من قواعد وفروع وأمثلة فقهية وفوائد ومنافع .

الكتاب الأول : في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها :

هذا الكتاب يتناول أهم القواعد الفقهية التي أكملها السيوطي رحمه الله تعالى في الكتاب الثاني ، وأفرد هذه القواعد الخمس بالكتاب الأول نظراً لأهميتها وعمومها وشمولها ، ومحاولة الفقهاء إرجاع جميع الفروع إليها ، وتبناها جميع الفقهاء في مختلف المذاهب ؛ ووضعوها في كتبهم المذهبية ، وفي كتب القواعد والأشباه والفروق وكتب الفروع[1] .

ونظم بعض الشافعية هذه القواعد الخمس في أبيات من الشعر[2] ، فقال :

خمسٌ مُقَرَّرَة قواعدَ مذهب — للشافعي ، فكن بهنَّ خَبيرا
ضَرَرٌ يُزال ، وعادةٌ قد حُكِّمت — وكذا المشقةُ تجلِبُ التَّيْسرا
والشَّكُّ لا ترفعْ به متيقّناً — والقصدَ أخلِص إنْ أردتَ أجورا

وعرض السيوطي رحمه الله هذه القواعد بشيء من الإسهاب والتفصيل في خمس وتسعين صفحة من كتابه (٧ – ١٠١) ونعرض كل قاعدة منها باختصار شديد ، وهي :

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٧ .
(٢) المنثور في القواعد ١٨/١ .

القاعدة الأولى : الأُمور بمَقَاصِدِها :

شرحها السيوطي بسبعة مباحث ، بيَّن في الأول أصل هذه القاعدة من الأحاديث النبوية الصحيحة ، والموجزة ، والمحكمة ، والتي تعدُّ من جوامع الكلم[١] ، وأهمها الحديث المشهور « إنَّما الأعمال بالنيات » . وتواتر النقل عن الأئمة لقدر حديث النية ، قال أبو عبيد : ليس في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه . واتفق الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والحافظ ابن مهدي ، وأبو داود ، والدارقطني وغيرهم على أنه ثلث العلم ، ومنهم من قال ربعه . ووجه كونه ثلث وغيرهم على أنه ثلث العلم ، ومنهم من قال ربعه . ووجه كونه ثلث العلم أن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه ، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها ، لأنها قد تكون عبادة مستقلة ، وغيرها يحتاج إليها . وأراد الإمام أحمد بكونه ثلث العلم أنه أحد القواعد الثلاث التي تُردُّ إليه جميع الأحكام عنده . ونقل السيوطي الأحاديث التي تعتبر أصول الإسلام ، ومدار السنة أو الفقه كله عليها ، حتى قال ابن مهدي :
« حديث النية يدخل في ثلاثين باباً من العلم » ، وقال الشافعي : « يدخل في سبعين باباً[٢] .

وهنا ذكر السيوطي في المبحث الثاني ما يرجع إلى هذه القاعدة من أبواب الفقه إجمالاً ، وأهمها العبادات ، والجنايات ، والقصاص ، والحدود ، والطلاق ، واللقطة ، والأيمان ، والذبائح . ثم قال السيوطي : « فهذه

---

(١) الأشباه والنظائر ص٨ ، وجاءت هذه القاعدة في المادة الثانية من مجلة الأحكام العدلية .

(٢) الأشباه والنظائر ص٩ .

سبعون بابا ، أو أكثر دخلت فيها النية »[1] .

وفي المبحث الثالث عرض السيوطي ما شرعت النية لأجله ، كتمييز العبادات من العادات ، وتمييز رتب العبادات بعضها من بعض وضرب بعض الأمثلة الفقهية ، ثم بين ما يترتب على ذلك من الأحكام والنظائر الفقهية والمناقشات والآراء ، والضوابط ، والقواعد الفرعية ، والتنبيهات ، وخاصة اشتراط التعرض للفرضية ، والإخلاص في العمل لله تعالى[2] .

وانتقل السيوطي في المبحث الرابع إلى وقت النية ، وأن الأصل في وقتها أول العبادات ، ونحوها ، وذكر أمثلة من الفروع الفقهية ، وما يخرج عن هذا الأصل أحياناً[3] .

وحدد السيوطي في المبحث الخامس محل النية ، وهو القلب في كل موضع ، لأن حقيقتها القصد مطلقاً ، وقيل : القصد المقارن للفعل . وشرح صلة اللسان بالنية ، وأنه لا يكفي مجرد التلفظ باللسان دون القلب ، وأنه لايشترط مع القلب التلفظ ، وضرب أمثلة عملية من الفقه والأحكام الفرعيه من مختلف الأبواب ، وأن استثناء مواضع يكتفى فيها باللفظ هو رأي ضعيف[4] .

وعدَّد السيوطي في المبحث السادس شروط النية ، وهي : الإسلام ،

---

(١) الأشباه والنظائر ص١١ ، ويتفرع على هذه القاعدة وفروعها في المعاملات قاعدة مهمة ومشهورة ، وهي « العبرة في العقود للمقاصد والمعاني ، لا للألفاظ والمباني » ، وهي المادة الثالثة من المجلة .

(٢) الأشباه والنظائر ص١٢ – ٢٣ .

(٣) الأشباه والنظائر ص٢٤ – ٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٠ – ٣٥ .

والتميـيز ، والعـلم بـالمنـوي ، وأن لا يـأتي بِمُنَـاف . ودعم ذلك بالأدلة الشرعية والأمثلة الفقهية ، والاستثناءات في بعض الحالات . وختم المبحث بصور تصح فيها النية مع التردد أو التعليق[1] ، كما ختم البحث في القاعدة الأولى بالمبحث السابع بأمور متفرقة ، كالاختلاف في كون النية ركناً في العبـادات أم شـرطاً ، وبعض القواعد الأصـولية والفقهية والفروع المنثورة ونظـائرهـا المتعـددة[2] ، ثم قـال : « خـاتمـة : تجري قـاعدة « الأمور بمقاصدها » في علم العربية أيضاً » ، وذكر أمثلة لذلك[3] .

القاعدة الثانية : اليَقينُ لا يَزُولُ بالشَّك :

بدأ السيوطي بيان دليل هذه القاعدة من الأحاديث الصحيحة ، ثم قال : « اعلم أن هذه القـاعدة تدخل في جميع أبواب الفقـه . والمسـائل المخرجة عليها تبلغ ثلاثة أرباع الفقه وأكثر » .... ثم قال : « ويندرج في هذه القاعدة عدة قواعد »[4] . وبيّن القواعد الفرعية التي تدخل في هذه القاعدة ، منها « الأصـل بقاء ما كان على ما كان » و« الأصل براءة الذمة » و« من شك هل فعـل شيئـاً أم لا ، فالأصـل أنه لم يفعله » و« الأصـل (في الأمور العـارضـة) العدم » وقاعدة « الأصـل في كل حادث تقديره بأقرب زمن » وقاعدة « الأصل في الأشياء الإباحة ، حتى يدل الدليل على التحريم » وقاعدة « الأصـل في الأبضـاع التحريم » وقاعدة « الأصـل في الكلام الحقيقة» . وبين السيوطي أدلة كل قاعدة فرعية وأعطى أمثلة من المسائل الفقهيـة التي تدخل تحتها ، ثم شرح تعارض الأصـل والظـاهر ، وتعارض

(١) الأشباه والنظائر ص٣٥ ـ ٤٢ .
(٢) الأشباه والنظائر ص٤٣ ـ ٤٩ .
(٣) الأشباه والنظائر ص٤٩ ـ ٥٠ .
(٤) الأشباه والنظائر ص٥٠ ، ٥١ ، وهي المادة الرابعة من المجلة .

الأصلين ، وتعارض الظاهرين مع الأمثلة والفروع والمسائل . وختم الكلام عن القاعدة الثانية بفوائد ، الأولى : زوال حكم اليقين بالشك في بعض المسائل ، وأن الشك على ثلاثة أضرب ، وأن المراد بالأصل هو الاستصحاب المعروف في علم أصول الفقه كأحد أدلة التشريع[1] .

القاعدة الثالثة : المَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَيْسِير :

بعد أن بين السيوطي الأصل في هذه القاعدة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، قال : « قال العلماء : يتخرج على هذه القاعدة جيمع رخص الشرع وتخفيفاته[2] ، ثم عدد أسباب التخفيف في العبادات كالسفر والمرض والإكراه والنسيان والجهل والعسر وعموم البلوى . وشرح الرخص التي تثبت عند توتر كل سبب من الأسباب السابقة ، ثم ختم الكلام عن هذه القاعدة بفوائد مهمة في ضبط المشقة ، وأنواع التخفيف في الشرع ، وأقسام الرخص ، وتعاطي سبب الرخصة ، وأنه يتفرع على هذه القاعدة قاعدة أخرى قال بها الإمام الشافعي ، وهي « إذا ضاق الأمر اتسع » وشرحها ودلل عليها[3] .

القاعدة الرابعة : الضَّرَرُ يُزالُ :

وأصلها الحديث الصحيح في قوله ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » .

وقال السيوطي : « هذه القاعدة ينبني عليها كثير من أبواب الفقه »[4] ، وعددها ، ثم عرض القواعد التي تتعلق بهذه القاعدة ، وبين

---

(١) الأشباه والنظائر ص٥١– ٧٦ .

(٢) الأشباه والنظائر ص٧٦ ، ٧٧ ، وهي المادة ١٧ من المجلة .

(٣) الأشباه والنظائر ص٨٣ .

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٨٤ ، وهي المادة ٢٠ من المجلة .

الفروع الفقهية والمسائل الجزئية لكل ذلك . وهذه القواعد هي : « الضرورات تبيح المحظورات بشرط عدم نقصانها عنها » وقاعدة « ما أبيح للضروة يقدر بقَدْرها » . ونبه على أنه يخرج منها صور : العرايا ، والخلع ، واللعان . وأضاف فائدة أن مراتب المصالح خمس ، وهي ضرورة وحاجة ومنفعة وزينة وفضول ، ثم أضاف تذنيباً ، وقال : « قريب من هذه القاعدة ، ما جاز لعذر بطل بزواله »[1] ، كما يتفرع على القاعدة الأصلية قاعدة « الضرر لا يزال بالضرر » وقاعدة « إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما » وقاعدة « الحاجة تنزل منزلة الضرورة ، عامة كانت أم خاصة » .

ومجموع القاعدة الأصلية والقواعد التي تتعلق بها ، يشكل الأصل لنظرية الضرورة الشرعية ، التي أشرنا إليه في النظريات الفقهية .

القاعدة الخامسة : العادة مُحَكَّمة :

أشار السيوطي إلى أصلها ، وأنها تمثل أحد مصادر التشريع في أصول الفقه ، وهو العرف ، فقال : « اعلم أن اعتبار العادة والعُرف يرجع إليه في الفقه في مسائل لا تعد كثرة ، فمن ذلك ... »[2] ، وعدّدها ، ثم شرح ما يتعلق بهذه القاعدة في خمسة مباحث : الأول : فيما تثبت به العادة ، وذلك يختلف من باب فقهي إلى آخر ، والمبحث الثاني : إنما تعتبر العادة إذا اطّردت ، فإن اضطربت فلا ، وإن تعارضت الظنون في اعتباره فخلاف ، وفي ذلك فروع فقهية كثيرة ، واستطرد إلى فصل في تعارض العرف مع الشرع ، وفصل في تعارض العرف مع اللغة ، وفصل في

---

(١) الأشباه والنظائر ص٨٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٨٩ ، ٩٠ ، وهي المادة ٣٦ من المجلة .

تعارض العرف العام والخاص ، مع ذكر ضوابط لذلك وتنبيهات فيه ، والمبحث الثالث : العادة المطردة في ناحية ، هل تنزل عادتهم منزلة الشرط ؟ وفيه صور ، والمبحث الرابع : العرف الذي تحمل عليه الألفاظ ، إنما هو المقارن السابق دون المتأخر ، وأكد في المبحث الخامس على ضابط مهم للفقهاء ، وهو : كلُّ ما ورد به الشرع مطلقاً ، ولا ضابط له فيه ، ولا في اللغة ، يرجع فيه إلى العرف، وذكر السيوطي أمثلة لذلك ، كالحرز ، واليمين ، والتفرق في البيع ، والقبض ... وغير ذلك [1] .

وتوقف السيوطي رحمه الله تعالى عن بيان القواعد التي تتفرع على هذه القاعدة ، وجاءت في مجلة الأحكام العدلية فنشير إليها ، وهي : استعمال الناس حجة يجب العمل بها ، المادة ٣٧ ، إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت ، المادة ٤١ ، العبرة للغالب الشائع ، لا للنادر ، المادة ٤٢ ، الحقيقة تترك بدلالة العادة ، المادة ٤٠ ، الكتاب كالخطاب ، المادة ٦٩ ، الإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان ، المادة ٧٠ ، المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً ، المادة ٤٣ ، التعيين بالعرف كالتعيين بالنص ، المادة ٤٥ ، المعروف بين التجار كالمشروط بينهم ، المادة ٤٤ ، لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ، المادة ٣٩ [2] .

ومجموع هذه القواعد تكوِّن الشطر الأساسي لنظرية العرف والعادة في الفقه وأصوله [3] ، وبانتهاء الشرح على قاعدة « العادة محكمة » تنتهي القواعد الخمس الأساسية التي خصص لها السيوطي الكتاب الأول ، ثم

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٩٠ – ١٠١ .

(٢) انظر : المدخل الفقهي العام ٩٩٤/٢ .

(٣) انظر نظرية العرف في كتاب : المدخل الفقهي العام ٨٣٠/٢ وما بعدها ، العرف والعادة ، أبو سنة ص ١٣ .

انتقل إلى الثاني .

الكتاب الثاني : في قواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية :

عرض السيوطي في هذا الكتاب أربعين قاعدة . وهي قواعد فقهية كلية وعامة وشاملة ، ومعتبرة غالباً في كافة المذاهب ويقع الخلاف في إدخال بعض المسائل تحتها . ولكن هذه القواعد تأتي في الدرجة الثانية بعد القواعد الخمس الأولى ، ومجموعهما يشكل القواعد الفقهية بالاصطلاح الدقيق . وقد اقتصر بعض المصنفين عليها ، وما يتفرع منها ، وحصروا اهتمامهم في هذا النوع دون غيره .

وعرض السيوطي هذه القواعد الكلية الأربعين في ستين صفحة (١٠١ – ١٦١) ، وبين أصل كل قاعدة وتعليلها والتدليل عليها ، ثم ذكر الفروع الفقهية التي تدخل تحتها . ونختار فيما يلي : نماذج منها للعرض .

١ – الاجتهادُ لا يُنقَضُ بمثْله[1] . ونبه السيوطي في هذه القاعدة إلى أن تطبيقها في الاجتهاد والحكم القضائي ينحصر في الماضي ، ولكن يغير الحكم في المستقبل لانقضاء الترجيح الآن ، وأنه يستثنى من القاعدة صور ، وعدَّدها ، ثم أردف ذلك بفائدة عن السبكي ، وهي : « إذا كان للحاكم أهلية الترجيح ، ورجح قولاً بدليل جاز ونفذ حكمه ، وإن كان مرجوحاً عند أكثر الأصحاب ما لم يخرج عن مذهبه ... »[2] ثم ذكر لهذه القاعدة خاتمة ، وهي : « ينقض قضاء القاضي إذا خالف نصاً ، أو إجماعاً ، أو قياساً جلياً ، وقال القرافي : أو خالف القواعد الكلية ، قال

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠١ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ١٠٤ .

الحنفيـة : أو كان حكماً لا دليل عليه ، ... وقال السبكي : وما خالف المذاهب الأربعة فهو كالمخالف للإجماع [١] .

٢ ــ إذا اجتمع الحلال والحرام غُلِّب الحرام ، ولها فروع كثيرة ، ويخرج عنهـا فروع أيضـاً ، ويدخل فيها قاعدة : « إذا تعارض المانع والمقتضي ، قدم المانع » وقاعدة عكسية : « الحرام لا يحرم الحلال » وهي غير مسلمة [٢] .

٣ ــ تصرّف الإمام على الرعية مَنُوط بالمصلحة ، وبين السيوطي أن هذه القاعدة نص عليها الإمام الشافعي . وتحدد هذه القاعدة السياسة الشرعية للإمام ، والوظيفة الأساسية للدولة الإسلامية ، ولها فروع فقهية كثيرة ، ذكر السيوطي بعضها [٣] .

٤ ــ الحدود تُدْرَأ بالشبهات ، وهذه القاعدة جزء من حديث شريف ، خرّجه السيوطي ، وعدد رواته . وهذه القاعدة تعتبر محوراً رئيساً في الحدود الشرعية والقصاص ، لذلك صرح السيوطي بذلك فقال : « الشبهة تسقط الحد ... ، ويسقط القصاص أيضاً بالشبهة ... ، والشبهة لا تسقط التعزير ، وتسقط الكفارة » [٤] .

٥ ــ الخراج بالضمان ، وهذه القاعدة نص حديث صحيح ، أخرجه الشافعي وأحمد وأصحاب السنن ، كما بينه السيوطي ، وبين المراد من القاعدة ، والأمثلة لتطبيقها ، وما يردُّ عليها من الأسئلة والأجوبة [٥] .

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠٥ .
(٢) الأشباه والنظائر ص ١٠٥ ــ ١١٦ .
(٣) الأشباه والنظائر ص ١٢١ .
(٤) الأشباه والنظائر ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٥) الأشباه والنظائر ص ١٣٥ .

ونكتفي بهذه القواعد كنماذج للقواعد الكلية التي أفرد لها السيوطي الكتاب الثاني ، وبيّن الضوابط الفقهية التي تدخل فيها ، والقواعد التي تتفرع عنها[1] .

الكتاب الثالث : القواعد المختلف فيها ، ولا يطلق الترجيح ، لاختلافه في الفرع :

وهذه القواعد كما يظهر من عنوانها أنها من قواعد الخلاف ، وتمثل أحياناً الخلاف بين المذاهب ، ولذلك تعتبر قواعد مذهبية تخدم المذهب الذي يعتنقه المصنف ، وقد تكون أحياناً أخرى قواعد خلافية في نفس المذهب ، ويختلف فقهاء المذهب فيها ، وينتج عن الخلاف فيها بين المذاهب ، أو خلاف في مسائل فرعية في المذهب . ولذلك ترد معظم هذه القواعد بصيغ استفهامية ، إشارة إلى اختلاف العلماء فيها ، وبهدف شحذ الأذهان بها ، ولفت الأنظار إلى أهميتها ، وبيان المعاناة في ربط الفروع بأصولها وضوابطها .

وكثير من هذه القواعد توجد - في الأصل - في كتب الفقه ، وترد على ألسنة الفقهاء عند التعرض لسبب الخلاف في المسألة ، أو في كتب الفقه المقارن ، وكتب علم الخلاف ، كبداية المجتهد ، لابن رشد ، والمختصر الفقهي لابن الحاجب .

كما أن بعض الفقهاء حصر اهتمامه في هذا النوع من القواعد كالونشريسي المالكي في « إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك » ، وأبي زيد الدبوسي الحنفي في كتابه « تأسس النظر » . ويظهر ذلك في كتاب « تخريج الفروع على الأصول » للزنجاني الشافعي ، و« التمهيد في

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣٦ وما بعدها .

تخريج الفـروع على الأصـول » للإسنوي ، بينما وضع ابن نجيم بعض هذه القواعد في النوع الثاني من القواعد الكلية ولم يفردها لوحدها[١] .

وعرض السيوطي رحمه الله تعالى في الكتاب الثالث عشرين قاعدة مختلف فيها ، واكد انه لا يطلق الترجيح فيها ، لا ختلاف العلماء في فروعها ، وصاغها بطريقة السؤال ، ووزعها على مختلف أبواب الفقه ، ونذكر هنا نماذج منها :

« الجمعة : ظهر مقصورة ، أو صلاة على حيالها ؟ » « النذر : هل يسلك به مسلك الواجب أو الجائز ؟ » « العبرة بصيغ العقود أو معانيها ؟ » ، « الحوالة : هل هي بيع أو استيفاء ؟ » « الإبراء : هل هو إسقاط أو تمليك ؟ » ، « إذا بطل الخصوص هل يبقى العموم ؟ » ، « المانع الطارئ هل هو كالمقارن ؟ » . وذكر السيوطي الفروع الفقهية ، والمسائل المتعددة في كتب الفقه ، وآراء العلماء المختلفة في كل مسألة ، والتنبيهات والقواعد الفرعية لبعض القواعد الرئيسة[٢] .

الكتاب الرابع : أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها :

وهذ الأحكام شبيهة بالضوابط الفقهية التي تضم أحكاماً كثيرة في باب فقهي معين ، وقد عَدَّد السيوطي هذه الضوابط في خطة كتابه ، فقال : « كأحكام الناسي ، والجاهل ، والمكره ، والنائم ، والمجنون ، والمغمى عليه ، والسكران ، والصبي ... ، والأنثى ، والخنثى ، والمتحيرة ، والأعمى ، والكافر ، والجان ، والمحارم ، والولد ، والوطء ، والعقود ،

---

(١) انظر : الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ١٠٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، القواعد الفقهية للندوي ص ١٦٦ ، القواعد ، للمقري ، مقدمة المحقق ١/١١١ .

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٦٢ – ١٧٨ .

والفسوخ ، والصريح ، والكناية ، والتعريض ، والكتابة ، والإشارة ، والملك ، والدين ، وثمن المثل ، وأجرة المثل ، ومهر المثل ، والذهب والفضة ، والمسكن ،والخادم ، وكتب الفقه ، وسلاح الجندي ، والرُّطَب ، والعنب ، والشرط ، والتعليق ، والاستثناء ، والدُّور ، والحصْر ، والإشاعة ، والعدالة ، والأداء ، والقضاء ، والإعادة ، والإدراك ، والتحمل ، والتعبدية ، والموالاة ، وفروض الكفاية ، وسننها ، والسفر ، والحرم ، والمساجد ، وغير ذلك ، وفي ضمن ذلك قواعد وفوائد ، وتتمات ، وزوائد ، تبهج الناظر ، وتسر الخاطر »[1] .

ويظهر من بيان هذه المسائل أهميتها ، وكثرة وقوعها في الحياة ، وكثرة السؤال عنها ، والاستفتاء فيها ، مما يوجب على العالم والفقيه معرفتها ، ويقبح به جهلها ، لأنها من الأمور اليومية عند الناس . واستطرد السيوطي في بعضها ، كالقول في العقود ، فعرض تقسيمات العقود المختلفة[2] ، والفسوخ ، وفرقة النكاح ، والألفاظ الصريحة في أبواب الفقه المتعددة ، وأسهب الكلام في هذا الكتاب ، وتناول الفروع الفقهية الكثيرة ، والمسائل الجزئية المتكررة ، فغطى هذا الكتاب حَيِّزاً كبيراً من مُؤَلَّف السيوطي ، رحمه الله تعالى ، وكان أشبه بكتب الفقه في المذهب الشافعي[3] .

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٤ ـ٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٢٧٥ ـ ٢٨٧ .

(٣) الأشباه والنظائر ص ١٨٧ ـ٤٢٢ ، وتناول ابن نجيم أغلب هذه الموضوعات بعنوان الفن الثاني الفوائد ، ورتبها حسب الأبواب الفقهية . (الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ١٦٦ ـ ٣٠٠) .

الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب :

شرح السيوطي في هذا الكتاب الأحكام المتشابهة والنظائر والضوابط ، على ترتيب أبواب الفقه ، ابتداءً من كتاب الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، ثم البيع وبقية العقود ، ثم الفرائض ، والوصايا ، والنكاح ، والطلاق ، ثم القصاص ، والتعزير ، والحدود ، ثم الجهاد ، وأخيراً : القضاء والشهادات والدعوى والبينات واليمين . وبين السيوطي الأحكام الفقهية لأهم المسائل والضوابط لهذه الأبواب حسب المذهب الشافعي ، مما يقرب هذا الكتاب أيضاً من كتب الفقه في المذهب الشافعي[1] .

الكتاب السادس : أبواب متشابهة ، وما افترقت فيه :

تعرض السيوطي في هذا الكتاب لعدد من المصطلحات الشرعية ، والأحكام الفقهية التي يظهر عليها التشابه ، وتلتقي في بعض الأحكام ، ولكنها تختلف عن بعضها في أحكام أخرى ، وتفترق فيما بينها بفوارق دقيقة قد يصعب على الناظر كشفها ، كالفرق بين اللمس والمس ، والحيض والنفاس ، والأذان والإقامة ، والتمتُّع والقِران في الحج ، والإجارة والبيع ، والقضاء والحسبة ، والشهادة والرواية ، وقتال الكفار وقتال البغاة . وبين السيوطي رحمه الله تعالى باختصار الفوارق بين كل مسألتين مما يكشف عن حقائقهما وأحكامهما[2] .

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٤٢٢ ـ ٥١٥ ، وتناول ابن نجيم معظم هذه الموضوعات وموضوعات الكتاب السادس في الفن الثالث من كتابه : الجمع والفرق (الأشباه والنظائر ، لابن نجيم ص ٣٠٢ ـ ٣٩٢) .

(٢) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ص ٥١٥ ـ ٥٣١ .

الكتاب السابع : نظائر شتى :

ويتضمن مسائل فقهية معدودة ، وبعض القواعد المحصورة التطبيق ، ومجموعة من الفوائد الفقهية ، بعضها من استنتاج السيوطي ، وبعضها منقول من كتب الفقه ، أو عن لسان بعض الفقهاء . وجاء في هذا الكتاب ضابط واحد[١] ، وهو « البدل مع مبدله أقسام ... » ، وقاعدتان هما : « تفويت الحاصل ممنوع ، بخلاف تحصيل ما ليس بحاصل » ، « الواجب الذي لا يتقدر ... إذا زاد فيه على القدر المجزئ ، هل يتصف الجميع بالوجوب ؟ » . وهي قاعدة خلافية . ومن أمثلة المسائل : « الخلاف الأصولي في أن النسْخ رفع أو بيان ؟ » ، ومن أمثلة الفوائد : « البناء على فعل الغَير في العبادات فيه نظائر » و« الوكيل في النكاح يجب عليه ذكر الموكل » و« الفقير والمسكين حيث أطلق أحدهما اشتمل الآخر ، فإذا ذكرا اختص كل بمعناه . قال البُلقيني : ونظير ذلك الكافر والمشرك . وقلت : ونظير ذلك في العربية : الظرف والمجرور ، ومن نظائر ذلك أيضاً : الإيمان والإسلام . وختم السيوطي هذا الكتاب بذكر المسائل التي يُفتى فيها على القديم (المذهب القديم للشافعي) ، وهي بضع عشرة مسألة ، نقلها عن النووي في « المجموع شَرْح المُهَذَّب »[٢] .

وبعد هذا العرض الموجز لمضمون كتاب « الأشباه والنظائر » فإننا نحيل القارئ الكريم إلى الاطلاع المباشر والدراسة التفصيلية لهذا الكتاب القيم ، ليتحقق له النفع العلمي ، ويضع عينه ويده على هذا الكنز الثمين ،

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٥٣١ ـ ٥٤٠ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٥٤٠ ، وأضاف ناشر الكتاب صفحتين فيهما قصيدة نظمها بعضهم في المسائل التي لا يعذر فيها الجهل (ص ٥٤١ ـ ٥٤٢) ، ثم جاء فهرس الكتاب في ١٤ صفحة (٥٤٣ ـ ٥٥٦) .

ويطمئن قلبه إلى هذه الثروة الفقهية التي دبَّجها السيوطي بيراعه ، وخلفها للأجيال بعده .

وبذلك نصل إلى استنباط منهج السيوطي ، ثم التقييم العلمي لكتابه .

القسم الثالث

نظرة تقييمية للكتاب

١ ـ في منهج السيوطي في « الأشباه والنظائر » :

نستطيع من دراسة الكتاب ، وتتبع قواعده ، وضوابطه ، وفروقه ، ونظائره ، وضرب الأمثلة والاستدراكات والأدلة ، أن نستخرج منهج السيوطي بالأمور التالية :

١ ـ يظهر من خطة الكتاب السابقة أن السيوطي رحمه الله تعالى رتب كتابه من الأهم إلى المهم ، ومن القواعد الخمس الأساسية الرئيسة ، إلى القواعد الكلية المتفق عليها ، ثم انتقل إلى قواعد الخلاف بين المذاهب ، أو بين الأصحاب في المذهب ، ثم بيّن الضوابط والفوائد والقواعد والتنبيهات والأحكام الخاصة بفقه المذهب الشافعي .

٢ ـ كان السيوطي يضع القاعدة ، ويبدأ بها ، ثم يبين أصلها ، ومصدرها ، ودليلها من آيات القرآن الكريم إن وجدت ، ثم من نصوص السنة المطهرة ، ثم من الآثار الواردة عن الصحابة ثم من أقوال الأئمة والأصحاب .

واستدلاله بآيات القرآن الكريم يدل على الفهم الثاقب ، وهو صاحب القدح المعلى في علوم القرآن عامة ، والتفسير وآيات الأحكام

خاصة ، وله الكتب المشهورة في علوم القرآن والتفسير .

وركز كثيراً على الاستدلال بالسنة الشريفة ، وهو العالم الذي لا يشق له غبار في الحديث وعلومه ، وصنف أكبر موسوعة حديثية وصلت إلينا طوال التاريخ الإسلامي ، وهذا ما صرح به في مقدمة كتابه ، فقال : «وقد صدرت كل قاعدة بأصلها من الحديث والأثر »[١] .

ولم يكتف السيوطي بإيراد الأحاديث الشريفة ، بل قام بتخريجها ، وعزوها إلى مصادرها ، وبيان درجة الحديث ومدى صحة الاعتماد عليها ، وهذا في حد ذاته عمل جبار ، ولكنه لا يستكثر على السيوطي المحدث الحافظ ، ولذلك قال : « وحيث كان في إسناد الحديث ضعف أعملت جهدي في تتبع الطرق والشواهد لتقويته على وجه مختصر ، وهذا أمر لا ترى عينك الآن فقيهاً يقدر عليه ، ولا يلتفت بوجهه إليه »[٢] .

واستعان السيوطي كثيراً بالآثار ، وما ثبت عن الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء ، واعتبر أن الأصل في « الأشباه والنظائر » هو ما جاء في كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ، المعروف بكتاب « السياسة القضائية » أو « دستور القضاء في الإسلام » ، فقال السيوطي : « اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ... وقد وجدت لذلك أصلاً من كلام عمر بن الخطاب ... (وذكر سند روايته لذلك .... وفيه) اعرف الأمثال والأشباه ثم قس الأمور عندك ، فاعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى ... »[٣] ، وبين السيوطي وجه الاستدلال من الكتاب على الأشباه ، والنظائر ، والفروق ، والتكليف

(١) الأشباه والنظائر ص ٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال القاعدة الخامسة (الأشباه والنظائر ص ١٢١) .

بالاجتهاد .

٣ ـ جمع السيوطي بين القاعدة الكلية الفقهية وبين الفروع الفقهية ، فبدأ بصياغة القاعدة الكلية ثم بين القواعد الفرعية لها أحياناً ، وذكر المسائل الفقهية كتطبيق عملي للقاعدة ، وكما أردف القواعد بالضوابط مع الأمثلة المتعددة من الأحكام ، وما يرد على بعضها من الاستثناءات ، وما يقع بينها من الفروق ، ولذلك جاء عنوان الكتاب « الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية » .

٤ ـ وشح السيوطي كتابه بنقل آراء كثير من الأئمة والفقهاء والعلماء ، ونسب الأقوال إلى أصحابها بأمانه علمية ، وصرح أحياناً باسم الكتاب وعنوانه الذي نقل منه أو اعتمد عليه ، أو ورد فيه الإشكال أو الاعتراض أو الفائدة أو التنبيه ، مع بيان النصوص الفقهية التي أخذت منها القواعد[١] .

٥ ـ وردت في الكتاب مقارنات كثيرة مع المذاهب الفقهية . وكان ينقل آراء علماء بقية المذاهب ويذكر أقوالهم ، ويقتبس النصوص من كتبهم مع التصريح بها والعزو إليها ، وخاصة كتب القواعد ، دون تعصب أو تزمت أو تعريض بأحد ، بل يظهر الاحترام والتقدير للجيمع ، مع الموضوعية في البحث .

كما أن تبحر السيوطي بعلوم العربية في النحو والأدب واللغة شدَّه إلى بعض المقابلات ، وبيان الاتفاق بين القواعد الفقهية وقواعد اللغة العربية ومبادئها[٢] .

---

(١) انظر على سبيل المثال القاعدة الخامسة (الأشباه والنظائر ص١٢١) .

(٢) قال السيوطي ـ على سبيل المثال : « لهذه النظائر أشباه في العربية ... ثم قال : تجري قاعدة « الأمور بمقاصدها » في علم العربية أيضاً» (الأشباه والنظائر ص ٤٩) وقال : « ونظير ذلك في العربية : الظرف والمجرور » . (الأشباه والنظائر ص ٥٣٩) .

٦ - لقد اقتفى السيوطي غالباً في جمع القواعد الفقهية وترتيبها منهج ابن الوكيل وابن السبكي ، دون أن يصرح بذلك . وجاء ابن نجيم وسار على غرار ابن السبكي ، وصرح في مقدمته على ذلك . ومع هذا فإننا نجد فروقاً كثيرة بين الكتب الثلاثة ، مع كثرة وجوه الاتفاق ، والعبارات الواحدة التي تظهر عند المقارنة .

ومن الفوارق بين الكتب الثلاثة أن السبكي اقتصر على القواعد الفقهية ، وما يلحق بها من الأشباه والنظائر ، بينما أضاف ابن نجيم بعض الفنون التي لا تدخل في الأشباه والنظائر كالحيل والألغاز ، وأضاف السيوطي الكتاب الثالث في الأحكام التي يكثر دورها ويقبح بالفقيه جهلها ؛ وانفرد ابن السبكي بثلاثة كتب في أصول كلامية ، ومسائل أصولية ، وكلمات نحوية(١) .

٢ - المآخذ على الكتاب :

أبرز ما نأخذه على هذا الكتاب ما يلي :

١ - عدم التناسق والتناسب في توزيع الكتب المؤلفة منه ، فالأول : تناول القواعد الفقهية الخمس في مائة صفحة ،وجاءالثاني لشرح أربعين قاعدة كلية في إحدى وستين صفحة ، وحصر الثالث القواعد المختلف فيها في خمس وعشرين صفحة ، بينما توسع الكتاب الرابع في الأحكام التي يكثر دورها ، واستغرق ٣٣٥ صفحة ، وجاء الكتاب الخامس في ثلاث وتسعين صفحة واكتفى السادس بالأبواب المتشابهة

---

(١) انظر : القواعد الفقهية للندوي ص ١٣٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ ، الاستغناء في الفرق والاستثناء ، مقدمة المحقق ١/٦٨ ، المنثور في القواعد ، مقدمة المحقق ١/٢٦ ، القواعد ، المقري ١/١٣٤ .

وما افترقت فيه في ست عشرة صفحة ، وكذا الكتاب السابع من نظائر شتى في عشر صفحات ، فالبون شاسع في حجم الكتب ، وكان بالإمكان ضم الكتب الثلاثة الأولى في كتاب واحد (١ - ١٨٧) ثم تقسيم القواعد إلى ثلاثة أنواع كما وردت فيه ، كما يمكن ضم الكتب الثلاثة الأخيرة في كتاب واحد ، فيخف الفرق الواسع بين الكتب .

٢ - لم يصرح السيوطي رحمه الله تعالى بكتب « الأشباه والنظائر » التي اقتبس منها ، أو نهج مسلكها ، لكنه حافظ على الأمانة العلمية بعزو القواعد والضوابط والآراء إلى أصحابها ، ومنهم أصحاب « الأشباه والنظائر » كابن السبكي خاصة ، كما أنه يذكر العالم أو الفقيه ، وقد يكون له عدة كتب ومصنفات ، كالنووي ، وابن السبكي ، والإسنوي ، والبلقيني وغيرهم ، ولم يحدد الكتاب الذي قصده غالباً ، ولكن حدده في بعض الأحيان .

٣ - دمج السيوطي القواعد الفقهية خاصة ، وأحكام الأشباه والنظائر عامة ، بموضوعات فقهية يبحثها العلماء والفقهاء في كتب الفقه والفروع ، وهو ما حذَّر منه ابن السبكي رحمه الله فقال : « وراء هذه القواعد ضوابط يذكرها الفقهاء .... وليست عندنا من القواعد الكلية بل من الضوابط الجزئية لتدريب المبتدئين ، لا لخوض المجتهدين ، ولتمرين الطالبين ، لا لتحقيق الراسخين ... وأغراض الناس تختلف ، ولكل مقصده ، ولا ننكر على أحد مقصده ، وإنما ننكر إدخال شيء في شيء لايليق به ، ويكبر حجم الكتب بما لا حاجة إليه »[1] .

وتنبه السيوطي إلى ذلك ، ولكنه لم يتجنبه أو يحذر منه ، بل وقع

(١) القواعد ، المقري ، عن مقدمة التحقيق ١/١٤٤ .

فيه ، ووضعه في كتابه ، وصرَّح به في عنوان الكتاب الرابع ، فقال : « أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها »[١] ، وهذه الأحكام محلها كتب الفقه ، وليس كتب القواعد الفقهية ، أو الأشباه والنظائر ، وصرح بعنوان الكتاب الخامس فقال : « والمخاطب بهذا الباب ، والذي يليه ، المبتدئون »[٢] .

٤ ـ ذكر السيوطي بعض القواعد الفرعية مما لا يمكن اعتبارها قواعد حسب المصطلح عليه ، فبعضها ضوابط فقهية ، وبعضها مجرد أحكام فقهية جزئية ، كما حوى الكتاب بعض القواعد الأصولية ، وقواعد النحو واللغة العربية ، وهذا خروج عن موضوع الكتاب ، ومضمونه ، ومنهاجه ، وغرضه الأساسي .

٥ ـ عرض السيوطي بعض القواعد الكلية ، ثم بين ما يتفرع عنها من قواعد . ولكن عمله لم يكن مطرداً ، واقتصر على بعض الحالات ، وأغفل ذلك في أكثر القواعد ، كما أشرنا قبلاً في بحث القواعد المتفرعة عن القاعدة الكلية « العادة محكَّمة » .

٦ ـ صرح السيوطي في الكتاب الأول أن القواعد الأساسية خمس ، ولكنه جعلها عند الشرح ست قواعد فقال : القاعدة السادسة : « العادة محكَّمه » وجعل القاعدة الخامسة : « الحاجة تنزل منزلة الضرورة». ولعل هذا خطأ مطبعي ، أو خطأ في النسخ ، لأن هذه القاعدة الخامسة هي الفرع الخامس للقاعدة الرابعة ، وتأتي « العادة محكمة » باعتبارها القاعدة الخامسة الأساسية[٣] .

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٨٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٥ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣ ـ أهمية كتاب « الأشباه والنظائر » :

إن كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي يمثل الذروة في كتب القواعد الفقهية عامة ، وعند الشافعية خاصة ، شكلاً ومضموناً ، وفيه غزارة علمية كبيرة وقواعد كثيرة ، وأحكامه فقهية ، وفروع جزئية ، ومسائل عمليه لا تحصى ، مما يدل على سعة اطلاع السيوطي ، وعمق معرفته في الفقه ، ليلحق الفروع من أبواب مختلفة بالقاعدة ، مع توشيحه بالفوائد الجمة ، والتنبيهات الدقيقة ، والتعقيبات الفريدة ، والعبارات ، الواضحة ، والأسلوب المشرق ، والبيان الفصيح ، والتنويع المحبب ، والمسائل المشوقة .

والكتاب زاخر بمختلف فنون الأشباه والنظائر ، ويحتوي على مجموع القواعد الكلية ، والأحكام المتناظرة ، والفروق الدقيقة ، وحشد كبير من الجزئيات المبثوثة في كتب الشافعية ، مما يؤكد أيضاً أن السيوطي فقيه متبحر ، وله باع طويل من المذهب الشافعي ، واطلاع واسع على كتب المذهب وكتب القواعد والأشباه . وله حافظة لا تضاهى للمسائل الفقهية ، وموهبة نادرة في معرفة مظان الأحكام الفرعية ، مما يوحي أيضاً بأنه يملك مكتبة فقهية كبيرة ، ويملك ناصية القلم والبيان لصياغة القواعد ، وهو من هو في الأدب والنحو اللغة .

وعرف الناس والعلماء مكانة هذا السفر العظيم ، فأقبلوا عليه بالدراسة والمطالعة ، والنسخ والنشر ، وفي مجال التعليم والتدريس ، واعتنوا به عناية فائقة ، وذاع صيته ، وانتشر فضله قديماً ، كما تبوأ المكانة العالية حديثاً لدى الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة ، وأصبح مرجعاً أساسياً لطلاب الدراسات العليا ، ومصدراً رئيساً في البحوث الفقهية والأصولية ، ومنهلاً للتكوين الفقهي .

ومن مظاهر أهمية الكتاب أنه حظي برعاية المؤلفين ، وظهرت حوله دراسات متعددة ، منها :

١ ــ أن أبا بكر بن أبي القاسم الأهدل (١٠٣٥هـ) استخلص القواعد من « الأشباه والنظائر » ونظمها في منظومة باسم « الفرائد البهية » ، ثم شرح هذه المنظومة الشيخ عبد الله بن سليمان الجوهري اليمني (١٢٠١هـ) ، وسمى الشرح « المواهب السنية على الفرائد البهية »[١] ، ثم قام الشيخ محمد ياسين بن عيسى الفاداني المكي بوضع حاشية على هذا الشرح ، وأسماها « الفوائد الجنية حاشية على المواهب السنية » وطبعت .

٢ ــ حاشية على الأشباه والنظائر للسيوطي ، لبهاء الدين محمد بن محمد باقر السبزاوري الشافعي (١٠٣٣هـ) .

٣ ــ حاشية على الأشباه والنظائر للسيوطي ، لإبراهيم بن السيد صبغة الله ، المعروف بفصيح الدين البغدادي الشافعي (١٢٩٩هـ)[٢] .

وإن كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي قد وفى الموضوع حقه ، ولم يترك مجالاً لمستزيد ، ووصل إلى غاية الجمع والإتقان ، والإحاطة والشمول ، ولذلك لم يقدم أحد ــ فيما نعلم ــ طوال خمسة قرون مضت على مضاهاته ، أو التصنيف في موضوعه ، ولذلك تنافست المطابع ودور النشر والمكتبات على طباعته وتصويره وتوزيعه في أرجاء العالم الإسلامي ، وتصدَّر رفوف المكتبات العامة والخاصة .

---

(١) طبعت المواهب السنية شرح الفرائد البهية بهامش « الأشباه والنظائر » للسيوطي ، طبعة مكة سنة ١٣٣١هـ ، (انظر : معجم المطبوعات العربية ص١٠٧٣) .

(٢) انظر القواعد الفقهية ، للندوي ص٤٤٢ نقلاً عن هدية العارفين ٥/٤٢ ــ ٤٣ ، ٦/٣١٦ .

ولكن لا بدَّ من الاعتراف بالحق ، ولو كان مُرّاً ، بأن هذا الكتاب لم يُخدم خدمة كافية تليق بأهميته ومكانته ، وأنه يحتاج إلى تحقيق علمي رفيع ، لعزو الأحاديث إلى كتب السنة المشهورة ، ونسبة الأحكام الفقهية والمسائل المتنوعة إلى مظانها من كتب الفقه المعتمدة في المذهب ، ليتم نشره محققاً بطباعة أنيقة ، وثوب قشيب ، ومحلى بالفهارس الضرورية لتسهيل الرجوع إليه ، والاستفادة منه عملياً بشكل كامل .

وقد أثنى العلماء في مختلف العصور على الكتاب ، والإطراء به ، وبيان جواهره ومكنوناته للناس . ونكتفي في هذا الخصوص بنص واحد لشاب هندي من ندوة العلماء ، وهو الأستاذ علي أحمد الندوي قال فيه ، بعد أن تعرض للكتاب في مواطن متعددة من رسالته : « الكتاب المذكور من أروع المؤلفات في القواعد الفقهية ، وأغزرها مادة ، وأحسنها ترتيباً وتنسيقاً ، تداولته أيدي العلماء في كل مكان ، وحظي بحسن القبول والرواج ، وفي الواقع أتى فيه المؤلف بخلاصة مركزة ، وزبدة مستخلصة من كتب السابقين في هذا المجال ، فجمع فيه معظم ما تفرَّق وتناثر من القواعد في كتب هذا الفن لتاج الدين السبكي والعلائي والزركشي ، وأضحى بذلك مصدراً خِصْباً لدراسة القواعد الفقهية خاصة في المذهب الشافعي »[1] .

---

(١) القواعد الفقهية ، للندوي ص٢٠٨ .

مراجع البحث

١ ـ الأشباه والنظائر قواعد وفروع فقه الشافعية ، للسيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
٢ ـ الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، طبع شركة الطباعة الفنية بالقاهرة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
٣ ـ الأشباه والنظائر ، لابن نجيم الحنفي ، نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .
٤ ـ الاستغناء في الفرق والاستثناء ، للبكري ، نشر جامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
٥ ـ أصول الفقه ، للشيخ محمد أبو زهرة ، مطبعة مخيمر بالقاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
٦ ـ أصول الفقه الإسلامي ، للدكتور محمد الزحيلي ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
٧ ـ الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، بدون تاريخ .
٨ ـ إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك ، للونشريسي ، طبع الرباط ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
٩ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٤٨هـ .
١٠ ـ تخريج الفروع على الأصول ، للزنجاني ، طبع جامعة دمشق ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .
١١ ـ التعريفات ، للجرجاني ، تصوير لبنان ، ١٩٦٩م .
١٢ ـ تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ، تصوير عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .
١٣ ـ تهذيب الفروق ، للشيخ محمد علي بن حسين المالكي المكي ، على هامش

« الفروق » ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ، ١٣٤٦هـ .
١٤ ـ الحاوي للفتاوي ، لجلال الدين السيوطي ، إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ .
١٥ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ، طبع دار الكتب العربية بالقاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
١٦ ـ الذخيرة ، للقرافي ، مطبعة كلية الشريعة ، بالجامعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
١٧ ـ الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
١٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، طبعة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٠هـ .
١٩ ـ صحيح البخاري ، للإمام البخاري ، ضبط الدكتور مصطفى البغا ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٢٠ ـ صحيح مسلم ، للإمام مسلم القشيري النيسابوري ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، مع شرح النووي ، بدون تاريخ .
٢١ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي ، طبع مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م .
٢٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، لابن السبكي ، طبع عيسى البابي الحلبي ، بالقاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
٢٣ ـ العرف والعادة في رأي الفقهاء ، للشيخ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
٢٤ ـ غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، للحموي ، دار الطباعة العامرة ، ١٣٥٧هـ/القاهرة .
٢٥ ـ الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، للمراغي ، الطبعة الثانية تصوير ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
٢٦ ـ الفروق ، للقرافي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ .
٢٧ ـ الفكر السامي ، للحجوي الفاسي ، مطبعة إدارة المعارف بالرباط، ١٣٤٠هـ ، وبفاس ١٣٤٥هـ .

٢٨ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ، مطبعة مصطفى محمد ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م .
٢٩ ـ القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
٣٠ ـ القواعد ، لابن رجب الحنبلي ، طبع دار المعرفة ، بيروت ، تصوير ، بدون تاريخ .
٣١ ـ القواعد ، لأبي عبد الله المقري ، تحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد ، نشر جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، بدون تاريخ .
٣٢ ـ القواعد الفقهية ، للأستاذ علي أحمد الندوي ، طبع دار القلم ـ دمشق ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
٣٣ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، تصوير عن مكتبة كلكتا بالهند ، ١٨٦٢م .
٣٤ ـ كشف الكتب والظنون عن أسامي الفنون ، ملاجلبي ، الحاج خليفة ، طبعة أولى ١٣١٠هـ/طبعة استانبول ١٣٥١هـ .
٣٥ ـ الكليات ، لأبي البقاء الكفوي ، نشر وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨١م .
٣٦ ـ مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي ، لابن خطيب الدهشة ، تحقيق البنجويني مطبعة الجمهور ، الموصل ، ١٩٨٤م .
٣٧ ـ المدخل لدراسة التشريع الإسلامي ، للدكتور عبد الرحمن الصابوني ، نشر جامعة دمشق ـ بدون تاريخ .
٣٨ ـ المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي ، للدكتور مصطفى الشلبي ، طبع مصر ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .
٣٩ ـ المدخل الفقهي العام ، للأستاذ مصطفى الزرقا ، الطبعة السابعة ـ دمشق ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
٤٠ ـ مرآة المجلة ، يوسف آصاف ، المطبعة العمومية بمصر ، ١٨٩٤م .
٤١ ـ المصباح المنير ، للفيومي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٢٦م .
٤٢ ـ معجم المطبوعات العربية . يوسف سركيس ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة بدون تاريخ .
٤٣ ـ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٤٤ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية ، تونس ،١٩٧٨م .

٤٥ ـ مقالات الكوثري ، للشيخ محمد زاهد الكوثري ، طبع مكتبة التراث ، حلب ، بدون تاريخ .

٤٦ ـ المنثور في القواعد ، للزركشي ، تحقيق الدكتور تيسير فائق محمود ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الفليج ، الكويت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٧ ـ النظريات الفقهية ، للدكتور فتحي الدريني ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٤٨ ـ النظريات والقواعد في الفقه الإسلامي ، بحث للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، العدد ٢ ، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٤٩ ـ نهاية السول في شرح منهاج الأصول ، للإسنوي ، تصوير عالم الكتب ، بيروت ،١٩٨٢م عن المطبعة السلفية ـ بالقاهرة ، ١٣٤٥هـ .

٥٠ ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م .

السيوطي النحوي

الدكتور محمد أحمد الدالي

كان علم العربيّة أول العلوم التي طلبها السيوطي وجدَّ في تحصيلها[1] ، حتى غدا رابع العلوم السبعة التي قال إنه رُزق التبحّر فيها[2] .

وتلقّاه على شيوخ العربية بمصر في عصره ، وأشهرهم وأبعدهم أثراً فيه : تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشُّمُنِّيّ (ت ٨٧٢هـ) ، ومحيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان الكافِيَجيّ (ت ٨٧٩هـ) .

وصنّف في علم العربية ٣٢ كتاباً[3] ، وأهمها : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، والأشباه والنظائر في النحو ، وشرح شواهد مغني اللبيب ، والاقتراح في أصول النحو . وله في غير مسألة من مسائل هذا العلم آراء اختار أكثرها من أقوال من تقدمه من علماء العربية .

فهل في مصنفات السيوطي وآرائه في علم العربية ما يسوّغ له هذه الدعوى العريضة التي ادعاها : أنه رزق التبحّر في هذا العلم ؟!

سبيلُنا في الإجابة عن ذلك وفي الاطمئنان إلى حُكم فيه مصنفاته وآراؤه . وفيما يأتي من هذه الكليمة تعريفٌ بأهم مصنفاته التي تقدم ذكرها ، ثم ذكرُ طائفة من آرائه . وقد أفدت في ذلك من كتب السيوطي المذكورة ،

---

(١) الأشباه والنظائر (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ١/١ .

(٢) حسن المحاضرة ٣٧٨/١ .

(٣) مقدمة محقق الأشباه والنظائر (ط. المجمع) 23 .

ومن مقدمات محققيها ، ومن الدراسة المطولة التي ألَّفها الدكتور عدنان محمد سلمان وأسماها « السيوطي النحوي » ، وهي دون ما يؤمل من دراسة بهذا العنوان ، وفيها فوائد .

أما « الأشباه والنظائر في النحو » فقد اشتمل على سبعة فنون(٤) :

الأول : فن القواعد والأصول التي تردّ إليها الجزئيات والفروع ، وهو مرتب على حروف المعجم ، وهو معظم الكتاب ومهمُّه . قال السيوطي : « وقد اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق ، وأشبعت القول فيه ، وأوردت في ضمن كل قاعدة ما لأئمة العربية فيها من مقال وتحرير وتنكيت وتهذيب واعتراض وانتقاد وجواب وإيراد ، وطرزتها بما عدّوه من المشكلات من إعراب الآيات القرآنية والأحاديث والأبيات الشعرية وتراكيب العلماء في مصنفاتهم المروية وحشوتها بالفوائد ، ونظمت في سلكها فرائد القلائد » .

الثاني : فن الضوابط والاستثناءات والتقسيمات ، وهو مرتب على الأبواب .

الثالث : فن بناء المسائل بعضها على بعض .

الرابع : فن الجمع والفرق .

الخامس : فن الألغاز والأحاجي والمطارحات والممتحنات .

السادس : فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمراجعات والمحاورات والفتاوى والواقعات والمراسلات والمكاتبات .

السابع : فن الأفراد والغرائب .

قال السيوطي : « وقد أفردتُ كل فن بخطبة وتسمية ليكون كل فن من السبعة تأليفاً مفرداً ، ومجموع السبعة هو كتاب الأشباه والنظائر .

(٤) الأشباه والنظائر (ط. المجمع) ١/٧ – ٩ .

فدونكه مؤلَّفاً تشد إليه الرحال وتتنافس في تحصيله الرجال » .

جمع السيوطي مادة كتابه التي فرّقها في هذه الفنون السبعة مما وقف عليه وأخذ منه من كتب العربية وما إليها . وبلغت عدة المصادر التي صرح بنقله منها ٢٧٨ مصدر في الفهرس الذي صنعه الدكتور عبد العال سالم مكرم لطبعة الأشباه والنظائر التي حققها (؟!) وفيه خلل . وأهم هذه المصادر :

١ ـ كتب الزجّاجي : الجمل ، الأمالي ، اللامات ، مجالس العلماء .

٢ ـ كتب أبي علي الفارسي : الاغفال ، التذكرة ، البغداديات ، القصريات .

٣ ـ كتب ابن جني : الخصائص ، سر الصناعة ، المحتسب ، الخاطريات .

٤ ـ كتب الزمخشري : المفصل ، الأحاجي ، الفائق ، الكشاف .

٥ ـ كتب علم الدين السخاوي : سفر السعادة ، المفضل في شرح المفصل ، تنوير الدياجي في شرح الأحاجي .

٦ ـ كتب ابن مالك : التسهيل وشرحه ، العمدة وشرحها ، الكافية الشافية وشرحها .

٧ ـ كتب أبي حيان : الارتشاف ، التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب .

٨ ـ كتب ابن هشام الأنصاري : المغني ، حواشي التسهيل ، شرح شذور الذهب ، التذكرة ، موقظ الوسنان وموقد الأذهان ، شرح اللمحة البدرية .

٩ ـ كتب أبي البركات بن الأنباري : الإنصاف ، نزهة الألبا .

١٠ ــ الأصول لابن السراج .

١١ ــ شرح المفصل لابن يعيش

١٢ ــ شرح المفصل للعلم اللورقي الأندلسي

١٣ ــ البسيط لابن العلج .

١٤ ــ البسيط لركن الدين الأستراباذي .

١٥ ــ المقرب لابن عصفور .

١٦ ــ المغني لابن فلاح .

١٧ ــ التبيين للعكبري .

١٨ ــ التذكرة لابن الصائغ .

١٩ ــ التذكرة لابن أم مكتوم .

٢٠ ــ التعليقة على المقرب لابن النحاس .

٢١ ــ شرح الجمل لابن عصفور .

٢٢ ــ الغرّة لابن الدهان .

والكتاب من المراجع النحوية الهامة ، ولا يُعرف كتاب غيره سلك مؤلفه « بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألّفوه من كتب الأشباه والنظائر »(٥) . وفيه كثير من النصوص النحوية التي نقلها السيوطي من كتب لم تنته إلينا ، ومنها تذكرة أبي علي وتذكرة ابن هشام والمغني لابن فلاح والبسيط لابن العلج .

وأما « همع الهوامع في شرح جمع الجوامع » فهو كتاب شرح فيه السيوطي كتاباً له مختصراً في العربية سمّاه « جمع الجوامع » وقال في وصفه : « فإن لنا تأليفاً في العربية جمع أدناها وأقصاها ، وكتاباً لم يغادر من مسائلها

(٥) الأشباه والنظائر (ط. المجمع) ٣/١ .

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .... وجمعته من نحو مائة مصنف ، فلا غرو أن لقبته جمع الجوامع » وهو « جامع لِما في الجوامع من المسائل والخلاف ، حاوٍ لوجازة اللفظ وحسن الائتلاف ، محيط بخلاصة كتابَي التسهيل والارتشاف مع مزيد واف فائق الانسجام قريب من الأفهام »(٦) .

جعله مؤلفه في مقدمات وسبعة كتب .

تناول في المقدمات تعريف الكلمة وأقسامها ، والكلام والكلم ، والجملة والقول ، والإعراب والبناء ، والمنصرف وغيره ، والنكرة والمعرفة وأقسامها .

وأما السبعة الكتب فالكتاب الأول « في العُمَد ، وهي المرفوعات وما شابهها من منصوب النواسخ .

والثاني في الفضلات وهي المنصوبات .

والثالث في المجرورات وما حمل عليها من المجزومات وما يتبعها من الكلام على أدوات التعليق غير الجازمة وما ضم إليها من بقية حروف المعاني .

والرابع في العوامل في هذه الأنواع ، وهو الفعل وما ألحق به وختم باشتغالها عن معمولاتها وتنازعها فيها .

والخامس في التوابع لهذه الأنواع ، وعوارض التركيب الإعرابي من تغيير كالإخبار والحكاية والتسمية وضرائر الشعر .

والسادس في الأبنية .

والسابع في تغييرات الكلم الإفرادية كالزيادة والحذف والإبدال والنقل والإدغام ، وختم بما يناسبه من خاتمة الخط »(٧) .

---

(٦) همع الهوامع (ط. مصر) ١/٢ .

(٧) همع الهوامع (ط. مصر) ١/٣ .

جمع المؤلف كتابه فيما قال من نحو مائة مصنَّف ، وضمّنه خلاصة كتابي « التسهيل » لابن مالك ، و« ارتشاف الضَّرَب » لأبي حيان . وبلغت عدة المصادر التي صنع منها السيوطي كتابه ١٤٥ كتاب في الفهرس الذي صنعه الدكتور عبد العال سالم مكرم لطبعة « همع الهوامع » التي حققها (؟!) ، وفيه خلل .

وأهم هذه المصادر :

١ — ارتشاف الضَّرَب ، لأبي حيان .

٢ — التسهيل ، لابن مالك ، وشرحه له أيضاً .

٣ — شرح التسهيل ، لأبي حيان .

٤ — المغني ، لابن هشام .

٥ — الإفصاح بفوائد الإيضاح لابن هشام الخضراوي .

٦ — البديع ، لمحمد بن مسعود الغزني .

٧ — النهاية ، لابن الخباز .

والكتاب مجمع لمسائل العربية وشواهدها ، وسجلّ لآراء جمهور علماء العربية المتقدمين والمتأخرين . وقد اشتمل الكتاب على ١٨٢١ شاهد من شواهد العربية ، واشتمل ارتشاف الضرب على ١٣٨٧ شاهد .

وأما « شرح شواهد مغني اللبيب » فهو شرح للأبيات التي استشهد بها ابن هشام في مغني اللبيب ، وعدّتها ١٢٠٠ بيت في الطبعة التي حققها الدكتور مازن المبارك والأستاذ محمد علي حمد الله . شرح السيوطي الشواهد على ترتيبها في المغني . وأبان منهجه في شرحه بقوله في صدر كتابه : « أُورد أولاً البيت المستشهد به ، ثم أُتبعه بتسمية قائله والسبب الذي لأجله قيلت القصيدة ، ثم أورد من القصيدة أبياتاً استحسنتها .... ثم أتبع ما أورده من الأبيات بشرح ما اشتملت عليه من الغريب والمشكل وبيان ما تضمنته من

الاستشهادات العربية والنكت الشعرية وما يتعلق بها من فائدة ونادرة ومواردة ، وأُتبع ذلك بالتعريف بقائلها .... » ثم ذكر المصادر التي عوّل عليها في شرحه . ومنها دواوين الشعر وكتب الاختيار وأمهات كتب الأدب وأيام العرب وتراجم الشعراء والرجال ، وشروح أبيات سيبويه لابن السيرافي وللأعلم وللزمخشري . وشرح شواهد الإيضاح لابن يسعون ، وشروح شواهد الجمل للخضراوي وللبطليوسي وللتدمري ، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شرح الألفية للعيني ، وأمالي ابن الشجري ، ونوادر أبي زيد وابن الأعرابي ، وأمالي القالي وأمالي ثعلب (مجالس ثعلب) .

وهو شرح وسط فيه زبدة كلام من تقدمه إلى الكلام على الشواهد وما يتعلق بها .

وأما « الاقتراح في علم أصول النحو » فقد جعله المؤلف في مقدمات وسبعة كتب .

أما الكلام على المقدمات فقد ذكر فيه عشر مسائل : الأولى : أصول النحو ، والثانية : حدوده ، والثالثة : حد اللغة ، والرابعة : مناسبة الألفاظ للمعانَي ، والخامسة : الدلالات النحوية ، والسادسة : الحكم النحوي ، والسابعة : انقسام الحكم النحوي من جهة أخرى ، والثامنة : تعلق الحكم النحوي ، والتاسعة : هل بين العربي والعجمي واسطة ، والعاشرة : انقسام الألفاظ إلى واجب وممتنع وجائز .

وأما السبعة الكتب فالأول في السماع ، والثاني في الإجماع ، والثالث في القياس ، والرابع في الاستصحاب ، والخامس في أدلة شتى ، والسادس في التعارض والتراجيح ، والسابع في أحوال المستنبط بهذا العلم ومستخرجه .

جمع المؤلف مادة كتابه من « لمع الأدلة » و« الإغراب في جدل الإعراب » وهما لأبي البركات بن الأنباري ، ومن الخصائص لابن جني .

وضمنه نقولاً من الأصول لابن السراج ، والألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي ، والإنصاف لأبي البركات بن الأنباري ، وتذكرة أبي حيان ، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ، وثمار الصناعة ، لأبي عبد الله الحسن بن موسى الجليس ، وشرح التسهيل لأبي حيان ، والممتع لابن عصفور .

فالكتاب قد ضمَّ ما تفرق من كلام من تقدم السيوطي في « أصول النحو » .

لقد حفظت هذه الكتب وغيرها من كتب السيوطي النحوية نصوصاً نحوية كثيرة ، منها ما فقدت أصولها التي نقل السيوطي منها . ولو نشرت جميع الأصول التي عليها بنى السيوطي كتبه لم يجردها ذلك من قيمتها العلمية ولم يسلبها أهميتها فتصير قيمتها تاريخية . بل إنّ فضل السيوطي في جمع مسائل العربية وما تفرق من كلام علمائها في كل مسألة منها وترتيبها ترتيباً حسناً = فضلٌ وافر باق غير مدفوع ولا منكر .

وعلى أن السيوطي كان يصنع من كتب من تقدمه كتباً فقد كان دأبه أن يباهي بما صنع ويدعي أن ما صنعه بديع جليل وأنه أتم وأوفى وأحسن وأجل من الكتب التي صنع منها كتابه !! قال في جمع الجوامع : « هذا ترتيب بديع لم أسبق إليه حذوت فيه حذو كتب الأصول »(٨) ، وقال في حاشيته على مغني اللبيب التي سماها « الفتح القريب » : « أودعتها من الفوائد والفرائد والغرائب والزوائد ما لو رامه أحد غيري لم يكن إلى ذلك سبيل ولا فيه نصيب »(٩) ، وقال في الاقتراح : « لم تسمح قريحة بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله في علم لم أُسبق إلى ترتيبه ولم أُتقدم إلى تهذيبه وهو أصول النحو »(٣) .

---

(٨) همع الهوامع (ط. مصر) ٣/١ .
(٩) شرح شواهد مغني اللبيب ص٢ .
(١٠) الاقتراح (ط. إستانبول) ص٢ .

ولو قال قائل : ليس للسيوطي في كثير مما صنفه إلا الجمع والترتيب والتبويب = لم يكن إلى غلوّ في مقالته .

وأمّا آراؤه **النحويّة** فهي في جملتها أقوال اختارها من أقوال من تقدمه من علماء العربية . وهذه أمثلة لها من كتابه « همع الهوامع » تدل على ما وراءها :

١ – « في الأسماء قبل التركيب ثلاثة أقوال : أحدها – وعليه ابن الحاجب – أنها مبنيّة .... الثاني : أنها معربة .... والثالث : أنها واسطة لا مبنيّة ولا معربة .... وهذا هو **المختار عندي** تبعاً لأبي حيان » (الهمع ١/١٩) .

٢ – في إعراب الأسماء الستة اثنا عشر مذهباً أحدها – وهو المشهور – أنّ هذه الأحرف نفسها هي الإعراب وأنها نابت عن الحركات .... الثاني – وهو مذهب سيبويه والفارسي وجمهور البصريين .... أنها معربة بحركات مقدرة في الحروف وأنها أتبع فيها ما قبل الآخر للآخر ... المذهب الثالث : أنها معربة بالحركات التي قبل الحروف والحروف إشباع .... الرابع .... » قال السيوطي : « **وأصحُّها** الثاني » (الهمع ١/٣٨) .

٣ – « إعراب المثنى والجمع بالحروف » هذا قول « الجمهور من المتأخرين ومنهم ابن مالك ، ونسبه أبو حيان للكوفيين وقطرب والزجاج والزجاجي » ووافقهم السيوطي وردَّ قول من زعم غير ذلك ، قال : « وليس الإعراب في المثنى والجمع بمقدرة قبلها أو فيها أو دلائل أو بالبقاء والانقلاب خلافاً لزاعميها » (الهمع ١/٤٧ – ٤٨) .

٤ – إذا اجتمعت النون علامة الرفع في المضارع المسند إلى واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المؤنثة المخاطبة مع نون الوقاية « جاز الفك

والإدغام والحذف ، **والأصحُّ** أنها المحذوفة » وهو مذهب سيبويه ورجحه ابن مالك « وذهب أكثر المتأخرين إلى أن المحذوفة نون الوقاية ، وعليه الأخفش الأوسط والصغير والمبرد وأبو علي وابن جني » (الهمع ١/٥١ – ٥٢) .

٥ – المنادى النكرة المقصودة آخر المعارف السبعة « **والأصحُّ** أنّ تعريفه بالقصد » « كما صححه ابن مالك . وذهب قوم إلى أن تعريفه بأل محذوفة » (الهمع ١/٥٤ – ٥٥) .

٦ – إذا اجتمعت نون الإناث ونون الوقاية جاز حذف إحداهما في ضرورة الشعر ، نحو « فَلَيْنِي » ، وذهب المبرد إلى أن المحذوفة نون الوقاية ، قال السيوطي « وهذا هو **المختار** عندي . ورجحه ابن جني والخضراوي وأبو حيان وغيرهم . وحكى صاحب البسيط الاتفاق عليه . وقال سيبويه : هي نون الإناث .... » (الهمع ١/٦٥) .

٧ – « في جواز تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول مذاهب أحدها : المنع مطلقاً ، وعليه البصريون ، والثاني : الجواز مطلقاً ، وعليه الكوفيون ، وهو **اختياري** للتوسع فيهما ، والثالث : الجواز مع أل إذا جرّت بـ « من » .... وعليه ابن مالك » (الهمع ١/٨٨) .

٨ – أيّ الموصولة المضافة المحذوف عائدها في نحو « سلِّم على أيّهم أفضل » « تبنى حينئذ على الضم عند سيبويه .... **والمختار** وفاقاً للكوفية والخليل ويونس إعرابُها » (الهمع ١/٩٠) .

٩ – عند النحاة أن الباء في نحو « بحسبك درهم » زائدة ، وحسبك مبتدأ ، قال السيوطي : « **والمختار** وفاقاً لشيخنا الكافيجي أنه خبر » (الهمع ١/٩٣) .

١٠ – « في رافع المبتدأ والخبر أقوال : فالجمهور وسيبويه على أن رافع المبتدأ معنوي وهو الابتداء .... ورافع الخبر المبتدأ .... وقيل : العامل

في الخبر هو الابتداء .... وقيل : العامل فيه الابتداء والمبتدأ معاً ...... وذهب الكوفيون إلى أنهما ترافعا ، فالمبتدأ رفع الخبر والخبر رفع المبتدأ .... وهذا المذهب اختاره ابن جني وأبو حيان ، وهو **المختار** عندي .... » (الهمع ١/٩٤ – ٩٥) .

١١ – في جواز حذف العائد على المبتدأ من جملة الخبر أقوال ، قال السيوطي : « **والمختار** .... الجواز بشرطين : أحدهما وجود دليل يدل على المحذوف . الثاني : ألاّ يؤدّي إلى رجحان عمل آخر .... » (الهمع ٩٧/١) .

١٢ – إذا وقع الظرف أو الجار والمجرور خبراً فـ « عامله كونٌ منويّ في الأصح ، والتحقيق وفاقاً لابن كيسان أنه الخبر والعامل في مرفوعه ، **والمختار** وفاقاً لابن مالك تقديره اسم فاعل ... » (الهمع ٩٨/١) .

١٣ – أطلق الجمهور وجوب حذف الخبر إذا وقع المبتدأ بعد لولا الامتناعية . قال السيوطي : « **والمختار** وفاقاً للرماني والشلوبين وابن مالك : يجب ذكره إن كان خاصاً ولا دليل عليه » (الهمع ١٠٤/١) .

١٤ – « نواسخ الابتداء (كان وأخواتها) .... ترفع المبتدأ خلافاً للكوفية » « فمذهب البصريين أنها ترفع المبتدأ ويسمى اسمها .... ومذهب الكوفيين أنها لم تَعمل فيه شيئاً وأنه باق على رفعه » (الهمع ١١٠/١ – ١١١) .

١٥ – « إذا وقعت أنَّ بعد لو فمذهب سيبويه وأكثر البصريين أنها في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف لا يجوز إظهاره .... وذهب الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري وابن الحاجب إلى أنه فاعل بفعل مقدر تقديره ثبت . وهذا هو **المختار** لإغنائه عن تقدير الخبر وإبقاء لو على حالها من الاختصاص بالفعل .... » (الهمع ١٣٨/١) .

١٦ – الجمهور على أن « الآن » ظرف مبني ، واختلفوا في علة بنائه ، قال السيوطي « **والمختار** إعرابه » (الهمع ١/٢٠٧ – ٢٠٨) وهو قول بعض النحويين .

١٧ – في مفاد « رُبَّ » « أقوال : أحدها : أنه للتقليل دائماً ... ثانيها للتكثير دائماً .... ثالثها وهو **المختار** عندي وفاقاً للفارابي أبي نصر وطائفة أنها للتقليل غالباً والتكثير نادراً ... » (الهمع ٢/٢٥) .

١٨ – يتلقى القسم في النفي بما ولا وإن ، وقيل يتلقى بلن ولم ، ونقل أبو حيان عن محمد بن خلصة[11] الضرير أنه يتلقى بلم دون لن ، قال السيوطي : « **وعندي** عكسه وهو جواز التلقي بلن دون لم .... » (الهمع ٢/٤١) .

١٩ – « **الأصحّ** أن الجر في المضاف إليه بالمضاف ، قاله سيبويه ... وقال الزجاج وابن الحاجب : هو بالحرف المقدر .... وقال الأخفش : بالإضافة » (الهمع ٢/٤٦) .

٢٠ – « لا يفصل بين المتضايفين أي المضاف والمضاف إليه اختياراً ... إلا بمفعوله وظرفه **على الصحيح** .... وجوزه أي الفصل الكوفيون مطلقاً .... » (الهمع ٢/٥٢) .

٢١ – « أمَّا .... **الأصحّ** أنها حرف بسيط . وقيل مركب .... » (الهمع ٢/٦٧) .

٢٢ – « حبّذا ... **الأصح** أنّ ذا فاعله .... » (الهمع ٢/٨٨) .

٢٣ – « الجمهور على أنه لا يؤكد به أي بأجمع دون كل اختياراً ، **والمختار** وفاقاً لأبي حيان جوازه » (الهمع ٢/١٢٣) .

---

(١١) في المطبوع « خاصة » وهو تحريف صوابه ما أثبت ، انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/١٠٠ ، وجاء على الصواب في طبعة الكويت ٤/٢٤٤ .

٢٤ – « **المختار** خلافاً للجمهور إثبات بدل الكل من البعض » (الهمع ٢/١٢٧) .

٢٥ – « قال أبو حيان : وشذ أيضاً قولهم : ما أعظم الله وما أقدره ... لعدم قبول صفات الله الكثرة ، و**المختار** وفاقاً للسبكي وجماعة ... جوازه » (الهمع ٢/١٦٧) .

تبين من خلال ما تقدم أنَّ منهج السيوطي في تأليف كتبه قائم على الجمع والنقل والترتيب والتبويب ، وأن منهجه النحوي قائم على الاختيار من أقوال من تقدمه من النحاة في الغالب ، وهو موافق للبصريين في كثير من آرائه ، وهو معهم في أصول النحو .

إنَّ للسيوطي فضلاً في جمع مادة كتبه وتقسيمها وتبويبها وترتيبها أحسن ترتيب ، وإنَّ له علماً بالنحو دلّ عليه اختياره ما اختاره من آراء فيه ، وكلا هذين سالكه بين النحاة غير شك .

الإمام جلال الدين السيوطي
العالم الموسوعي

الأستاذ بديع السيد اللحام

عاش الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ) في آواخر العصر الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بـ(عصر سلاطين المماليك) الذي تميز بحركة علمية نشيطة ، وأنجب عدداً كبيراً من أساطين العلم ، وقد تميزت الحركة العلمية في هذا العصر بظهور الموسوعات العلمية التي تشمل الفنون المعروفة فيه كافة ، ولذلك وصف هذا العصر ، بأنه (عصر الموسوعات) أو (عصر المجاميع) ، ويعد السيوطي أبرز العلماء الموسوعيين في هذا العصر ، وقد حاولت في هذا البحث أن ألقي الضوء على هذه الناحية في حياة السيوطي ، مبتدئاً بنشأته ، ومختتماً برحلاته العليمة ، مروراً بالعلوم التي برز ونبغ فيها ، ومعرفاً بأشهر أساتذته :

نشأته العلمية المبكرة :

نشأ الإمام جلال الدين السيوطي في بيئة علمية ، إذ كان والده من أهل العلم ، كما كانت أسرته ذات ميل إلى التصوف واعتقاد بالأولياء فلا عجب بعد ذلك أن نجده ومنذ بداياته الأولى يميل إلى العلم والتعلم بكليَّته ، وقد ساعده على ذلك حرص والده الشديد على تعليمه وتسليكه طريف الطلب فكان يحمله وهو ما يزال صغيراً لم يتجاوز الثالثة من عمره

ويحضره مجالس أكابر العلماء في عصره ، يقول السيوطي عند ترجمته للشيخ رضوان العقبي :

« لا أشك في أنَّ لي منه إجازة ، فانَّه كان مُسمِع الحديث بالشيخونية ، وكان والدي يحضر مجلس الختم عنده ، وكنت كثيراً ما أحضر مع والدي الشيخونية ، مات في رجب سنة ٨٥٢هـ »[١] ، وما كان والد السيوطي ليكتفي باحضار ابنه الصغير مجالس العلماء بل وجَّهه إلى حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية .

ولكن السيوطي لم ينعم بالرعاية الأبوية طويلاً إذ سرعان ما توفي والده ولم يكن قد تجاوز السنوات الست من عمره ، وكان قد وصل في حفظ القرآن الكريم إلى سورة التحريم ، ولكن هذا الحادث الجلل بالنسبة إلى طفلٍ صغيرٍ لم يؤثر في توجه الصبي العلمي ، وذلك أن والده كان قد أسند وصايته إلى عدد من علماء عصره وعلى رأسهم العلامة المحقق الكمال بن الهمام الحنفي الذي نشأ الإمام السيوطي ملحوظاً بعنايته[٢] .

استمر السيوطي سائراً على الطريقة التي نشَّأه عليها والده ، فأتمَّ حفظ القرآن الكريم ولمَّا يتجاوز الثماني سنوات من حياته ، وأتمَّ حفظ عدد من المتون مثل : (منهاج الطالبين) في فروع الشافعية للنووي ، و(منهاج السول في علم الأصول) للبيضاوي ، و(الألفية في النحو) لابن مالك ، و(عمدة الأحكام عن سيد الأنام) في الحديث لعبد الغني المقدسي ، وقد عرض ما أتمَّ حفظه من هذه المتون على عدد علماء عصره أمثال : العلم

---

(١) المرجع السابق : ٥٠ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بغية الوعاة : ١/١٦٧ ، وانظر الفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ عبد الله المراغي : ٢/٦٥ ، وطرز العمامة : ٨١٥ (مطبوعة ضمن شرح مقامات السيوطي) .

البلقيني ، والشرف المناوي ، والعز الحنبلي ، وشيخ الشيوخ أمين الدين الاقصرائي ، وذلك في صفر سنة (٨٦٤هـ) أربع وستين وثمانمئة ، وله خمس عشرة سنة(١) .

تلك كانت نشأة السيوطي الأولى : (بيئة علمية حافلة بالشيوخ الكبار ، أسرة صالحة ، ذكاء فطري ، حافظة قوية ، موهبة فذّة) عوامل ساعدت على النبوغ العلمي المبكر .

دراسته والعلوم التي نبغ فيها :

بعد تلك الطفولة المباركة والنشأة الطيبة ، توجّه السيوطي إلى الاشتغال بالعلم مجرداً همته لذلك ، لا يلتفت إلى شيءٍ من أمور الدنيا ، فقد كان يمتلك الرغبة القوية الجامحة ، والاستعداد الحسن والمتابعة الجيدة للتحصيل العلمي ، فلازم العلماء ملازمة تامة وزاحم الطلبة بالأخذ عن أئمة عصره في كل فن ، وعكف على الكتب والمكتبات ينهل مما فيها ، وجدَّ واجتهد ، بحيث كان يمضي وقته كلَّه متنقلاً من حلقة شيخ إلى مجلس عالم لا يعرف الكلال والملل ، يقول :

« .. وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشمني فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة (السبت والاثنين والخميس) وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي .. »(٢) .

ومما يلاحظ على طريقة السيوطي في التلقي عن الشيوخ أنّه كان

---

(١) التحدث بنعمة الله :٢٣٦ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٤٠ .

يلازم الشيخ من هؤلاء المذكورين إلى وفاته ثم ينتقل إلى غيره وهكذا ، ولذلك يقول : « ..ولازمته – أي العلم البلقيني – في الفقه إلى أن مات .. فلما توفي سنة ثمان وستين لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوي »[١] .

والأمر الآخر الذي تميَّز به السيوطي في أثناء تلقيه للعلم أنَّه كان يصب اهتمامه على المباحث العلمية الدقيقة والجادة ، ولايكتفي بمجرد السرد والسماع ، وهو ما عبر عنه بقوله :

« ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية .. »[٢] .

لقد كان إقبالُ السيوطي على العلم إقبالَ الجائع النَّهم الذي لا يرتوي مصداق حديث النبي ﷺ : « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا »[٣] وقد كان السيوطي نموذجاً لطالب العلم الذي لا يشبع ، وقد آتى هذا الحب للعلم والجلد عليه أُكُلَه عند السيوطي سريعاً ، فما هي إلا أن أجازه أشياخه بالتدريس ولم يجاوز السابعة عشرة من عمره ، ففاق أقرانه وأصبح المشار إليه بالبنان ، وتصدَّر للتدريس في سن مبكرة[٤] .

---

(١) حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ وقارن بتصدير طبقات المفسرين له (طبعة ليدن) : ص٥ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبي (المستدرك : ٩٢/١) وقد أخرجه ابن عدي في الكامل : ٢٢٩٦/٦ ، والطبراني في المعجم الكبير :٢٢٣/١٠ ، وقال الهيثمي : « فيه ليث بن أبي سليم ضعيف » (مجمع الزوائد : ١٣٥/١) وعزاه في المطالب العالية (١٢٣/٢) إلى إسحاق بن راهويه وقال : « فيه ضعف وله شاهد » قلت : وشاهده عند ابن أبي خيثمة في العلم ، انظر جامع الأحاديث (رقم :٢٣٣٨٣) .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٨٨ و ٢٤٠ .

هذا ولم يقتصر تفوق السيوطي وتقدمه على فن واحد ، بل فاق ونبغ في أكثر علوم عصره ، يقول عن نفسه :

« قد رزقت ولله الحمد التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة [1] بحيث أنَّ الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمَّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها : الفرائض والإنشاء والترسل ... (ولم) أتبحر في الفرائض كتبحري [2] في تلك مع أنَّ معرفتي بالفرائض فوق معرفة الموجودين الآن بأسرهم [3] وقد ألَّفت فيها مؤلفاً جامعاً

(١) كذا وقعت العبارة في : التحدث بنعمة الله (٢٠٣) وحسن المحاضرة (٣٣٨/١) أما الشعراني فقد نقلها عن السيوطي على الوجه التالي : « .. على طريقة العرب البلغاء وعلى طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفات » أقول : والذي يظهر لي أن ما جاء عند الشعراني هو الوجه الأقرب وكأنَّ العبارة قد تصحفت في التحدث وحسن المحاضرة ، وذلك أن السيوطي قد تمرس بهذه العلوم على يد شيخ أعجمي رومي كان حجة عصره وهو الشيخ محيي الدين الكافيجي ، وقد تأثر السيوطي به كثيراً ونقل في الأشباه والنظائر النحوية عنه الكثير من المباحث ، إضافة إلى أن آثاره في علم البلاغة تؤكد ذلك ويكفي للتدليل على ذلك أنه استنبط من آية واحدة مئة وعشرين نوعاً بديعياً بحيث يشعر القارئ بأنه يقرأ بحثاً فلسفياً أكثر منه بلاغياً ، وذلك في كتابه (فتح الجليل للعبد الذليل) ــ مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي في لاهور ــ .

(٢) لعل السيوطي يقصد أنَّه لم يتبحر في الفرائض كتبحر شيخه شهاب الدين الشارمساحي الذي كان يعد فرضي عصره بلا منازع ، وإلا فهو أعلم أهل عصره بعد شيخه فيها .

(٣) أقول : اشتهر بدر الدين المارديني (المتوفى : ٩١٢هـ) في الرياضيات والفرائض وهو عصريّ السيوطي ، وقد كان المارديني يرجع إلى السيوطي فيما يشكل عليه من مسائل الفرائض من ذلك سؤاله في مسألة الولاء التي أجابه السيوطي عنها برسالته المسماة (البدر الذي انجلى في مسألة الولا) المطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي : ١٧٧/١ .

سميته (الجامع) لم أُسبق إلى مثله ، جمعت فيه مسائل الفن وما فيها من خلاف على جميع المذاهب حتى مذاهب الصحابة والتابعين فمن بعدهم وهو في غاية الوجازة[١] ... ودون ذلك في المعرفة : القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ولذلك لم أقرئها أحداً لأنَّها فن إسناد وقد ألَّفت فيها التأليف البديع[٢] ودونها الطب ، وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به ، ولكن يثقل عليّ النظر فيه وتضيق منه أخلاقي ، ومن ظنَّ أنّي قُلت ذلك قصوراً فذلك لجهله بمقصودي ، وكم من مسألة عرضت عليَّ فيه نظماً ونثراً فأجبت عنها في الحال »[٣] .

إن ما يدعيه السيوطي ليس مجازفة من غير دليل إذ يكفينا ذلك الكم الهائل من المصنفات والرسائل والمؤلفات التي تركها السيوطي وتداولتها أيدي العلماء حتى يومنا هذا[٤] .

---

(١) الجامع في الفرائض ما يزال مخطوطاً منه نسخة في مكتبة برلين برقم (٤٧٦٠/٣٨) .

(٢) هو شرح الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني) منه نسخة في الظاهرية (٢٩٩/١٠) .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٣٠٣ ـ ٣٠٤ وانظر مسالك الحنفا : ٢٢٩ (ط/ضمن الحاوي) .

(٤) وضع السيوطي فهرساً لمؤلفاته سنة (٩٠٤هـ) أي قبل وفاته بسبعة أعوام ذكر فيه : (٣٦) مؤلفاً في فن التفسير ومتعلقاته و(٢٠٣) في فن الحديث ومتعلقاته و(٢٤) في ما يتعلق بمصطلح الحديث و(٧١) في الفقه و(١٧) في الأصول والعقائد والتصوف و(٦٣) في اللغة والنحو والتصريف و(٧) في المعاني والبيان والبديع و(٩) في الكتب الجامعة لفنون عديدة و(٦٩) في الأدب والنوادر والانشاء والشعر و(٢٩) في التاريخ ، وبلغ مجموع هذه المؤلفات : (٥٢٨) مؤلفاً حسب احصائي لما ورد في هذا الفهرس المطبوع في لاهور ضمن مجموع اثني عشر رسالة من رسائل السيوطي .

إنَّ مما يلاحظ على كلام السيوطي السابق ما ذكره من أنَّه لم ينبغ النبوغ الكافي في فن الإنشاء والترسل مع أنَّه ترك لنا مجموعة من القطع الأدبية والمقامات لا تتأتَّى في أسلوبها وبلاغتها لأساطين الأدب في عصرنا ، يقول الدكتور مصطفى الشكعة واصفاً مقامات السيوطي :

« إنَّها نماذج من فن القول الأدبي تشهد لصاحبها ببلاغة القلم وتمكن الأسلوب ، وعمق الثقافة ، ورحابة الفكرة ، وخصب العطاء ، والقدرة على التنويع ، وكسر الطوق الذي ضرب حول شكل المقامة وهدفها »[١] .

أي أنَّ السيوطي يعد مجدداً في أدب المقامات[٢] وبلغ شأواً في سائر الفنون الأدبية يقول الشكعة : « من اليسير أن نقرر أن الرجل كان كاتباً بليغاً ، ومترسلاً متفنناً ، وأديباً فذاً ، ومؤدباً مرموقاً »[٣] .

« ولو أنَّه قدر لأعمال السيوطي الأدبية أن تنشر وحدها بمعزل عن آثاره العلمية المتعددة الموضوعات والفنون لكانت شاهدة على أن السيوطي كان واحداً من رجال الأقلام الأفذاذ في عصره وأنَّه في مقدمة كتَّاب زمانه إبداعاً وقدرة »[٣] .

وإن الإنسان ليعجب حينما يعلم بأن السيوطي لم يذكر من بين الفنون التي تبحر فيها فنوناً وعلوماً أُخرى يعدُّ أَحد نوابغ عصره – بله العصور الإسلامية المختلفة – فيها ، منها على سبيل المثال (علم التاريخ)

---

(١) السيوطي كاتباً وأديباً : الدكتور مصطفى الشكعة (مطبوع ضمن كتاب الندوة) : ٤٣٢ .

(٢) انظر أبرز خصائص التجديد في مقامات السيوطي في شرح مقامات السيوطي لسمير الدروبي : ١/١١١ – ١١٩ ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : م ٤٢٧/٥ .

(٣) السيوطي كاتباً وأديباً : ٤٣٢ .

الذي يعرف من نفسه أنَّه أتى فيه بفوائد لم تتأتَّ لبعض شيوخه حيث يقول في مقدمة كتابه الشماريخ في علم التاريخ :

« وبعد: فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ فلم أر فيه لا قليلاً ولا كثيراً ولا جليلاً يستفاد ولا حقيراً[١] فوضعت في هذا الكتاب من فوائده ما تقر به الأعين وتنحل به الألسن »[٢] .

كما ترك في هذا الفن سوى كتاب الشماريخ عدداً من المؤلفات النافعة الهامة والمفيدة ، وقد أُجريت حول عدد منها البحوث والدراسات الكثيرة مما يدلُّ على أهميتها ، فيعرِّف أَحد الباحثين مثلاً كتاب حسن المحاضرة بقوله :

« هو من أمهات المصادر في تاريخ القاهرة خاصة ، وفي التاريخ المصري الإسلامي عامة ، ويضيق المحال في استقصاء روائع ما اشتمل من حقائق ومعلومات واحصائيات وتحليل ونقد ووصف لمظاهر الحياة المصرية في القرن التاسع الهجري »[٣] .

لكل ذلك : « نستطيع أَن نقرِّر أن السيوطي كان في مقدمة المشتغلين بالدراسات التاريخية »[٤] .

---

(١) يشير إلى كتاب شيخه الكافيجي المسمى (المختصر المفيد في علم التاريخ) الذي طبع روزنتال قطعة منه ضمن كتابه (علم التاريخ عند المسلمين) : ٣١٧ ، وما بعدها .

(٢) الشماريخ في علم التاريخ : ٢٥ ـ ٢٦ ، (مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي بلاهور) .

(٣) مقال للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مجلة المنهل السعودية العدد/٤٥٦/ ص : ١٩٣ ، وانظر وصفاً تحليلياً ونقدياً للكتاب في تراث الإنسانية : ٦٣٠/٢ وما بعدها بقلم إبراهيم الأبياري ، وبحثاً للدكتورة سيد كاشف مطبوع ضمن كتاب الندوة : ١٣٣ ـ ١٥٠ .

(٤) دراسات نقدية وتحليلية لكتاب تاريخ الخلفاء : الدكتور علي الخربوطلي ص١٩٣ (مطبوع ضمن كتاب الندوة) .

ويقول باحث آخر : « إن ما تركه السيوطي من المؤلفات التاريخية يسمح لنا أن ننظمه إلى جانب كونه إماما من أئمة الحديث كذلك في سلك المؤرخين »[١] .

وقد سبق إلى ذلك كله نجم الدين الغزي حينما وصف السيوطي بأنَّه : (حجَّة في التاريخ)[٢] .

أما كراتشكوفسكي – المستشرق الروسي – فقد عدَّ السيوطي من بين أبرز الجغرافيين العرب ، وقد أشار إلى أنَّ بعضاً من مقاماته تمس علم الأجناس البشرية (الاثنوغرافية)[٣] .

أما علم الكلام فقد كان السيوطي يميل إلى عدم الاشتغال به ، وقد نقل عنه السخاوي أنَّه قال : « إنَّ بضاعتي في علم الكلام مزجاة »[٤] ولكن هذا لا يعني أنَّه غير متمكن من هذا العلم نستنتج ذلك من كلامه ومصنفاته ، أما كلامه فما ذكره عن نفسه في مقدمة رسالته (الحبل الوثيق في انصرة الصديق)[٥] حيث يقول :

« .. وهذه مسألة تفسيرية حديثية أصولية (كلامية) نحوية ، فمن لم يكن متبحراً في هذه العلوم الخمسة لم يحسن التكلم في هذه المسألة ، وأنا أوضح الكلام عليها في فصلين .. »

---

(١) مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عنان : ١٤٢ ، وانظر : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية له أيضاً : ٦٤ .

(٢) لطف السمر وقطف الثمر في أعيان القرن الحادي عشر للغزي : ١/١٨٤ (ط/وزارة الثقافة السورية) .

(٣) تاريخ الأدب الجغرافي العربي : ٤٨٩ .

(٤) الضوء اللامع للسخاوي : ٤/٦٨ .

(٥) مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي : ٢/٣٢٦ .

أي أنه متبحر في هذه العلوم الخمسة التي منها علم الكلام .

أما مصنفاته فيكفي الإنسان أن يطالع تكملته لتفسير الجلال المحلي ، وشروحه لكتب الحديث عندما يفسر أو يشرح آيات وأحاديث العقائد والصفات ، ليشهد بأن السيوطي متمكن في علم الكلام عارف بمسائله معرفة خبير حاذق متضلع .

وأما (علم المنطق) فللسيوطي معه شأن آخر سأدعه يحدثنا عن قصته معه حيث يقول :

« ووقعت لي في أيامه – أي البلقيني – واقعة تحريم المنطق وهو أول وقائعي التي قام الناس عليَّ فيها ، وذلك أنِّي كنت اشتغلت به فقرأت (ايساغوجي) وشرحه على الشيخ شمس الدين الحنفي ، وعلى قاضي طرسوس علاء الدين – رجل رومي قدم علينا بالشيخونية فنزل عند شيخنا الكافيجي – وكنت إذ ذاك اختصرت (ورقات) إمام الحرمين في مقدمة لطيفة ، فرآها معي القاضي المذكور فأخذها ثم لم يردها إليَّ ، وربما توهمت أنَّه يريد نسبتها لنفسه إذا ذهب إلى البلاد فسقط من عيني وكنت أبحث معه في المسائل الشرعية فأجده عارياً منها فازدريت المنطق جملة ، ثم وقفت على كلام العلماء في ذمِّه ، وما أفتى به (ابن الصلاح) فملت عن المنطق كل الميل ، فألفت كراساً سميته (الغيث المغرق في تحريم المنطق)»[1] .

إذاً بامكاننا أن نقول ابتداء إن السيوطي يحرم الاشتغال بالمنطق ، وانه علل ميله عنه بالتأثر السلبي لسلوك عالم من علماء المنطق من ناحية ، وفتوى عدد من علماء المسلمين بتحريم تعاطي هذا العلم من ناحية أخرى .

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤١ ، وقارن بما جاء في اكتفاء القنوع لادوارد فنديك : ٧٦ و٨٧ (طبع مصر بتصحيح محمد علي البيلاوي) ..

ولكن هل يعني هذا أنَّ السيوطي كان عرياً عن معرفة هذا العلم وللجواب على ذلك نتابع ما يقوله السيوطي في مقدمة كتابه صون المنطق والكلام :

وبعد: فقد كنت قديماً في سنة سبع أو ثمان وستين ألفت كتاباً في تحريم الاشتغال بفن المنطق سميته (القول المشرق)[1] ضمنته قول أئمة الإسلام في ذمه وتحريمه ، وذكرت فيه أنَّ شيخ الإسلام أحد المجتهدين تقي الدين ابن تيمية ألف كتاباً في نقض قواعده ولم أكن إذ ذاك وقفت عليه ، ومضى على ذلك عشرون سنة، فلما كان في هذا العام وتحدثت بما أنعم الله عليَّ من الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، وذكر ذاكر أنَّ من شروط الاجتهاد معرفة فن المنطق – يعني : وقد فقد هذا الشرط عندي بزعمه – وما شعر المسكين أنِّي أحسنه أكثر مما يدعيه ويناضل عليه ، وأعرف أصوله وقواعده وما بنيت عليه وما يتولد منها ، معرفة ما وصل إليها شيوخ المناطقة الآن ... »[2] .

إذاً فالسيوطي مقرٌّ ببراعته في علم المنطق ومعرفته فيه ، وهذا الإقرار ليس مجرد مجازفة عارية عن الدليل ، فإن من يطالع بعض مؤلفات السيوطي

---

(١) هو نفسه كتاب (الغيث المغدق – المغرق – في تحريم المنطق) الذي مرَّ ذكره قبل قليل ، وللسيوطي في تحريم المنطق أيضاً :

١ – صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام .

٢ – جهد القريحة في تجريد النصيحة – لخص فيه كتاب ابن تيمية : نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان – وكلاهما مطبوع بتحقيق الدكتور علي النشار بمصر .

٣ – فتوى في تحريم المنطق ضمن الحاوي للفتاوي : ١/٢٥٥ – ٢٥٧ ، وقد عنونها الطابع بالقول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق ، والذي ظهر لي أنَّ هذا العنوان ليس لهذه الفتوى بل أضيف من بعض الناسخين في بعض النسخ المخطوطة فأثبته الطابع .

(٢) صون المنطق والكلام : ٣ .

يشعر بأنَّه يستخدم فيها أساليب المناطقة ومصطلحاتهم مثال ذلك كتابه : (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) المطبوع ضمن (الحاوي للفتاوي)[١] وأما في (مقامته البحرية) ، فقد جعل السيوطي من بين شخصياتها رجلاً يتحدث عن قضية نقصان النيل بعد وفائه بمصطلح أهل المنطق[٢] .

وبعد : أظن أن ما تقدم يكفي للتدليل على أن السيوطي لم يكن « مسترسلاً »[٣] فيما ادعاه من تبحره في العلوم التي أشار إليها ، وكيف يدعي ما ليس عنده وهو يروي حديث النبي ﷺ[٤] . « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » ويشرح هذا الحديث بقوله : « المتشبع بما لم يعط : أي المتكثر بما ليس عنده »[٥] .

شيوخه وأساتذته :

لقد زخرت مصر في عصر السيوطي بنخبة من العلماء،والمفكرين والمحققين في جميع فروع المعرفة الإسلامية ، وكان من حظِّ السيوطي أنَّه تتلمذ لصفوة علماء عصره بحيث كان يوصف الواحد منهم بأنَّه حجة في

---

(١) الحاوي للفتاوي : ٢/٢٠٢ وما بعدها .

(٢) المقامة البحرية : ٢٥٧ و٢٦١ و٢٦٩ (شرح مقامات جلال الدين السيوطي بتحقيق سمير الدروبي ، ط/مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م) .

(٣) الضوء اللامع : ٤/٦٩ .

(٤) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٩١٦٨) (ط/ محيي الدين عبد الحميد) وقد أخرجه البخاري في النكاح باب المتشبع بما لم ينل (رقم :٤٩٢١) ومسلم في اللباس باب النهي عن التزوير في اللباس (رقم : ٢١٢٩) وأبو داود (رقم : ٤٩٩٧) وأحمد في المسند .

(٥) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : ٢٦٢ ، وانظر روح التوشيح : ٣١٥ والفارق بين المصنف والسارق للسيوطي : ٨٢٠ و٨٢٤ (مطبوع ضمن شرح مقامات السيوطي) .

فنه الذي برع فيه ، مع مشاركته وبراعته في بقية الفنون كما سيتضح لنا من خلال تراجمهم الموجزة التي سأوردها فيما يلي ، فمن أشهر هؤلاء :

(١) شمس الدين الحنفي[1] :

هو العلامة : محمد بن سعد بن خليل المرزباني الحنفي المعروف بـ (ابن سعد الدين) .

ولد بعد السبعين وسبعمئة .

كان خازن كتب الشيخونية ، مشهوراً بالصلاح والانجماع عن الناس والإنقطاع إلى الله تعالى ، مقبلاً على نفع العام والخاص والإقراء والتعليم ، وكانت تقريراته للدروس تقريرات بحث .

تمكن من علوم اللغة والمنطق) وعلم الكلام فأصبح مبرزاً بين علماء عصره فيها وقد لازمه السيوطي في هذه الفنون فقرأ عليه (الكافية) و(شرحها) للمصنف ، و(المتوسطة) و(الشافية) و(ايساغوجي) و(شرحه) للكاتي ، وبعضاً من كتاب سيبويه ، كل ذلك قراءة بحث واتقان ، كما سمع عليه الكثير من الكتب بحثاً مثل : (شرح العقائد) للتفتازاني ، وتلخيص المفتاح ، وبعض (مختصر ابن الحاجب) الأصلي ، وشيئاً من (ألفية العراقي) ، وغيرها .

توفي في شعبان سنة سبع وستين وثمانمئة (٨٦٧هـ) .

---

(١) ترجمته في : نظم العقيان : ١٤٩ ، بغية الوعاة : ٧٨/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) علم الدين البلقيني :[1]

هو قاضي القضاة شيخ الإسلام : صالح بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني الشافعي ، سليل إحدى الأُسر العلمية التي سطع نجمها إبَّان عصر المماليك .

ولد بالقاهرة سنة (٧٩١هـ) .

قرأ على جلَّة علماء عصره ، وتخرَّج بأخيه شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني ، واختير لمنصب قضاء القضاة بعد وفاة أخيه المذكور سنة (٨٢٦هـ) وقد كان في قضائه مهيباً فطناً كما تصفه المصادر .

ألَّف عدداً من الكتب عرف منها تفسيره للقرآن ، وشرحه على البخاري ، وحواشيه على الروضة في الفقه الشافعي وغيرها .

تمكَّن في الفقه وعلا نجمه فيه وبذَّ الأقران ، وقد وصفه السيوطي بأنَّه « إمام الفقهاء ، وحامل لواء مذهب الشافعي في العراق ومصر والشام » وقد ذكر أنَّه بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه .

لازمه السيوطي في الفقه الشافعي من سنة (٨٦٥هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه كتاب (التدريب) لوالده إلى كتاب الزكاة ، وسمع عليه من أول (الحاوي) إلى العدد ومن أول (المنهاج) إلى الزكاة ، ومن أول (التنبيه) إلى الزكاة ، وقطعة من (الروضة) وقطعة من (التكملة) للزركشي إلى الوصايا وغير ذلك .

---

(١) انظر ترجمته في : نظم العقيان : ١١٩ ـ حسن المحاضرة :١/١٤٤ ـ التحدث بنعمة الله : ٢٣٨ ـ وقد أفرده بالترجمة كما ذكر في حسن المحاضرة ولكنها مفقودة ، وراجع الضوء اللامع ٣/رقم ١١٩٩ ، و٤/٦٦ .

أجازه بالافتـاء والتدريس سنة (٨٦٦هـ) في شهر شوال ، وحضر تصديره لدى مباشرته تدريس الفقه في الجامع الشيخوني في ذي القعدة (٨٦٧هـ) .

توفي البلقيني في رجب سنة (٨٦٨هـ) .

(٣) شرف الدين المناوي :[١]

قاضي القضـاة شيخ الإسـلام أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد المنـاوي المصري الشـافعي . (جد عبد الرؤوف المنـاوي شـارح الجامع الصغير) .

ولد سنة (٧٩٨هـ) .

سمع الشرف ابن الكويك ، ولازم ولي الدين العراقي وتخرج به في الفقه والأصول ، وتمكن في الفقه الشافعي حتى عدَّ من مجتهدي المذهب .

تصدر للإفتاء والتدريس ، وعيِّن في قضاء القضاة سنة (٨٥٢هـ) وكان في قضـائه دينـاً ورعاً عـادلاً . كما كان « صـوفيـاً له أحوال وكرامات »[٢] .

لازمه السيوطي بعد وفاة شيخه (العلم البلقيني) سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه : قطعة من (المنهاج) وسمعه عليه في التقسيم كاملاً إلا دروساً كما سمع عليه الكثير من شرح (البهجة) ومن حاشيته عليها ، ومن تفسير (البيضاوي) ، وغير ذلك .

توفي ليلة الاثنين الثاني من جمادى الأولى سنة ٨٧١هـ .

---

(١) انظر ترجمته في : حسن المحاضرة : ١/٤٤٥ ، شذرات الذهب : ٧/٣١٢ .

(٢) السيوطي النحوي : ١٦١ نقلاً عن المنجم/في المعجم للسيوطي : ٧٢ .

قال السيوطي : « وهو آخر علماء الشافعية ومحقِّقيهم »[١] .

(٤) تقي الدين الشُمني[٢]

هو العلامة ذو الفنون : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يحيي الشمني القسنطيني المالكي ثم الحنفي .

ولد بالاسكندرية سنة (٨٠١هـ) .

نشأ وتعلم بالقاهرة ، وتخرج على الشمس الشطنوفي ، والشمس البساطي ويحيى السيرامي والعلاء البخاري وغيرهم .

تميَّز في التفسير والحديث وعلوم اللغة ، وبرع في سائر العلوم ، وكان مالكياً ثم تحنَّف ، وطُلب للقضاء مراراً فأباه ، وعُني بنشر العلم والتصنيف ، فألَّف حاشية على المغني سماها (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام) وله (مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا) و(شرح مختصر الوقاية) و(شرح نظم نخبة الفكر) لوالده .

كان حجة متوقد الذكاء ، قوي الحافظة ، عفيفاً ، محباً للخير .

لازمه السيوطي أربع سنوات من سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فأخذ عنه الحديث رواية ودراية ، والعربية والمعاني ، فسمع عليه قطعة كبيرة من (المطول) وكذا من توضيح ابن هشام ، وقرأ عليه روايةً الكثير ، وأطلعه السيوطي على شرحه لألفية ابن مالك ، وكتابه جمع الجوامع في العربية فاستحسنهما وكتب على الثاني مقرظاً : (وقفت على هذا الجمع المفرد

---

(١) كذا وصفه السيوطي في بذل المجهود في خزانة محمود (ط/ مجلة معهد المخطوطات م ١٣٤/١/٤) .

(٢) ترجمته في : بغية الوعاة : ٣٧٥/١ ، حسن المحاضرة : ٢٧١/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٥ .

والتأليف الذي هو جوهرٌ منضدٌ) [١] .

يقول السيوطي : « وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه » [٢] .

توفي الشمني في ذي الحجة سنة (٨٧٢هـ) .

(٥) محيي الدين الكافيجي[٣] :

هو الإمام المحقق العلامة : أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود البرغمي الرومي الحنفي .

ولد قبل الثمانمئة للهجرة .

أخذ العلوم عن البرهان حيدرة والشمس بن العنزي وجماعة ، وترقى في مراتب المعقول حتى فاق وصار إمام الدنيا فيها ، وله تصانيف جاوزت المئة أكثرها في مسائل علمية مفردة .

يعد هذا الشيخ أكثر شيوخ السيوطي عطاء ، ومن ثمَّ فقد لازمه السيوطي أربعة عشر عاماً فأخذ عنه :

« .. الفنون قراءة وسماعا من التفسير والحديث والأصلين والعربية والمعاني وغير ذلك » وكتب له بخطه إجازة عظيمة . وقرأ عليه من (شرح القواعد) له وأشياء من مختصراته . وسمع عليه من (الكشاف) وحواشيه ،

---

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٤٦ .

(٣) ترجمته في : حسن المحاضرة : ٥٤٩/١ ، بغية الوعاة : ١١٧/١ ، التحدث بنعمة الله ٢٤٣ . والكافيجي : نسبة إلى كتاب الكافية في النحو ـ لكثرة اشتغاله به ـ بزيادة (جيم) على عادة الترك في النسب (انظر لب اللباب : ٢١٨ ، تاريخ الأدب العربي لفروخ : ٨٩٩/٣) .

و(المغني) وحاشيته ، و(توضيح) صدر الشريعة ، و(التلويح) للشيخ سعد الدين ، و(تفسير البيضاوي) والكثير من تصانيفه كـ : (شرح كلمتي الشهادة) و(مختصره) في علوم الحديث[١] و(شرح أحكام القوافي) وغير ذلك .

يقول : « .. وما علمت أنَّه خُتم عليه كتاب لأنّه كان يقرأ قراءة الأئمة الراسخين في التحقيق ... وعلقت عنه فوائد وأبحاثاً[٢] وأجازني بتدريس سائر الفنون ... وقرَّرني في تدريس الحديث بالشيخونية .. وكانت مدة ملازمتي له أربع عشرة سنة ما دخلت عليه مرة يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة »[٣] .

توفي الكافيجي في الرابع من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثمانمئة (٨٧٩هـ) .

(٦) سيف الدين الحنفي[٤] :

هو الإمام العلامة : محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري القاهري الحنفي النحوي .

ولد على رأس الثمانمئة الهجرية .

أخذ عن مشاهير عصره أمثال : السراج قارئ الهداية ، والزين

---

(١) مطبوع بتحقيق د. علي زوين (نشر دار الرشد الرياض : ١٩٨٧م) .

(٢) أورد السيوطي بعضاً من أبحاث شيخه الكافيجي في كتابه : (الأشباه والنظائر النحوية) الجزء الرابع : ص٤١٦ – ٦٢٢ (ط/مجمع اللغة العربية بدمشق ، بتحقيق أحمد الشريف) .

(٣) المرجع السابق : ٢٤٤ .

(٤) ترجمته في : حسن المحاضرة : ٤٧٨/١ ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٢ .

التفهني ولزم الكمال بن الهمام وتخرج به .

مهر في الفقه والأصول والنحو حتى قال عنه شيخه الإمام الكمال بن الهمام :

« هو محقق الديار المصرية ، مع ما هو عليه من سلوك طريق السلف والعبادة والخير وعدم التردد إلى أحد أبداً مدة عمره » ووصفت دروسه بأنَّها إليها المنتهى في التحقيق والتؤدة ونقل مقالات العلماء .

وقد لازمه السيوطي فسمع عليه دروساً عديدة من (الكشاف) و(التوضيح) وحاشيته عليه ، و(شرح شذور الذهب) و(تلخيص المفتاح) و(العضد) وغير ذلك .

مات في ذي القعدة سنة إحدىٰ وثمانين ثمانمئة (٨٨١هـ) .

قال السيوطي : « وهو آخر شيوخي موتاً لم يتأخر بعده أحد ممن أخذت عنه العلم إلا رجلٌ قرأت عليه ورقات من المنهاج[١] .

هؤلاء هم الشيوخ الذين لازمهم السيوطي وأكثر من الأخذ عنهم وكان لهم الأثر الواضح في بناء شخصيته العلمية وتكوينه الفكري وسلوكه الاجتماعي وله سواهم مجموعة أخرى من الشيوخ جالسهم واستفاد من دروسهم ولكن لم تطل مدة مجالسته لهم ، ولم يكن لهم ذلك التأثير الواضح في شخصيته من أمثال :

الشيخ : جلال الدين المحلي (ت : ٨٦٤هـ)[٢] .

والعلامة : شهاب الدين الشارمساحي (ت : ٨٦٥هـ)[٣] .

---

(١) يشير إلى الشيخ شمس الدين الباني المتوفى سنة (٨٨٥هـ) (التحدث بنعمة الله ١٦٣) .

(٢) الكوكب السائرة : ٢٢٦/١ .

(٣) نظم العقيان : ٤٣ .

وقاضي القضاة عز الدين الكناني (ت : ٨٧٦هـ)[١] وسواهم .

أما شيوخ السيوطي في الإجازة والسماع فكثيرون جداً ، أوصلهم إلى أكثر من ستمئة شيخ وشيخة[٢] ، وبالجملة فـ :

« إنّ قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول قد انتهت إلى جماعة كثيرة لم يعهد مثلها لأحد من الفحول »[٣] .

وقد حاولت فيما مرّ أن أركز الضوء على بعض ممن تخرج بهم السيوطي ليكون ذلك بمثابة رد على السخاوي الذي اتهم السيوطي بأنَّه لم يعن في الطلب ، وأنَّه استبد بالأخذ من بطون الكتب ، وقد تابع غير واحد من الكاتبين السخاوي في ترديد هذه التهمة دون تحقيق ، يقول الدكتور عمر فروخ :

« ويبدو أن ثقافة السيوطي كانت راجعة إلى جهوده في المطالعة .. »[٤] .

رحلاته العلمية :

(**الرحلة الحجازية**) كانت رحلة السيوطي الأولى إلى الحجاز وابتدأها في ربيع الآخر سنة (٨٦٩هـ) حيث وصل إلى مكة بطريق بحر القلزم (الأحمر) منتصف جمادى الأولى ، واستمر مقيماً فيها مجاوراً إلى أن حجَّ في السنة نفسها وقد ألف في أثناء هذه الرحلة عدداً من المصنفات منها :

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤٤ .

(٢) وجمعهم في معجم شيوخه الكبير المسمى (حاطب ليل وجارف سيل) .

(٣) روضات الجنات للخوانساري : ٤١٥ .

(٤) تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ٨٩٩/٣ ، وانظر الضوء اللامع للسخاوي : ٦٨/٤ .

١ - مختصر ألفية العراقي في المصطلح نظمها في نحو ثلثي أصلها قال في آخرها :

نظمتها في نحو ثلثي أصلها ... ولن ترى مختصراً كمثلها
ختمتها بظهر بحر القلزم ... مسافراً للبلد المحرم
وفي ربيع لاح زهر نظمها ... وفي جمادى فاح مسك ختمها
من عام تسعة وستين التي ... بعد ثمانمئة للهجرة[1]

٢ - كتاب على نمط كتاب (عنوان الشرف الوافي) احتوى خمسة أنواع من العلوم هي : النحو والمعاني والبديع والعروض والتاريخ ، وسماه (النفحة المسكية والتحفة المكية) أتم تأليفه في يوم واحد في نحو كراسة[2] .

٣ - كما جمع السيوطي فوائد هذه الرحلة المباركة وما وقع له فيها ومن لقيه أو أجازه أو استجازه في كتاب سماه : (النحلة الزكية في الرحلة المكية)[3] .

وبعد أداء مناسك الحج زار وقفل راجعاً إلى بلده فوصلها افتتاح سنة (٨٧٠هـ) وقد لقي في رحلته كبار شيوخ الرواية من علماء الحرمين الشريفين أمثال :

العلامة نحوي الحجاز قاضي المالكية محيي الدين عبد القادر بن أحمد بن محمود بن عبد المعطي الأنصاري (المتوفى : ٨٨٠هـ) الذي استجازه الإمام السيوطي وأطلعه على شرحه للألفية فاستحسنه وكتب عليه تقريظا[4] .

(١) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٧٩ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٣٧٠ .

(٣) وتسمى الرحلة المكية والمدنية (انظر التحدث بنعمة الله : ١٢٧ و٧٩) .

(٤) ترجمته في بغية الوعاة : ٣٧٢/١ ، وانظر أيضاً : ١٠٤/٢ . وانظر نص تقريظه على شرح الألفية للسيوطي في التحدث بنعمة الله : ١٣٩ - ١٤٠ .

والعلامة الحافظ نجم الدين بن تقي الدين محمد بن المكي (المتوفى ٨٨٥هـ) وهو من طلبة والده ، وقد أجاز السيوطي بمروياته وكتب بعضاً من مصنفات السيوطي ، وهو الذي أشار على السيوطي أن يختصر طبقات النحاة الكبرى فاختصرها بكتابه (بغية الوعاة)[١] .

الرحلة المصرية

وللسيوطي رحلة أخرى سوى الرحلة المكية زار فيها بعض مدن مصر أنشأها بعد عودته من رحلة الحج واستمرت نحواً من ثلاثة أشهر من رجب إلى شوال سنة (٨٧٠هـ) زار خلالها دمياط والفيوم والإسكندرية وغيرها من المدن ، وقد جمع فوائد هذه الرحلة أيضاً في مؤلف سماه (الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط)[٢] يقول :

« وفي هذه الرحلة حدَّثت بعُشارياتي وبأشياء من نظمي ، وكُتب الكثير من كلامي وتصنيفي ، وطُلب مني الإجازة » .

ويتضح للباحث من خلال حديث السيوطي عن هذه الرحلات وما وقع له فيها أنَّه لم يخرج من القاهرة للارتحال إلا وقد أصبح وعاء علم وأنَّه كان هو المفيد أكثر مما كان مستفيداً ، وأن الذين أجازهم أكثر من الذين أجازوه مما يدل على أنَّ شهرته سبقته قبل أن يخرج .

---

(١) ترجمته في الرسالة المستطرفة : ٨٤ ، وانظر التحدث بنعمة الله : ٨٠ .

(٢) وتسمى قطف الزهر في رحلة شهر ، وله في الرحلة إلى الفيوم مؤلف مستقل سماه (الرحلة الفيومية) انظر التحدث بنعمة الله : ٨٣ و١٢٧ وقارن بمكتبة الجلال السيوطي : ٢٠١ .

(آراء وأنباء)

الأستاذ المهندس وجيه السمان

في ذمة الله

ينعى مجمع اللغة العربية بدمشق إلى المجامع والجامعات والمحافل العلمية ببالغ الأسى عضو المجمع الأستاذ المهندس وجيه السمان الذي لقي وجه ربه صباح يوم الاثنين التاسع عشر من شهر صفر ١٤١٣هـ الموافق للسابع عشر من شهر آب (أغسطس) ١٩٩٢م .

ولد الفقيد في دمشق عام ١٣٣١ للهجرة الموافق لعام ١٩١٣م ، ودرس في مدارس دمشق ، ثم في المدرسة المركزية (Ecole Centrale) بباريس ، وعاد إلى الوطن سنة ١٩٣٧م ليعمل مدرساً للرياضيات والفيزياء في المدارس الثانوية ، ثم أستاذاً في أول كلية للهندسة أنشئت في سورية بمدينة حلب عام ١٩٤٦م ، وأصبح عميداً لهذه الكلية (١٩٤٧ – ١٩٥١م) فكان له الفضل في ترسيخ دعائم الكلية والارتقاء بها إلى المستوى العلمي العالمي .

ووكل إليه أولو الأمر في عام ١٩٥١م إدارة مؤسسة الكهرباء بدمشق ، بعد أن غدت ملك الوطن ، فعمل بجد ودأب حتى أعادها عربية الوجه واللسان .

واختير عام ١٩٥٧م عضواً في أول مؤسسة للإنماء الاقتصادي في سورية ، ليسند إليه بعد ذلك منصب نائب الرئيس فيها . وفي عهد الوحدة بين سورية ومصر (١٩٥٨ – ١٩٦١م) تبوأ منصب وزير الصناعة . ومنذ

عام ١٩٦١م اعتزل المناصب الحكومية ليتفرغ للكتابة والترجمة والتأليف والتدريس .

وقد أهلته معرفته بالعربية وإحاطته بأسرارها ، واطلاعه على علوم العصر في الهندسة والرياضيات والفيزياء والكيمياء الاطلاع العميق الواسع وإتقانه الانكليزية والفرنسية أن يتبوأ في عام ١٩٨٦ مقعده في مجمع الخالدين ، وأن يشارك المشاركة الجادة في أعماله ولجانه ، لا يعرف الملل ولا الكلال .

لقد كان الفقيد ، رحمه الله ، عالماً مبرزاً ، ومعلماً فذّاً ، ألف في مطلع حياته كتاباً في الفيزياء لطلاب السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية ، نهلت منه أجيال من الفتيان والفتيات ، وأصبح الكتاب رائداً لمن ألفوا بعده في هذا العلم . وترجم كتباً جليلة في علوم الفيزياء والفلك والهندسة ، وشارك في كثير من المؤتمرات العلمية العربية والعالمية .

وإلى جانب عناية الفقيد بالجانب العلمي فقد تجلى اهتمامه البالغ باللغة العربية وآدابها . كان غيوراً على لغة الضاد ، محباً لها ، حريصاً على سلامتها ، وقد أسعفته مقدرته اللغوية في وضع الكثير من المصطلحات العلمية والمشاركة في تأليف طائفة من المعجمات .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته ، وجزاه جزاء الصالحين المخلصين ونفع أمته بعمله الباقي . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الكتب والمجلات المهداة
لمكتبة مجمع اللغة العربية
خلال الربع الثالث من عام ١٩٩٢

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

أبطال من تاريخ العرب ـ غالب الحمود ـ عمّان ١٩٨٩ .

أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلّاد المتوفى سنة ٢٨٢ ، دراسة وتوثيق ـ الدكتور أنور أبو سويلم ـ دار عمّار ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

أبو منصور الماتريدي ، حياته وآراؤه العقدية ـ بلقاسم الغالي ـ دار التركي للنشر ، تونس ١٩٨٩ .

أجوبة عن الأسئلة التي طرحتها بعثة صحيفة واشنطن تايمز الأمريكية ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانع . كوريا ١٩٩٢ .

أجوبة عن الأسئلة التي طرحها مدير تحرير اساهي شيمبون اليابانية ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانع . كوريا ١٩٩٢ .

أشغال ملتقى الجامعة والتحولات الاجتماعية ، تونس ١٤ ـ ١٩ ماي ١٩٩٠ ـ عدد من الباحثين المشاركين في الملتقى ـ تونس ١٩٩٢م .

الإعـلام بوفيـات الأعـلام ــ شمس الدين أبو عبـد الله محمـد بن أحمد الذهبي ، حققـه وعلق عليـه رياض عبد الحميد مراد وعبد الجبار زكار ــ دار الفكر ، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

الأندلس في اقتبـاس الأنوار وفي اختصـار اقتبـاس الأنوار ــ أبو محمد الرُّشـاطي وابن الخراط الإشبيـلي ، تقـديم وتحقيق اميـليو مولينـا وخاثينيو بوسك بيـلا ــ المجلس الأعلى للأبحاث العـلميـة ، معهد التعاون مع العالم العربي (سـلسـلة المصادر الأندلسية ٧) مدريد ١٩٩٢ .

بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة ، ربيع الآخـر ١٤٠٨هــ نوفمـبر ١٩٨٧م ــ عدد من البـاحثـين المشـاركين في الندوة ــ الجامعـة السـلفيـة بنارس الهند ، المطبعة السلفية ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

بلاغات النسـاء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعـارهن في الجاهليـة والإسـلام ــ أبو الفضـل أحمد بن أبي طاهر ، صححـه وشرحه أحمد الألفي ، ترجم للمؤلف وأعد الفهـارس الدكتور محمد أبو الأجفـان ــ تونس ، المكتبـة العتيقـة ١٩٨٥م .

البنيـة الصـوتيـة للكـلمـة العربيـة (مذيل بمعجـم عربي فرنسـي) ــ د. عبد القادر الجديدي ــ تونس ١٩٨٦م .

بيان الإعجاز في سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ــ أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي ، تحقيق وتعليق د. حمد بن ناصر دخيل ــ الرياض ١٤١١هـ .

التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي – الدكتورة نسيمة راشد الغيث – مكتبة الانجلو المصرية ١٩٩٢م .

التقسيم والتشجير (تقاسيم العلل) – أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق وترجمة د. صبحي محمود حمامي – معهد التراث العلمي العربي ، حلب ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

ثم اهتديت – د. محمد التيجاني السماوي – مؤسسة الفجر ، لندن .

الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة – الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات – عمان ١٩٩٠م .

جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين – علي المحجوبي – دار سراس للنشر ، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر ، تونس ١٩٩٠م .

حقيقة الأدب ووظيفته في ضوء تصريحات الأدباء والنقاد – الدكتور مقتدى حسن الأزهري – الجامعة السلفية ، ببنارس ، الهند ، المطبعة السلفية .

حول إدارة الاقتصاد الاشتراكي – كيم ايل سونغ – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

حول إرساء نظام قيادة الحزب بصورة تامة – كيم جونغ ايل – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٨٨م .

حول إعلاء الدور القيادي للحزب – كيم جونغ ايل – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

حول تربية أفراد الجيل الصاعد كمواصلي الثورة – كيم جونغ ايل – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٣٥٠هـ ١٩٣١م – عبد العزيز الثعالبي ، أعدها للنشر الدكتور أحمد بن ميلاد ، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي – دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٨م .

دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي – عبد الفتاح الزين – المعهد الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ١٩٩١م .

ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي بشرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي – قدم له وحققه الدكتور أنور أبو سويلم والدكتور علي الهروط ، ساعد في تحقيقه د. علي الشوملي – عمان ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

ديوان شهاب الدين بن خلوف – جمع وتحقيق د. هشام بوقمرة – الدار العربية للكتاب ١٩٨٨م .

الروح التحررية في القرآن – تأليف الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، ترجمة وتحقيق د. زهير الذوادي – الكتاب الشهري ، تونس ١٩٨٨م .

سيف من سيوف الله سيف الدولة الحمداني – الدكتور أحمد فاعور – أربد ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الشابي من خلال يومياته – محمد فريد غازي – الدار التونسية للنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .

شرح مقامات جلال الدين السيوطي (جزءان) – تحقيق سمير محمود الدروبي – مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

شظايا حزيران (شعر) – جورج صيدح – باريس ١٩٧١م .

شهيرات التونسيات – حسن حسني عبد الوهاب – تونس ، طبعة ثالثة ١٩٨٥م .

طرائق المعالجة السطحية بالليزر (تقنية الليزر وتقانته) – تأليف أ. غ. غريغور يانتس ، أ. ن. سافونوف ، ترجمة الدكتور محمد غانم ، تدقيق ومراجعة الدكتور محمد علي سلامة – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢م .

الظاهرة النحوية بين الزمخشري وأبي حيان ، مسائل من البحر المحيط – قاسم محمد صالح – عمّان ١٩٩١م .

عقيدة البعث في الإسلام – الدكتور التهامي نقرة – الجامعة التونسية ، سلسلة الدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية .

فاسألوا أهل الذكر – الدكتور محمد التيجاني السماوي – مؤسسة الفجر ، لندن (هدية مجمع الإمام الهادي بمشهد) .

قانون الأرض لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٧٧م .

قانون الخدمات الصحية العامة لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٨٠م .

قصة مدينة بيسان – يوسف عبيد – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قصة مدينة حلب – حامد الخطيب – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قصة مدينة يافا – عز الدين غربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قفصة قديماً وحديثاً – محمد علي بلحولة – تونس ١٩٩٠م .

كشاف الفهارس ووصاف المخطوطات العربية في مكتبات فارس (الجزء الأول : علوم القرآن ، قراءة وتجويد) – الدكتور سيد محمد باقر حجتي – إيران ١٩٩٢ .

مختصر كتاب التواريخ الشرعية عن الأئمة المهدية عليهم السلام والتحية – محمد بن محمد بن النعمان – إيران .

مشكلة المسجد البابَري في ضوء التاريخ والكتابات المعاصرة – الدكتور مقتدى حسن الأزهري – إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ، بنارس ، الهند ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

مع الحسين بن علي ؛ مبادئ ومواقف من خلال الوثائق المنشورة في صحيفة القبلة التي أصدرها المغفور له الحسين بن علي ١٩١٦ – ١٩٢٤م . – عرض وتبويب وتعليق الدكتور سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي النسعة – مديرية المطابع العسكرية بالأردن ١٩٩١م .

معجم مصطلحات العروض والقافية – د. محمد علي الشوابكة ود. أنور أبو سويلم – نشر بدعم من جامعة مؤتة ، عمّان ، دار البشير ١٩٩١م .

المُعْلِم بفوائد مسلم (الجزء الثاني) – الإمام المازري أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر ، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر – بيت الحكمة ، قرطاج ١٩٨٨م .

منازل السائرين إلى الحق المبين (الجزء الثاني) – أبو إسماعيل الهروي ، شرح عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني ، أعده للنشر عبد الحفيظ منصور – دار التركي للنشر ، تونس ١٩٨٩م .

النحبة والسلطة في العالم العربي خلال العصر الحديث والمعاصر – عدد من الباحثين المشاركين في المؤتمر الذي عقد في تونس من ٤ – ٩ ديسمبر ١٩٨٩م – الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٩٢م .

نظرات عصرية في القرآن الكريم – محمد لطفي جمعة ، تقديم جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر – عالم الكتب ، القاهرة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي – د. عبد القادر المهيري ، ود. حمادي صمود ، ود. عبد السلام المسدي – الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٨م .

النهضة العربية الكبرى ؛ دراسات وأبحاث – تقديم وتحقيق العقيد الركن قاسم محمد صالح ، والنقيب قاسم محمد الدروع – مديرية المطابع العسكرية الأردنية ١٩٨٩م .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٠	١٩٩٢	سورية
الأسبوع الأدبي	من ٣١٦ ـ ٣٣٠	١٩٩٢	سورية
بحوث جامعة حلب	١٠	١٩٨٩	سورية
البطريركية	من ١١٤ ـ ١١٦	١٩٩٢	سورية
التراث العربي	٤٧ ، ٤٨	١٩٩٢	سورية
الثقافة	حزيران ، تموز ، آب	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ٢٢ ـ ٣٦	١٩٩٢	سورية
جامعة دمشق	٢٢/٦	١٩٩٠	سورية
دراسات تاريخية	من ٣٩ ـ ٤٢	١٩٩٢	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٥٨	١٩٩٢	سورية
صوت فلسطين	٢٩٣ ، ٢٩٦	١٩٩٢	سورية
الضاد	من ٤ ـ ٧	١٩٩٢	سورية
عالم الذرة	١٩	١٩٩٢	سورية
مجموعة مجلة العمال العرب	ـ	١٩٩١	سورية
المعرفة	من ٣٤٥ ـ ٣٤٧	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	من ٢٥٠ ـ ٢٥٢	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	٢	١٩٩٢	سورية
نهج الإسلام	٤٨	١٩٩٢	سورية
دراسات	١ ، ٢	١٩٩١	الأردن
راية مؤتة	١	١٩٩٢	الأردن
اليرموك	٣٦	١٩٩٢	الأردن
دراسات	٤ ، ٥	١٩٩٢	الامارات المتحدة

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
التعليم الأساسي	–	١٩٩٢	تونس
دار المعلمين العليا	١	١٩٩١	تونس
الدروس العمومية	١	١٩٩٠	تونس
دليل كليات التربية في الوطن العربي	–	١٩٩٠	تونس
المجلة المعجمية	٢ ، ٣ ، ٤	٨٦ – ٨٨	تونس
البيبلوغرافيا الجزائرية	٥٤	١٩٩٢	الجزائر
الدارة	١ ، ٢	١٩٩٢	السعودية
البحوث الفقهية المعاصرة	١٤	١٩٩٢	السعودية
عالم الكتب	٤	١٩٩٢	السعودية
الفيصل	١٨٩	١٩٩٢	السعودية
أخبار التراث الإسلامي	٢٥ ، ٢٦	١٩٩٢	الكويت
دراسات فلسطينية	١٠	١٩٩٢	لبنان
الشراع	من ٥٣٠ – ٥٤٢	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٩	١٩٩٢	لبنان
الارشاد	٣	١٩٩٢	المغرب
الثقافة المغربية	٧	١٩٩٢	المغرب
دعوة الحق	٢٨٧ ، ٢٨٨	١٩٩٢	المغرب
الوحدة	٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥	١٩٩٢	المغرب
دراسات يمنية	٤٢	١٩٩٠	اليمن
الدراسات الإسلامية	٣	١٩٩١	باكستان
المجمع العلمي الهندي	١ ، ٢	١٩٩١	الهند
نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي	٢٨	١٩٩٢	تركيا
اللقاء	–	١٩٩٢	ألمانيا
نشرة العلم والتكنولوجيا	–	١٩٩٢	بريطانيا
كوريا	٢٨	١٩٩٢	كوريا

جـ - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء محاسني

I – BOOKS:

1 – BIBLIOGRAPHY OF ISLAMIC AND MIDDLE EASTERN STUDIES IN JAPAN, 1869 – 1988/ compiled by centre for east asian cultural studies, 1992. 787 P.,

2 – REMINISCECES WITH THE CENTURY/ by KIM IL SUNG. – Korea, 1992. – vols.: I,2, Illus.,

3 – EL HOMBRE Y SU AMBIENTE EN LOS ANDES CENTRALES/ EDITED BY LUIS MILLONES. – Osaka (Japan), 1980. – 307 P., (Serie Ethnological studies, NO. IO.).

4 – The making of the Romanian Unitary National state, 1918/ BY STEFAN PASCU. – Romania, 1989. – 277p., Illus.

5 – The MAKING OF THE UNITARY ROMANIAN NATIONAL STATE, ECONOMIC PREMISES/ by VICTOR AXENCIUC and ION TIBERIAN. – Romania, 1989. – 30I P.

6 – Trente d'economie marocaine, 1960 – 1990/ by HABIB EL MALKI. – Paris, 1989. – 244p.

7 – LES VILLES DANS L'EMPIRE OTTOMAM: ACTIVITES ET SOCIETES/ par DANIEL PAMZAC. – Tome I, Paris, 1991. – 416p.

8 – IMMIGRATION ET ECOLE: LA PLURALITE CULTURELLE, ETAT DES QUESTIONS DOSSIERS DOCUMENTAIRES/ par CIAUDE LIAUZU. – AIX – EN – PROVENCE, 1981 205p. (with ESSAI BIBLIOGRAPHIQUE 1975 – 1988 par Nasse et Tieche).

9 – LE MONDE ARABE ET MUSULMAN AU MIROIR DE L'UNIVERSITE FRANCAISE/ PAR Institut Du Monde Arabe. – Aix – En – Provence, 1992. – Thesam I – 4.

10 – La Republique Democratique Du Soudan, Bilan des recherches en France et en R.F.A. bibliographie sélective 1900 – 1986./ par TALAAT

EL – SINGABY. – Aix – En – Provence, 1987. – 139p.

11 – Migration Internationales Au Moyen – Orient: 1975 – 1986, Bibliographie. par Gilbert Beauge et Aicha Bendiab. – Aix – En – Provence, 1987; 186p.

12 – The Great Romanian Peasant Revolt of 1907/ by M.Badea and others, edited by Lon Ilincioiu. – Romane, 1991. – 295p., Series: Bibliotheca Historica Romanie.

13 – Le décor sur bois dans L'architecture des Fes/ par Catherine CAMBAZARD – AMAHAN. – PARIS, 1989. – 235p., Illus. (Editions du CNRS).

13 – L'Emigration Maghrébine de 1962 à 1985, Repertoire Bibliographique/ par Simone Nassé and others. – Aix – En – Provence, 1986. – 235p (publi. by universités D'aix – Marseille.).

14 – LE MAGHREB MUSULMAN EN 1979/ sous la direction CHRISTIANE SOURIAU. – Paris, 1981. – 412p. (published by centre De Recherches Et D'Etudes sur les societes Mediterraneenes).

II – PERIODICALS:

1 – Der Islam, Zeitschrift fur Geschichte und Kultur des Islamischen Orients, Band 69 Heft I, 1992, Walter de Gruyter. Berlin.

2 – STVDIA ISLAMICA, Paris, edited by HALIL INALCIK and Others., Vols.: Lxx, LxxI, LXXII, LXXIII, LXXIV, LXXV.

3 – ORIENTALIA SUECANA, founded by ERIK GREN, Stockholm SWEDEN, Vol. XL (1991).

4 – EAST ASIAN REVIEW, publ. by The Institute for East Asian Studies, Seoul Korea, Vol. IV, Nos.: 1,2,3 (1992).

5 – HAMDARD ISLAMICUS, A QUARTERLY JOURNAL OF BAIT AL HIKMAT (HAMDARD FOUNDATION PAKISTAN), vol XV, Summer 1992, No 2.

6 – ORIENT, REPORT OF THE SOCIETY FOR NEAR EASTERN STUDIES IN JAPAN, TOKYO Vol.: XXvII, 1991.

7 – ISLAMIC STUDIESE, Islamic Research Institute, Islamabad (PAKISTAN), Special Issue, vol.30, NOs.I – 2 (1991).

8 – IBLA, REVUE DE L'INSTITUT DES BELLES LETTRES ARABES, TUNIS., NO.169, 1992.

9 – THE MIDDLE EAST JOURNAL, Middle East Institute, WASHINGTON,D;C., VOL.45, NO.4, AUTUMN 1991.

10– DURHAM UNIVERSITY JOURNAL, ENGLAND, January (1992).

11 – Le COURRIER de L'UNESCO, Paris, june, september, october, 1992.

12– THE UNIVERSAL MASSAGE, Islamic Research Academy, August, 1992, Pakistan.

13– SGI quarterly, (magazine of the SOKA GAKKAI INTERNATIONAL), Jan – Mar. (1992).

14– SOURCES, UNESCO, PARIS, NOS.: 37 – 39 – 42.

15– LETTERA DALL'ITALIA, INstituto della Encyclopedia Italia fondata da G. Treccani, Roma, Anno VII, NO.27, July – September (1992).

16– COREE, Nos.: 389, 390, 391, 392; July – October (1992).

17– ABN CORRESPONDENCE, Bulletin of The Anti – Bolshevik Bloc of Nations, Munich, West Germany, vol.XLIII, Nos.: I – 2, January – April (1992).

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والستين

بيان

ضاق هذا الجزء عن استيعاب جميع المقالات التي تحدثت عن الإمام السيوطي .

وستنشر بقية المقالات في الجزء الرابع من المجلد الثامن والستين .

الفهارس العامة للمجلد السابع والستين

أ ـ فهرس أسماء كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب – فهرس المقالات
منسوقة على حروف المعجم

(أ)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

ـ تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة) .
ـ رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية) .
ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية) .
ـ البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية) .
ـ الإتباع لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ) .
ـ عمر فروخ ، كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام ، للدكتور عدنان الخطيب .
ـ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب .
ـ الدكتور صبحي المحمصاني ، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب .
ـ الأستاذ عبد الهادي هاشم فقيد المجمع (فصلة) ، للدكتور شاكر الفحام .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

ـ ديوان أبي الفتح البُسْتي ، تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال .
ـ الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي .
تحقيق محمد صغير حسن المعصومي .
ـ فصول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز .
تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع ، الدكتور فهد أبو خضرة .

NO.4 VOL.LXVII

REVUE

DE L'ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)
تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش ، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٤١ تح سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، السيرة النبوية (القسم الثاني) تح نشاط غزاوي
- عبد الله كنون : سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية ، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تح وفاء تقي الدين

السعر : ١٠ ل . س داخل القطر

مطبعة الصباح